الفكر الصهيونى
فى مُذكّرات البرت إينشتاين
و
أرييل شـــارُون

السفير الدكتور

عبد الله الأشعل

دكتوراه القانون الدولى جامعة باريس

دكتوراه العلوم السياسية - إقتصاد القاهرة

دبلوم القانون الدولى العام - أكاديمية لاهاى

القاهرة - ٢٠٠٢

obeikandl.com

الفكر الصهيوني
في مذكرات البرت اينشتاين
و
أرييل شارون

السفير الدكتور
عبد الله الأشعل

دكتوراه القانون الدولي جامعة باريس
دكتوراه العلوم السياسية - إقتصاد القاهرة
دبلوم القانون الدولي العام - أكاديمية لاهاي

الناشر
مؤسسة الطوبجي
للتجارة والطباعة والنشر
٢٠ شارع الجامع الإسماعيلي
لاظوغلي - القاهرة
ت ٧٩٦٢٣٦٤ - ٠١٠١١١٨٨٨٤

المدير العام:
« سمير الطوبجي »

رقم الإيداع:
٢٠٠٣/٤٠٨٦

القاهرة - ٢٠٠٣

obeikandl.com

إهداء

إلى عقلاء بنى اسرائيل الذين يدركون أن الإيمان بالله يناقض إفناء الآخر وإنكار حقوقه، وأن السلام والأمن للجميع وليس لشعب اسرائيل وحده على حساب الشعوب الأخرى، وأن التسابق على إنهاض المنطقة قدر مشترك وفى ذلك فليتنافس المتنافسون ، وأن يكون التنافس بالعلم والخير وليس بالقهر والإفناء.

عبد الله الأشعل

٢٠٠٣/١/٢٥

obeikandl.com

obeikandl.com

تقديم

ليس هذا الكتاب دراسة شاملة للفكر السياسى الاسرائيلى بمعناه الواسع، ولكنه صفحة واحدة من جذور هذا الفكر. فهو ليس استقصاء للمفكرين السياسيين الاسرائيليين ولكنه - كما سيرى القارىء - تأصيل لفكر اثنين من الشخصيات اليهودية التى لعبت دوراً هاماً فى حياة المشروع الصهيونى .

ولاشك أن إينشتاين الذى ينتمى إلى أمة يفخر بانجازاتها ومسيرتها فى العالمين، وهى الأمة اليهودية قد أسهم فى تغيير مسيرة البشرية والعلم، ولكنه يرتد ليلتقى مع شارون الذى رسم صورة اليهودى القبيح ليس فقط فى الذهن العربى ولكن فى المدرك العام فى المجتمع الدولى . فلا جدال فى أن سحق الفلسطينيين باعتبارهم عرقا يستحق الابادة فى نظره يختلف تماما عن سحقهم باعتبارهم خصوما سياسيين يجوز الاختلاف والاتفاق معهم، كما أنه من الواضح أن شارون يعتنق نظرية خاصة فى السلام والأمن قوامها أن السلام مع الأحياء يعنى التنازل والجلوس معا كفرقاء على مائدة واحدة وهو مالايعترف بسبب نزعته المغرقة فى العنصرية ونظرته الدونية إلى غير اليهود، ولهذا فقد اسمينا السلام الشارونى بسلام المقابر لأنه لايطيق سلام الأحياء وسوف يظل شارون هو دون تغيير بل تزداد قناعته بجدوى منهجه كلما علا نجمه فى صناديق الانتخابات التى توشك أن تجرى بعد أيام من صدور هذا الكتاب وليس فى ذلك مفاجأة لأن هذه الانتخابات سوف تحدد التفويض بالقتل ومزيد من الابادة للفلسطينيين. وهذا هو أحد أسباب احتفالنا بمذكرات شارون وتقديمها بقلمه فى حيز يستطيع القارىء أن يلم بأساسياته دون أن يكون بحاجة إلى قراءة نص المذكرات التى تزيد صفحاتها على ثمانمائة صفحة من القطع الكبير.

وسوف يرى القارىء أن شارون ليس مجرد قائد عسكرى لعب أدوارا مختلفة ومستمرة فى الكيد لمصر، وإنما هو أيضاً قائد سياسى قاد شعبه نحو المجهول الذى لايعلم سوى الله نهايته ، ولكننا نعلم الجزء المتيقن من هذا المجهول وهو أن شارون قد زرع العداء والبغضاء فى قلوب المنطقة وصور الشعب الاسرائيلى على أنه ذو رسالة سامية حقا وهى إبادة الآخر والقضاء على الأخضر واليابس، وتلك، فيما يبدو هى الرسالة التى بشر بها أيضاً إينشتاين الذى تصور مذكراته ، التى تضمنها هذا العرض تحمسه للمشروع الصهيونى.

ويجد القارىء فى هذه العجالة موجزاً لأفكاركل من أينشتاين وشارون، ثم تلخيصاً لمذكرات شارون، وأخيراً تحليلاً لأهم ماتضمنته، عسى أن تكون تلك مقدمة ضرورية لفهم الفكر السياسى الاسرائيلى المعاصر.

ويصدر هذا الكتاب قبل ثلاثة أيام من إجراء الانتخابات العامة فى اسرائيل والتى تشير استطلاعات الرأى إلى أن شارون سوف يحسم المعركة ويحصل على بيعة جديدة بأغلبية قد تجاوز٧٠٪ وهو مالم يسبق إليه غيره، وهذا دليل جديد على تردى الفكر الاسرائيلى والسلوك الاسرائيلى إلى درجات غير مسبوقة مما يجعل السلام العادل الشامل ضربا من الخيال، ويجعل لهذا الكتاب أهمية إضافية للمكتبة العربية

والله غالب على أمره .

عبد الله الأشعل

القاهرة: ٢٥ يناير ٢٠٠٢

القسم الأول

بين إينشتاين وشارون

لاشك أن العنوان قد يثير اللبس، ولكن هذا اللبس يزول إذا علمنا أن كلا من إينشتاين وشارون يجمعهما قواسم مشتركة، فمن ناحية، هما ينتميان إلى وعى يهودى ظاهر فى مذكراتهما، وهما يصران على أنهما يسهمان بكل ما أسهما به لخدمة الشعب اليهودى ، وهما يؤمنان أيضاً بأن القيم اليهودية والشعب اليهودى لهم دور حاسم فى تاريخ البشرية ، وأن هذا الشعب « المختار » الموهوب يثير أحقاد الشعوب الأخرى ، فيستعديهم عليه.

والحق أن إينشتاين الذى أسهم بنظرية النسبية فى مسيرة العلم والإنسانية، ليس مسئولا عن أن هذه النظرية قد طورت على أساسها فكرة انشطار الذرة، وصناعة الأسلحة النووية، كإحدى تطبيقات النظرية. أما شارون فهو على العكس، قدم لشعبه أسوأ صورة، وقدم قيم التوراة أسوأ تقديم، وعبأ الصدور بالحقد، وزرع فى أذهان الناس فى اسرائيل أن تميز الشعب اليهودى ليس مدعاة لهداية البشرية كما ظن السذج، وإنما يجب أن يدفع الجميع لهذا الشعب ثمن

تميزه، وهـذا الثمن هـو القبول بحماقاته وإبادته للشعوب الأخرى. لقـد أكد شارون لهذا الشعب أن أمـن هـذا الشعـب لايمكن تحقيقه إلا بإبـادة الشـعب الفلسطيني والتعـالى على الشعـوب الأخـرى، وأن الحيـاة لاتتسـع إلا له دون غيـره ، وبذلك قرأ رسـالة اليهودية قراءة صهيونية متعسفـة.

وإذا كانت الفصول التالية سوف تطلع القارىء على الفكر النازى الشارونى، فإننى أخصص صفحات هذا الفصل لفكر إينشتاين الذى يلتقى مع شـارون عند الاعتـزاز بدور الشعب اليهودى فى الحضارة الإنسـانية، ونحن لانرى منه فى الشـرق الأوسط سـوى هدم الحضـارة وطمس معالمها.

يقـول إينشتـاين فى فضـائل الشـعب اليهـودى (المذكرات ص ١٢٣-١٢٤ الفصل الرابـع) أنه يعتبـر انتماءه إلى هـذا الشعـب منحـة من القـدر don du destin لأن هـذا الشعب محـب للمعرفـة والعـدل إلى حد التطـرف، كما أنه محب للاستقـلال الشخصـى. وواضـح أنـه يرى العـدل فى إنكار حقوق الشعب الـذى اغتصبت أرضه بناء على هـذه المثاليات اليهودية.

ويقول إينشتـاين أن التاريخ فرض على الشعب اليهودى معركة مرعبة ولكنه تمسك طوال حياتـه كإحدى الأمم القديمة المتحضرة بقيم العدل والحق والحرية، وبالعمل الخلاق من أجل خير الإنسانية.

فهل يعتبر إينشتاين أن إبادة الشعب الفلسطيني هو هذا العمل الخلاق وأن هذه الإبادة هى حقا لصالح الإنسانية ونحن الذى اصبنا بسوء التقدير وسوء الطوية إزاء هذا الشعب النبيل ذى الرسالة الحضارية التاريخية؟

ويؤكد إينشتاين (ص١٢٥) أن طبيعة المفهوم اليهودى للحياة يمكن ترجمتها على أن الحق فى الحياة هو حق لكل الكائنات، وأن الحياة مقدسة، وتمثل القيمة العليا التى تنطلق منها سائر القيم الأخرى.

ويقول : « نحن نؤمن بأن خدمة الإله تساوى خدمة الحياة، وفى سبيل ذلك ناضل الأنبياء اليهود وعيسى ، أى أنه اعتبر عيسى عليه السلام ضمن الأنبياء اليهود، ويقف الرسول محمد صلى الله عليه وسلم على الحافة الأخرى دون الإشارة إليه، ويرى إينشتاين أن اليهودية ليست ديانة بالمعنى المألوف للكلمة، من حيث أنها لاتتطلب أى اعتقاد من جانب اليهود، بقدر ماتتطلب احترام الحياة بالمعنى الأسمى للكلمة. وهو يختصر الله فى الحياة وفى مظاهره مظاهر وجوده والشعور به. فهو يصرح بأن الله غير موجود، مثلما يصرح بأنه الله يهودى Dieu Juif والله ليس موجودا فى اليهودية حسب اعتقاده، حيث يرى أن اليهودية مجرد رمز لفكرة الله الأكثر صفاء وإشراقا، خاصة لأن اليهودية تنحاز إلى مبدأ احترام الحياة.

والملاحظ أن إينشتاين يركز على أن احترام الحياة هو الدين ، ومن الواضح أن الحياة التى يقصدها هى حياة اليهود وحدهم، وليذهب غيرهم إلى الجحيم. كما أن فكرته عن الله والفصل بين الله واليهودية، وتجريدها عن مفهوم الدين، يضعه فى مصاف الفلاسفة غير المتدينين.

ثم يزعم إينشتاين أن الشعارات والمبادىء الاشتراكية نابعة من اليهود، وهو ادعاء سبق أن رددە بالنسبة لجميع المذاهب كتاب يهود أيضا لدرجة أن فكرة الجامعة الإسلامية التى رفعها السلطان عبد الحميد الثانى زعم أنها من تأليف اليهود. وورد هذا الزعم فى رسالة الدكتوراه التى قدمها كريمر حول المؤتمرات الإسلامية إلى جامعة كولومبيا عام ١٩٨٦ ، كما زعم أن الشيوعية صناعة يهودية، وأن الكمالية فكرة يهودية أيضاً، وربما وجدنا مزاعم وهى الأقرب إلى التصديق بأن الفاشية والنازية صناعة يهودية أيضاً، وربما كشفت دراسة العلاقة بين اليهود والحكومات الألمانية من ١٩١٩-١٩٣٩ وخلال الحرب الثانية عن الكثير مما يجب معرفته عن رسالة الأمة اليهودية فى ترقية البشرية .

وينقل إينشتاين تصويراً غريباً لتفانى اليهود وعدم أنانيتهم قولاً لأحد أصدقائه « إذا قال لك يهودى أنه يصطاد بغرض المتعة فهو يكذب» Quand un juif dit qu'il chasse pour son plaisir il ment فالحياة مقدسة ، وهو ماتصدقه التقاليد اليهودية.

ويرى إينشتاين أنه يمكن لليهودية والمسيحية منفصلة عن القبس ومالحقها ، واليهودية منفصلة عن الرسل، أن تهدى البشرية وتعالجها من أدرانها الاجتماعية.

ويعلن إينشتاين أن مشكلة الشعب اليهودى هى كيف يحافظ على قيم التميز والتفرد لأقلية ذات تقاليد ثقافية وسط الشعوب التى تعيش معها، ولكن على كل حال يجب المحافظة على هذا الشعب بقيمه وهويته، التى تعلى إرادة العدل والرشد التى جسدها سبينوزا وكارل ماركس.

ويشكو إينشتاين من أن الشعب اليهودى فى شرق أوربا قد عانى من عدم العدالة الاقتصادية منذ العصور الوسطى حيث فرض عليه مهن تجارية وحظرت عليه المهن الإنتاجية.

ويبرز إينشتاين فكرة الجيتو بأن الشعب اليهودى مضطر لذلك لأنه مهدد تهديداً جسمانيا، ولكنه لايواجه مشاكل اجتماعية ونفسيه. ومع تحرير الشعب اليهودى تعدل الموقف تماما . ويرى أن الشعب اليهودى ساهم بشكل واسع فى تطور الحضارة الأوروبية، ومع ذلك يشعر بالغربة، ومن العبث إقناع أوروبا بالهوية الثقافية اليهودية، وهذا مايؤدى إلى ظاهرة اللاسامية.

ويبدو أنه بعد مضى عشر سنوات على وعد بلفور أى عام ١٩٢٧يشيد إينشتاين بما حققته الحركة الصهيونية فى فلسطين،

وبموقف الحكومة البريطانية . ويقول أنه فى جميع العصور وفى لحظات الاختبار كشف الشعب اليهودى عن قوته وحبه للحياة، وأنجب الرجال الذين جسدوا ضمير العالم الغربى، ودافعوا عن كرامة الإنسان وعن العدالة، من بينهم هرتزل الذى آمن أن الشعب بحاجة إلى مركز روحى للحفاظ على مشاعر التضامن، حيث تتطور الفكرة الصهيونية واستعمار فلسطين .

وعن حقوق العرب والعلاقة معهم يقول إينشتاين أن إقامة مجتمع يهودى فى فلسطين يتطلب أن نحل بشكل نبيل وعلنى وكريم مشكلة التعايش مع الشعب الشقيق من العرب، ويجب علينا بهذه المناسبة أن تدلل على كل ماتعلمناه عبر القرون. ولكنه لم يحدد مايجب عمله للشعب الفلسطينى . غير أنه أردف قائلا أن علاقة اليهود بالشعب العربى يجب أن تتسم بأكبر قدر من اليقظة ، فلا تسمح بتوترات خطيرة بين الشعبين، وكأنه يريد أن يتم الاستيطان اليهودى دون أى احتجاج أو معارضة أو مقاومة عربية وينصح بألا تتم الاستعانة ببريطانيا الدولة المنتدبة كحكم بين العرب واليهود، وهو يعلم جيداً أن بريطانيا هى التى أقامت لهم الدولة ومهدت تماما لذلك. ثم يشير إلى أن الشعب اليهودى ليس جماعة سياسية وإنما جماعة معنوية تماما . فقد ربط بين أقسام الشعب اليهودى فى مناطق العالم كله رابط واحد هو التقاليد .

ويوضح إينشتاين أن التاريخ قد كلف الشعب اليهودى بمهمة حاسمة ونبيلة وهى التعاون الخلاق لإعمار فلسطين وإقامة الحضارة فيها، تسمح بايقاظ الشرق الأوسط وهدايته إلى حياة اقتصادية وفكرية . وهانحن نشاهد ثمار هذه المهمة النبيلة وماينعم به الشرق الأوسط بفضل سياسات اسرائيل البربرية التى بشر بها إينشتاين. ولاندرى إن كانت هذه البربرية لم يتوقعها إينشتاين وسوف يغضبه ممارستها أم أن الحضارة اليهودية تعنى إبادة الآخر.

لقد تصور إينشتاين أن يكون فى فلسطين ملتقى ثقافى وروحى ولقاءات ليهود العالم كله وليس دولة لهم. ولكنه فى الصفحة التالية (١٣٨) يدعو إلى إنشاء وطن Foyer يهودى فى فلسطين، ففلسطين تجسيد لشعور الجماعة الوطنية اليهودية لكل اليهود .

ويشير إينشتاين لحالة يهود ألمانيا طوال قرن (من منتصف القرن التاسع عشر إلى منتصف القرن العشرين) حيث عاشوا فى الجيتو ولم يتمتعوا بأية حقوق سياسية، معزولين عن غير اليهود بحائط من التقاليد الدينية وغيرها، حتى أن اختفاء الشعب اليهودى فى أوربا الوسطى والغربية بات أمرا واردا . ولم يكن سهلا اندماج الشعب اليهودى بين الجماعات الأخرى، وظلت هذه الجماعات تنظر إلى الشعب اليهودى باعتباره أجنبيا، وهذا

هـو السبب فى طغيـان اللاسامية ضـده، وهـذا بـدوره أدى إلى تعـزيز شعـور ا لتضـامن بين اليهـود، ولذا يجب أن تفهـم الحركـة الصهيونية فى هـذا السياق.

وقـد كتب إينشتايـن ردا إلـى وزير الدولـة البريطانى يؤكـد لـه فيه الأهميـة القصوى للحـركـة الصهيونية وهـى فـى الواقـع القومية اليهوديـة.

obeikandl.com

القسم الثانى

قراءة فى مذكرات شارون

مِن المفيد للعالم العربى أَن يحلل مذكرات كبار الساسة الإسرائيليين حَتَّى يتعرف عَلَى الفكر الإسرائيلى كَمَا يتعرف عَلَى الرؤية الإسرائيلية للأحداث الَّتِى احاطت إسرائيل حَتَّى قبل قيامها وهَذَا أمر بالغ الأهمية إِذَا كُنَّا نسلم بِأَن قيام إسرائيل فِى هَذِهِ المنطقة وصعودها المستمر لَيْسَ حدثًا عاديًا فِى تاريخ العلاقات الدُّوَلِيَّة ,وإِذَا كُنَّا جادين فِى وضع تصور صحيح فِى إدارة الصِّرَاع العربى الإسرائيلى. وإِذَا كَانَ بنجوريون قَد شهد قيام إسرائيل وساهم فِى ترسيخ الدَّوْلَة فِى سنواتها الأولى فَإِن شارون قَد ساهم فِى جميع معاركها العسكرية. ولَكِن تحليل مذكرات شارون تضيف هَذِهِ الأبعاد الَّتِى اشرت إِلَيْهَا كَمَا تثير البحث عَن توقيت نشر هَذِهِ المذكرات الَّتِى كتبها باللغة العبرية فِى أواخر الثمانينات مِن القرن العشرين ونقلت إِلَى اللغة العربية مترجمة مِن الفرنسية عام ١٩٩٢ ولَقَد جرت العادة عَلَى أَن الساسة يضعون مذكراتهم فِى نهاية حياتهم السياسية ورُبَّمَا ظن شارون أَنَّهُ ختم حياته السياسية فِى ذَلِك الوقت، وَلَمْ يَكُن يحلم بِأَن المستقبل لا يزال يدخر لهُ الكثير عِنْدَمَا عين رئيسًا للوزراء فِى مارس ٢٠٠١ بأكبر أغلبية حصل عَلَيْهَا رئيس وزراء فِى إسرائيل وهِىَ ٨٥٪ ثُمَّ صعد إِلَى قمة المجد الصهيونى عِنْدَمَا قَرَّرَ تصفية الإنتفاضة

عَن طريق الإبادة الجماعية للشعب الفلسطينى كَمَا تمكن فِى لحظة فريدة من لحظات العلاقات الأمريكية الإسرائيلية أَن يجند الولايات الْمُتَّحِدَة لخدمة وتحقيق أهداف السياسة الإسرائيلية لدرجة أَن هُنَاكَ تنسيقا كاملاً بَيْنَ البلدين، لِهَذَا الغرض دُونَ تشعر واشنطن أَن هَذَا النهج يناقض مصالحها وهَذَا صحيح مَا دَامَت هَذِهِ المصالح مزدهره مِن خلال مساندة إسرائيل.

وَإِذَا كُنَّا لا نميز بَيْنَ شارون وغيره مِن الساسة الإسرائيليين حول الهدف النهائى فَإِن شارون قَد كتب بنفسه تاريخه الَّذِى استند إِلَى أَن القوة والإرهاب وَالخديعة وإغفال القانون والنظام والإلحاح عَلَى إبادة العدو الأول وهو الشعب الفلسطينى هُوَ الطريق الأكيد لتحقيق المصلحة الإسرائيلية ولِذَلِكَ لَمْ نلحظ أَى تناقض فِى سيرة الرجل سواء فِيمَا كتب عَنْهُ أَو مَا كتبه هُوَ عَن نفسه.

وَالْحَقّ أَن تحليل مذكرات مِن هَذَا القبيل لا يهدف إِلَى تلخيص مَا سطره صاحب المذكرات وإِنَّمَا الهدف هو تسجيل العلاقات الفارقة والمنطلقات الأساسية الَّتِى تتعلق بصاحب المذكرات وكَذَلِكَ بِدَوْلَة إسرائيل ولِذَلِكَ يحسن أَن نلخص انطباعتنا عَلَى هَذِهِ المذكرات فِى الملاحظات الآتيه:

الملاحظة الأولى : أَن شارون مِثْل والديه يخلو مِن كُلّ عاطفة وينفر مِن الجماعة ويمل القانون ويتمرد عَلَى النظام ويؤمن بالقوة

والبطش كَمَا يؤمن بالخديعة مِثْلَمَا يؤمن إيمانًا مطلقًا بِأَن إسرائيل هِيَ فلسطين كلها وإِنَّمَا أرض الإجداد الَّتِى عادوا إِلَيْهَا بَعْد طول شتات.

فَقَد ولد فِى قرية يهودية اسمها كفر ملال عام ١٩٨٢ لأم مِن العائلة اليهودية الوحيدة فى قرية صغيرة فِى روسيا البيضاء وأبًا كَانَ زميلاً وصديقًا حميمًا لوالد "مناحم بيجن" الَّذِى كَانَ يطلق عَلَيْهِ بيجون والَّتِى تَعْنِى بالروسية عداء أَى المصاب بحب التنقل وكَانَ الجدان ينتميان إِلَى جيل القوميين اليهود المتعصبيين للصهيونية فَقَد كَانَ شارون "الملقب بإريك" لَهُ جد وهُوَ موردخاى شايزمان مِن أوائل المهاجرين إِلَى إسرائيل عام ١٩١٠ أَى الموجه الصهيونية الثانية حَيْثُ هاجر والداه بَعْد الحرب العالمية الأولى ضمن الموجه الثالثة مِن أُورُبَّا الشرقية وروسيا.

وَيروى شارون أَن والدته فيرا الطبيبه لَمْ تتأقلم فِى مزرعتهم بالقرية وعاشت حياة موازية عَن طريق تبادل الرسائل مَعَ أصدقائها وذويها فِى الخارج ,كَمَا يروى قصة أول احتكاك عرفه وهُوَ طفل بَيْنَ العرب واليهود عِنْدَمَا اكتشف المرض اليهودى مِن بَيْنَ زيائن العرب ذَلِك "الأفندى العربى" الجار القريب الَّذِى كَانَ عشيقًا لزوجته وسكت عَلَى الخيانة ولَكِنَّهُ بيت للأنتقام مِن "الأفندى العربى" بأن أجرى لَهُ عملية جراحية سببت لَهُ حدبتا رافقته طول عمره ثُمَّ فَرَّ إِلَى فرنسا ودرس الطب هُنَاكَ وأَصْبَحَ الطبيب الشخصى لملك المغرب.

الملاحظة الثانية : أَنَّهُ يتحدث عَن التوتر المستمر بَيْنَ العرب واليهود فِي قراهم ومخيماتهم ومستوطناتهم الزراعية عَلَى أَنَّهُ إرهاب وتمرد عربى خَاصَّة فِي أعوام ١٩٢١، ١٩٢٩، ١٩٣٦، وقَد ارتبطت حياة شارون بمحاولات هَذِهِ الأقليات اليهودية تثبيت وجودها ضدَّ الهجمات العربية وانخراطه مُنْذُ طفولته (١٣عامًا) بالأشتراك فِي حراسة قريتة وأَنَّهُ كَانَ يسعد بِهَذِهِ المهمة وقَد انضم لِهَذَا الغرض إِلَى صفوف العصابات الصهيونية وهِيَ الأرجون تسفاى ليومى والأرجون وشترف بالإضافة إِلَى عصابة الأغلبية وهِيَ الهاجانا الَّتِى كَانَ يعمل شارون فِي صفوفها والطريف أَنَّهُ عِنْدَمَا يتحدث عَن هَذِهِ المنظمات يَعْتَبِرُ مقاومتها للعرب والأنجليز عملاً بطوليًا وهُوَ الَّذِي مهد الطريق لنشأة إسرائيل.

وَالطريف أَنَّهُ كَانَ يأسف لإعدام كَمَا كَانَ يأسف عَلَى القبض عَلَى أبطال المقاومة وتسليمهم للأنجليز مِن جانب بعض هَذِهِ المنظمات حَتَّى لَوْ قاموا بأعمال إغتيال مثل إغتيال (اللورد موين) الوزير البريطانى المقيم فِي القاهرة الَّذِي اعتبروه ملهم سياسة التشدد ضدَّ اللاجئين والناجيين اليهود. ولَكِن شارون اليوم يَعْتَبِرُ المنظمات الفلسطينية المقاومة منظمات إرهابية لأن نقطة البداية عنده هِيَ أَن اليهود هم أصحاب الْحَقّ فِي كُلّ فلسطين وأَن مِن يقاوم هَذَا الخط يجب إبادته.

الملاحظة الثالثة : نقل لَنَا شارون الشعور بالأنتصار الَّذِى سرى بَيْنَ اليهود عِنْدَ صدور قرار التقسيم ،وكَانُوا قَد أعدوا للأمر عدته عِنْدَمَا إندمجت عصاباتهم فِى عمليات الجيش البريطانى حَتَّى تكتسب خبرة قتالية مناسبة وكَانُوا يعلمون أَن العالم العربى لَنْ يقبل بقرار التقسيم، ويصف بعض مشاهد مِن حرب ١٩٤٨ وهِىَ الَّتِى يسميها حرب الإستقلال مؤكدًا عَلَى صمود القوة النسبية فِى الفلوجا ثُمَّ إتفاق رفع الحصار ثُمَّ مَا أعقبه مِن إتفاقات الهدنه بَيْنَ إسرائيل والدُّوَل العربية الأربع :(مصر وسوريا والأردن وَلبنان).

الملاحظة الرابعة : روى شارون الكثير عَن الهجوم الإسرائيلى بقيادته عَلَى القوات المصرية فِى غزة فِى أوائل ١٩٥٥ مبررًا ذَلِك بِأَن مصر كَانَت ترعى مَا اسماه بالإرهاب الفلسطينى والتسلل مِن غزة صوب إسرائيل. وفِى عام ١٩٥٥ يقول شارون أَن عبد الناصرأغلق مضائق تيران رغم أَنَّهَا طرق بحرية دُوَلِيَّة ولَمْ تعترض الأمم الْمُتَّحِدَة(*) ثُمَّ أقدم عَلَى التسلح مِن الكتلة الشرقية مِمَّا جعل قدرة إسرائيل الدفاعية مهدده وأَخَلَّ بتوازن القوى. وعِنْدَنَا أَن هَذَا المفهوم الَّذِى تُصِرّ عَلَيْهِ إسرائيل يجب أَن تطبقة مصر هِىَ الآخرى بِأَلاَّ تسمح بِأَن تُصْبِحُ إسرائيل عَلَى حدودها وهِىَ تمتلك هَذِهِ القوة الفائقة، خاصة أسلحة الدمار الشامل.

(*) مضايق تيران وخليج العقبة ليست طرق بحرية دولية كما زعم شارون، وإنما تقرر ذلك بدفع اسرائيلى أمريكى عام ١٩٥٨ فى المادة ١٦ من اتفاقية البحر الإقليمى المبرمة فى جنيف، وفى المادة الخامسة من اتفاقية السلام المصرية الاسرائيلية . وقد منحت مصر لاسرائيل حق المرور فى المضايق عام ١٩٥٦ مقابل انسحاب اسرائيل من سيناء ثم عادت فى هذا الالتزام عام ١٩٦٧ (المؤلف).

مَعْنَى ذَلِك أَن شارون يزعم أن هجومه عَلَى غزة هو دفاع شرعى عَن النفس وَلصد الإرهاب، كَمَا أَن هَذَا السبب بالإضافة إِلَى تسلح مصر هُوَ مَا دفع إسرائيل إِلَى مهاجمة سيناء خلال العدوان الثلاثى عام ١٩٥٦ .

وَقَد أصر شارون عَلَى أَن هجومه عَلَى سيناء كَانَ يهدف إِلَى "إزالة القواعد «الإرهابية» مِن سيناء" أَى أَنَّهُ كَمَا يقول عملية قصاص ولَيْسَت حربًا حقيقية هُوَ نفس الخط الذى ألتزمته إسرائيل فِى دعايتها حَتَّى الآن وهِىَ أَنَّهَا لا تهاجم أحدًا ولَكِنَّهَا تدافع عَن نَفْسَهَا ولَوْ خارج أراضيها وتوقيت الهجوم الإسرائيلى مَعَ العدوان الثلاثى قصد بِهِ تمكين إسرائيل مِن السيطرة عَلَى سيناء وإرباك الجيش المصرى مِن جميع الجهات ولَكِن هَذَا الهجوم كَمَا يقول شارون فِى صفحة ١٨٤ مِن مذكراته كَانَ مقررًا مُنْذُ عام سابق مؤكدًا طوال مذكراته عَلَى أهمية الطيران الإسرائيلى وتعطيله لِكُلِّ العمليات البرية. **ويعترف شارون بِأَن تقدم القوات الإسرائيلية لَمْ يَتِمّ بفضل شجاعة الإسرائيليين ولَكِن بسبب الإنذار البريطانى الفرنسى لمصر الَّذِى أربك الجيش المصرى فِى سيناء** بَعْد أَن تكبدوا خسائر فادحة فِى معركة متلا وهِىَ أول صدام حقيقى بَيْنَ مصر وإسرائيل وفِى هَذِهِ المعركة خالف شارون رؤساءه كالعادة وقَرَّرَ الأشتباك مَعَ القوات المصرية بدلاً مِن الاكتفاء بالإستطلاع.

وَانتَهَت المواجهات عام ١٩٥٦ كَمَا يقول شارون بإحتلال سيناء بالكامل ،وخلال إحتلال إسرائيل لسيناء **تمكنت من تسجيل كُلّ شئ فى سجلات وخرائط ورسوم تخطيطية ولوحات وصور فوتوغرافية شاملة لشبه جزيرة سيناء** ثُمَّ يقرر شارون فِى (صفحة ١٩٩ - ٢٠٠) "أَنَا شخصيًا لَمْ أكن مقتنعًا البته بقدرة الأمم الْمُتَّحِدَة على توفير حَلّ مَا وبناءًا عَلَى هَذَا الإعتقاد فَلَيْسَ مَا يمنع مِن أَن نضطر يومًا مَا إِلَى الرجوع فَلَمْ يَكُن شارون مقتنعًا بترك سيناء وغزة لمصر" .

وَيكرر شارون فِى ثنايا هَذِهِ المذكرات أَنَّهُم دَائِمًا فِى حالة دفاع شرعى عَن النفس حَتَّى وهُم يقومون بهدم ونسف منازل قرية قبيه الأردنية بالديناميت عَلَى رؤوس أصحابها ولا منع سوريا مِن تحويل مجرى نهر دان الَّذِى كَانَت تسيطر عَلَيْهِ إسرائيل والَّتِى يَدَّعِى شارون أَنَّهُ المنطقة الَّتِى سكنها سبط دان فِى الأزمنة التوراتية.

الملاحظة الخامسة : يَدَّعِى شارون خلال مذكراته صفات النبل والفروسية، فيشير إِلَى أَنَّهُ كَانَ بوسعه تصفية آلاف الجنود المصريين الهاربين مِن سيناء بَعْد هزيمة ١٩٦٧، لَكِنَّه رفض ذَلِك "لدواعى ضميرية" رغم أَن الجيش الإسرائيلى قتل عشرات الآلاف مِن الأسرى المصريين، وقَد اشترك شارون فِى جميع المعارك ضِدَّ مصر وكَذَلِكَ فِى تحصين القوات الإسرائيلية فِى سيناء وَبناء خط بارليف ثُمَّ حرب الاستنزاف الَّتِى كَانَت كَمَا يقول شارون أخطر المشاكل الَّتِى واجهتها إسرائيل.

الملاحظة السادسة : يُشِير شارون إشارة عابرة إِلَى أَن القوات السعودية الَّتِي حاربت عام ١٩٤٨ إِلَى جانب الجيش المصرى حاربت عام ١٩٦٧ عَلَى الجبهة الأردنية ولَكِن فِى عام ١٩٧٣ كَانَت تَحْتَ القيادة السورية ويروى العلاقة بَيْنَ القوات الفلسطينية والسعودية عام ١٩٧٠ فِى منطقة البحر الميت خَاصَّة فِى قرية صافى الأردنية الَّتِى كَانَت قاعدة متقدمة للفدائيين الفلسطينيين القريبين مِن الوحدات السعودية والَّتِى استولت عَلَيْهَا إسرائيل دُونَ أَن تكترث بأثار طرد الوحدات السعودية مِنْهَا ,ويحاول شارون أَن يرسم فِى مذكراته صوره براقة للجنرال الإسرائيلى الَّذِى يتحلى ببعد النظر والعناية بأمور الحياة فِى المنطقة الَّتِى يعمل فِيهَا ولا يكتفى بالمسائل العسكرية كَمَا هُوَ حال الجنرالات فى الجيوش الأُخْرَى (صفحة ٣١٤ , ٣١٥).

وَيروى لَنَا فِى (صفحة ٣١٧) أَن أمريكا اعتمدت عَلَى إسرائيل لمواجهة القوات السورية الَّتِى دخلت الأردن لمساندة القوات الفلسطينية إبان المواجهه مَعَ الجيش الأردنى عام ١٩٧٠ مِمَّا دفع سوريا إِلَى التراجع.

وَيندم شارون عَلَى أَنَّهُ عِنْدَمَا كَانَت إسرائيل تساند الملك حسين كَانَ يجب أَن تحتل الأردن بالكامل. ويروى شارون بالتفصيل الخطة الَّتِى وضعها لقطاع غزة للقضاء عَلَى المقاومة الفلسطينية والَّتِى تقوم عَلَى تقسيم غزة كَمَا يحدث الآن تَمَامًا فِى عام ٢٠٠٢ إِلَى مربعات

لتتولى وحدات الجيش الإسرائيلى مهمة القضاء عَلَى كُلّ مربع بالكامل بَعْد دراسة دقيقة لسلوك الفدائيين ومخابئهم المحصنه وشبكة إتصالاتهم وذَلِك فِى العملية الَّتِى سماها حرب عصابات مضادة للإرهاب (مِن صفحة ٣٢٧ ومَا بَعْدَهَا).

وَأوضح أَن بناء المستوطنات اليهودية فِى غزة هُوَ جزء مِن الخطة الأمنية الإسرائيلية. ويحاول شارون أَن يظهر بطريقة متعمدة بعض صفات النبل فِى سلوك إسرائيل مِثْل أَنَّهُ فِى إطار خطة تغيير التركيب السكانى لغزة يُمْكِن إسكان ثلاثين ألف لاجئ مِن القطاع مِمَّن لَيْسَ لَهُم صلة بمنظمة التحرير داخل إسرائيل، وتعليماته للجنود بعدم دخول المؤسسات التعليمية ويُشِير إِلَى أَن **فكرة التظاهر ورمى الحجارة فِى وجوه الجنود الإسرائيليين كَانَت قائمة مُنْذُ الغزو الإسرائيلى لغزة عام ١٩٦٧ .**

الملاحظة السابعة : يعترف شارون فِى تفصيل طويل بجدية تدريب الجيش المصرى قبيل حرب ١٩٧٣ والعزم الَّذِى كَانَ يظهر فِى تدريباته ويُؤَكِّد أَن **المصريين "تغيروا جذريًا مُنْذُ حرب الأيام الستة....كُنَّا بعيدين جدًا عَن جيش سراويل الحرير الَّذِى عرفناه مُنْذُ خمسة أعوام أَى عام ١٩٦٧ "** . ويُؤَكِّد شارون خلافًا للساسة الإسرائيليين ومعظم الشعب الإسرائيلى أَن العرب جادين وأَنَّهُم يترجمون أقوالهم فِى النهاية إِلَى أفعال وكَانَ ذَلِك غريبًا فِى إسرائيل

بَعْد هزيمة الجيوش العربية فِى ١٩٦٧، ويقول أَنَّهُ كَانَ يعارض مقولة جولدا مائير الشهيرة بِأَن مجرد فكرة أَن يستطيع الجيش المصرى عبور القناة هُوَ إهانه للعقل ،مؤكدًا أَنَّهُ لَمْ يبخس المصريين يومًا قدرهم.

كَانَ شارون قَد تقاعد من الجيش بَعْد بلوغه الخامسة والأربعين قبيل حرب ١٩٧٣ وحاول أَن يجرب نفسه فِى معترق السياسة ولَكِنَّهُ فِى يوم ٦ أكتوبر استدعى عَلَى عجل ليقود الفرقة الإحتياطية فِى جبهة الجنوب فِى سيناء بَعْد أَن لاحظوا مؤشرات إستعداد مصر للهجوم ويعترف شارون بِأَن الجيش الإسرائيلى تَلَقَّى ضربات قاسية فِى الخطوط الأولى وأَن وحداته كَانَت قَد وصلت لدرجة اليأس وأَن القوات المصرية المهاجمة كَانَت مِن التصميم والقوة بِحَيْثُ اكتسحت خط بارليف ودفاعاته ويصف ليلة ٧ أكتوبر بِأَنَّهَا ليلة ذَاتَ المأسى الأكثر هولاً ويصف اليوم الثامن مِن أكتوبر بِأَنَّهُ كَانَ يومًا أسود لجيش إسرائيل الَّذِى لقى الأذى فِى الصميم ولَمْ يحصد فِى بداية المعركة سِوَى الهزائم. ويقول كَانَ الجنود المصريون هم أول مشاة فِى العصر الحديث مجهزين ومدربين لتدمير الدبابات الَّتِى كَانُوا يفرون أمامها عام ١٩٦٧، ويقول «أَن محنة ٨ أكتوبر أغرقت القيادة العليا للجيش فِى حالة مِن الذهول أفقدته صوابه والقدرة عَلَى القرار، ولَكِن فِى نهاية اليوم تَأَكَّدَ لإسرائيل مِن خلال كتيبة الاستطلاع أَن هُنَاكَ ثغرة مفتوحة بَيْنَ الجيش المصرى الثانى فِى الشمال والثالث فِى الجنوب مَعَ إغفال

المصريين تغلغل وحدات الاستطلاع الإسرائيلية. وهَكَذَا أَصْبَحَ شارون هُوَ بطل الثغرة الَّتِى أثرت عَلَى تقدم الجيش المصرى فِى سيناء وبَدَأَ الهجوم الإسرائيلى المضاد فِى الثغرة بالفعل فِى عصر يوم ١٠ أكتوبر وتغير التكتيك الدفاعى الإسرائيلى.

بقى شارون فِى الثغرة ثلاثة أشهر ونصف وأنهى بَعْدَهَا عمله فِى الجيش بأخر أمر يومى لفرقته قال فيهِ "شكل عبور القناة نقطة تحول فِى هَذِهِ الحرب - إِنَّهُ هُوَ الَّذِى أحرز لَنَا النصر". ويقول أَن إنتصار إسرائيل فِى حرب أكتوبر هُوَ أكبر إنتصار لَهَا وهُوَ نصر فريد مِن نوعه فِى تاريخ الجيش الإسرائيلى ويقول أَن جنود إسرائيل قَد أرسوا دعائم السلام وهم يعبرون القناة (صفحة ٤٤٢، ٤٤٣). أما ادعاؤه بأن اسرائيل انتصرت فى حرب أكتوبر فهذا مايحتاج إلى معيار واضح لكى يستحق هذا الادعاء مجرد الاهتمام.

الملاحظة الثامنة : أما المساندة الأمريكية لإسرائيل والجسر الجوى خلال الحرب فَقَد قلل شارون مِن أهميته ومِن أثره عَلَى استقلال إسرائيل تِجَاه الولايات الْمُتَّحِدَة وعَلَى الجالية اليهودية فِى أمريكا، مؤكدًا أَن إسرائيل لا تدور فِى فلك الولايات الْمُتَّحِدَة لأن إسرائيل ساهمت أَيْضًا إِلَى حَدّ بعيد فِى تحقيق الأهداف الأمريكية وضمان هَذِهِ العلاقات عَلَى المدى البعيد هُوَ التمسك بمبدأ المعاملة بالمثل. ويقول "لِذَا أثارت فِى قلقًا بالغًا صورة إسرائيل الضعيفة

وَالمجردة مِن سلاحها والَّتِى تدين بحياتها للجسر الجوى الَّذِى نظمته الولايات الْمُتَّحِدَة". ويعلم شارون جيدا أن هذه هى الحقيقة.

وَبَعْد حرب أكتوبر عاد شارون إِلَى السياسة وتولى وزارة الزراعة ولجنة الاستيطان، وقَد بذل شارون جهدًا وحقق حلمًا فِى تطوير المستوطنات ونزع الملكيات العربية وتهويد القدس، الَّتِى قدم عَنْهَا إحصاءات مِن خياله وحده إِذْ يقول أَنَّهُ فِى عام ١٨٤٨ كَانَ اليهود يشكلون غالبية سكان المدينة ثُمَّ تزايد عام ١٨٦٠ ثُمَّ وصلت نسبة اليهود فِى ١٨٩٠ إِلَى ٦٠٪ وهَذَا يخالف الحقيقة التاريخية مخالفة تَامَّة. ويعترف بِأَنَّهُ بخطة الإستيطان حاول أَن يحقق حلم الليكود لِكَى تقترب مِن كُلّ أرض إسرائيل. ولشارون موقف معروف فِى معارضة التزام بيجن بعدم بناء مستوطنات جديدة فِى سيناء بَعْد زيارة الرئيس السادات لِلْقُدْسِ.

الملاحظة التاسعة : أوضح شارن بجلاء ان خطط إسرائيل فِى جانب وَعلاقاتها مَعَ الجانب العربى عَلَى الجانب الآخر ولا تتأثر بِهَذِهِ العلاقات فَبَيْنَمَا كَانَت إسرائيل تعد لقمة بيجن والسادات لتوثيق العلاقات بَيْنَهُمَا فِى العريش يوم ١٩٨١/٦/٤ كَانَت إسرائيل قَد حددت يوم ٧يونيو لضرب المفاعل النووى العراقى وتخطط لإرسال شارون يومها إِلَى القاهرة لشرح موقفها. وتَبَنِّى شارون الخط المتشدد فِى إسرائيل الَّذِى يَرَى أَن تحوز إسرائيل الأسلحة النووية ولا تسمح للدول

العربية بحيازتها. وتبنى شارون شخصيًا مُنْذُ إبريل ١٩٨٠ إقناع حكومته بتدمير المفاعل العراقى عَن طزيق الهجوم الجوى حَتَّى اقتنع بيجن بالقرار وَظَلَّت تعد لَهُ فِى سرية تَامَّة طوال ١٣ شهرًا دُونَ أَن تلمح إِلَى ذَلِك علنًا. وَيقول شارون فخورًا أَن بيجن ربت عَلَى كتفه بَعْد نجاح العملية وقال لَهُ "إريك- لولا عنادك لا أدرى مَا إِذَا كُنَّا قَد أطلقنا هَذِهِ العملية". ويُشِير شارون إِلَى عدم صدور أَى رَدَّ فعل مِن العراق والعالم العربى.

الملاحظة العاشرة : أيد شارون اتِّفَاقَات كامب ديفيد لأَنَّهُ فِيمَا يقول يجب عدم تفويت أَى فرصة للتعايش السلمى. ويَرَى شارون أَن مصر هِىَ البلد المناسب للسلام ورغم ألتزامها العميق وزعامتها للعالم العربى زعم شارون أَن المصريين لا يعتبرون أنفسهم عربًا بالمعنى الدقيق وكَانَ السادات يتحدث عَن العرب بأسلوب جاف "هؤلاء العرب" وأَنَّهُم متميزون عَن العرب لأَنَّهُم أبناء حضاره سبقت الإسلام، ويقول شارون عَلَى تجريد سيناء مِن السلاح كمنطقة عازلة ,كَمَا أَن مشاكل مصر المعقدة بسبب كثافتها السكانية تعد مرتعًا خصبًا لمصالح مشتركة ,كَمَا أَن مصر فِى نظره كبيره وقوية بِمَا فِيهِ الكفاية ولا تكترث إِلاَّ بمصالحها الخاصة، وهَذَا يفسر - فى زعمه - لِمَاذَا بَدَأَتْ إسرائيل السلام مَعَ مصر ولَيْسَ مَعَ العرب. ويفاجئنا شارون بِأَن مبادرة السادات لَيْسَت بداية عملية السلام وإِنَّمَا حاول ذَلِك بيجن قبله فِى أوائل ١٩٧٧ عِنْدَمَا زار رومانيا وأوحى للسادات مِن خلال رئيس

رومانيا بزيارة القدس. ويُشير إلَى أَن السادات ساوره القلق عِنْدَمَا ألف بيجن حكومة الَّتِى تؤذن بالحرب: حَيْثُ ضمت دايان الَّذِى حارب المصريين ١٩٥٦- ١٩٦٧ ووَايزمان قائد الطيران فِى حرب ١٩٦٧ وَشارون الَّذِى ترك بصماته وجرائمه فِى كُلّ بيت مصرى بالإضافة إلَى أَن بيجن نفسه معروف بِأَنَّهُ مِن دعاة الحروب.

وَيقول شارون أَن تشكيل الوزاره بِهَذَا الشكل قصد بِهَا بيجن ردع العرب عَن المغامرة بإضرام حرب جديدة (لا زال شارون يردد نفس الوهم وهُوَ أَن العرب هم الَّذِينَ يهاجمون لإسرائيل الوداعة المسالمة وأَنَّهُ كَانَ يتعين عَلَى مصر الَّتِى إحتلت إسرائيل أراضيها أَلاَّ تحارب إسرائيل وإنَّمَا تقفز فوق حقيقة الاحتلال وتقيم السلام مَعَهَا مَعَ وجود الإحتلال). وأَن يفهم فِى نهاية المطاف أَن التفاوض هُوَ الْحَلّ الوحيد. واعتبر شارون أَن استكمال الحكومة الجديدة انسحاب القوات الإسرائيلية مِن سيناء تتذر بالخطر لأن "الخطر المصرى" خيم عَلَى إسرائيل مدة طويلة وخبرتهم بالمصريين تتسم بالعداء مُنْذُ عام ١٩٤٩ وأن إرجاع الأرض مقابل الوعد بالسلام يشكل خطرًا جسيمًا خاصة عندما أصبح إجلاء المستوطنات فِى سيناء وهِىَ قلعة آمنه لإسرائيل أمراً حتمياً .

اقترح ديان خلال مفاوضات كامب ديفيد فكرة تجريد جزء مِن سيناء مِن السلاح، وكَانَ شارون يَرَى أَن المنطقة العازلة يجب أَن تَكُون

منطقة مستوطنات. ويُؤَكِّد شارون أَن سيناء لَيْسَت جزءًا مِن أرض إسرائيل ولِذَلِكَ تراجعت إسرائيل.

وَمرة أُخْرَى كَانَ شارون هُوَ صاحب فكرة عدم الإنسحاب مِن طابا. ويزعم أَن بريطانيا بَعْد الحرب العالمية الأولى واقفت عَلَى حدود فلسطين مَعَ لبنان وسوريا والأردن ولَكِنَّهَا لَمْ تعترف قط بالحدود المصرية الفلسطينية. وزعم أَن الفريق المصرى البريطانى الَّذِى رسم الحدود عام ١٩٠٦ نقل بعض النصب داخل فلسطين لصالح مصر. وكَانَ هدف بريطانيا حين ذَاكَ أَن تسيطر مِن طابا عَلَى ميناء العقبة وظَلَّت هَذِهِ هى العقبة بَيْنَ مصر وإسرائيل، بَيْنَمَا الانسحاب يقترب مِن نهايته، ويعترف شارون بِأَنَّهُ اقنع بيجن بضرورة استغلال قلق مصر مِن عدم اتمام الانسحاب لكسب الموقف فِى هَذِهِ النقطة، وذَلِك بالاصرار عَلَى تسوية كَافَّة المشاكل المعلقة قبل إتمام الإنسحاب، ومِنْهَا قضية طابا. كَمَا يعترف شارون بِأَنَّهُ رغم إقناع بيجن بموقفه إلاَّ أَنَّهُ تمسك باحترام إتفاقية السلام وهِىَ صورة بيجن كَمَا رسمها للسادات تشاوشيسكو رئيس رومانيا بِأَنَّهُ "رجل قاس ولَكِن مَا أَن يقبل القيام بأمر مَا حَتَّى يمضى فِى إلتزامه حَتَّى النهاية ,حَتَّى آخر فاصلة".

وَيبالغ شارون فِى المصاعب النفسية والشعبية الَّتِى تحملها كوزير للدفاع نتيجة إخلاء المستوطنين مِن سيناء ويطلق عَلَى هَذَا الإخلاء "التهجير" **كَمَا لَوْ كَانَت سيناء موطنهم الأصلى.**

وَيبرر شارون فعلته الشنعاء وحقده الأسود وهِيَ قيام إسرائيل بتدمير مستعمرة ياميت بدلاً مِن تركها لمصر تبريرًا سقيمًا غَيْر مفهوم وهُوَ الَّذِي اقترح عَلَى مجلس الوزراء ذَلِك وهُوَ الَّذِي قام بالتنفيذ فَقَد برر ذَلِك بِأَن سكان ياميت سيعودون بالضرورة إِلَيْهَا ويخلقون مشاكل مَعَ مصر فتدميرها يَعْنِي قطع الطريق عَلَى عودتهم.

وكذَلِكَ عارض شارون مشروع الحكم الذاتى الفلسطينى حَتَّى لا يتحول إِلَى وعد بلفور الفلسطينى، ويُؤَدِّى إِلَى قيام دَوْلَة فلسطينية "ثانية" (إضافة إِلَى الأردن) وهَذَا يناقض أمن إسرائيل فِي نظره.

الملاحظة الحادية عشر : يخطئ مِن يظن أَن شارون هُوَ فقط قائد عسكرى. فلديه رؤية سياسية متكاملة فِي علاقة إسرائيل بالخارج. فَهُوَ يتحدث عَمَّا يُسَمَّى فِي إسرئيل "باستراتيجية محيط إسرائيل" وَتقوم عَلَى تنمية العلاقات مَعَ الدُّوَل المتاخمة للعالم العربى وَيقصد بهَا إيران وإفريقيا ,كَمَا لَهُ رؤيته بِالنِّسْبَةِ لأهمية التحالف مَعَ الولايات الْمُتَّحِدَة. فيشير شارون إِلَى أَن هدفه الأول عام ١٩٨١ كوزير للدفاع هو توسيع التعاون الاستراتيجى مَعَ الولايات الْمُتَّحِدَة إِلَى أقصى حَدّ لتحقيق المواجهه المشتركة وَللمصلحة المشتركة فِي مواجهة الإرهاب الدُّوَلِى وَالتغلغل السوفيتى. فتقوم واشنطن بتأمين الولاء لإسرائيل فِي الدُّوَل الَّتِي يسميها السريعة الغضب سياسيًا والتى يُمْكِن لإسرائيل أَن تساعدها بالخبرة الفنية وَبذلك تسد واشنطن مَا اسماه"بالخانات الفارغة" عَلَى لوحة العالم الجغرافية السياسية وهذه الرؤية هِيَ الَّتِي قدمها فِي جولته الإفريقية فِي نوفمبر ١٩٨١

(الجابون، الكونغو كنشاسا، إفريقيا الوسطى، تشاد) ويروى شارون كَيْفَ أَنَّهُ تدخل مَعَ مزاج رؤساء الدُّوَل الإفريقية وكسب صداقتهم ودعى إِلَى مزارعهم الخاصة كَمَا زار جنوب إفريقيا. ويدعى شارون أَنَّهُ لا يوجد يهودى واحد يؤيد سياسة التمييز العنصرى مَعَ أَن النظام الإسرائيلى نظام عنصرى حَتَّى النخاع. واستغل شارون زيارته اللاحقه لواشنطن لاستكمال مذكرة التعاون الاستراتيجى مَعَ أمريكا وطلب مِن واشنطن سد الثغرات الفارغة فِى إفريقيا مشيرًا إِلَى مزايا التعاون الأمريكى الإسرائيلى فِى القارة السوداء. وربط شارون كَمَا يفعل الآن بَيْنَ إسرائيل وَالولايات الْمُتَّحِدَة ودول العالم الحر فِى مواجهة الإرهاب الدُّوَلِى وسياسة التوسع السوفيتى. ولذلك اقترح عَلَى واشنطن أَن تبدأ اتصالات سرية مَعَ إيران خلال الحرب العراقية الإيرانية، حَتَّى لا ينشأ فِى طهران وضع تستفيد مِنْهُ موسكو وشرح شارون لمضيفه بالخرائط موقف الإتحاد السوفيتى مُنْذُ ١٩٢١ وَأمله فِى السيطرة عَلَى مصادر قوة الغرب وهى نفط الخليج وَثروات إفريقيا، وربط شارون بَيْنَ دخول موسكو إِلَى إفريقيا "وظهور الإرهاب الفلسطينى ضِدَّ إسرائيل" وعواقب هَذِهِ الظاهرة عَلَى إسرائيل وَعلى أمريكا فِى المدى الطويل. واقترح شارون عَلَى واشنطن أَن تستعين بإسرائيل لصد أَى تقدم سوفيتى فِى السعودية والخليج ويكشف شارون أَنَّهُ أجرى محادثات سرية مَعَ الرئيس السودانى جعفر النميرى للاطلاع عَلَى المشاكل الإفريقية حَتَّى يتمكن مِن تنفيذ سياسة محيط إسرائيل عَلَى إفريقيا (نظم هَذَا اللقاء يعقوب نمرودى أحد ضباط المخابرات العسكرية

الإسرائيلية ثُمَّ تحول إلَى مجال الأعمال وكان يحلم بتعزيز السلام العربى الإسرائيلى عَن طريق التعاون الإقتصادى بَيْنَ الجانبين). وهذه هى المرة الثانية الَّتِى يلتقى فِيهَا شارون والنميرى حَيْثُ ألتقاه أول مرة فِى جنازة السادات وقد ألتقى النميرى فِى السودان بَعْد زيارة شارون لكينيا ,ويحضور يعقوب نمرودى وعدنان خاشوقجى (ص٥٤٦ , ص٥٤٧) وناقش مَعَ النميرى مَا أسماه بالخطر الليبى الَّذِى يساعد موسكو عَلَى اجتياز إفريقيا ودوره فِى مساندة الإرهاب الدُّوَلِى وناقش مَعَهُ أَيْضًا مشروع تدريب قوات إيرانية فِى السودان برئاسة نجل شاه المقيم فِى المغرب لقلب نظام الحكم فِى إيران وكان يفترض أَن السعودية تمول هَذِهِ القوات وأن إسرائيل تزودها بالسلاح واتفق عَلَى متابعة الموضوع فِى الأسكندرية فِى يوليو ١٩٨٢ لولا غزو إسرائيل للبنان. وناقش شارون مَعَ النميرى المساعدة عَلَى نقل اليهود الفلاشا المقيمين فِى معسكرات فِى السودان مِن الخرطوم إلَى إسرائيل وكذلك يهود أثيوبيا. ويقول شارون أَن قضية الفلاشا استرعت انتباهه وهو طفل ثُمَّ ناقشها مجلس الوزراء الإسرائيلى لأول مرة فِى سبتمبر ١٩٧٧، ولكن المشروع لقى فِى البداية معارضة شديدة لعدم تأكيد هويتهم اليهودية وصعوبة دمجهم فِى المجتمع الإسرائيلى. وتم الاتفاق فعلاً عَلَى نقل الفلاشا مقابل أسلحه إلَى أثيوبيا.

ويعترف شارون بِأَنَّهُ حاول كسر الطوق العربى الإسرائيلى مِن كُلّ جانب وهذا مَا دفعه إلَى الاتصال بالسودان ومساندة الأكراد ضِدَّ

العراق والعمل فِي صفوف الثوار فِي كردستان، **ويؤكد أَن إسرائيل ساعدت اليمن فِي نضالها ضِدَّ الإحتلال الناصرى الَّذِي بَدَأَ عام ١٩٦٠ ويقول ألم يَكُن هؤلاء الثوار اليمنيون يحاربون أقوى أعدائنا** (*) كَمَا يعترف بِأَن إسرائيل ساعدت المسيحيين فِي السودان كَمَا ساندت الأقلية المارونية فِي لبنان.

الملاحظة الثانية عشر: يَرْوِى شارون قصة غزو بيروت عام ١٩٨٢ مستندًا إِلَى حجته الرئيسية وهى أَن لبنان قد إنهار وسيطر عَلَيْهِ الإرهاب الفلسطينى وأن مجرد العمليات الإنتقامية مِثْل عملية الليطانى لَمْ تعد تَكْفِى وتبلورت فكرة إجتياز لبنان مُنْذُ عام ١٩٧٩ حَيْثُ وضع الجيش الإسرائيلى مشروعًا تحددت فِيهِ مقاصده وذلك عَلَى ضوء العمليات السورية فِي زحلة ضِدَّ المسيحيين الَّتِى اعتبرتها إسرائيل تمس بأمنها فتدخلت إسرائيل فِي ١٩٨١/٤/٨ بإسقاط طائرتين سوريتين لإشعار دمشق أَن إسرائيل لا تقبل أَى تقدم سورى للأراضى المسيحية. كَمَا قامت إسرائيل بمهمات جوية فِي الأجواء اللبنانية ويشير شارون إِلَى شدة العمليات العسكرية المدفعية الَّتِى وجهتها منظمة التحرير ضِدَّ شمال إسرائيل لأن المنظمة كَانَت تتمتع ببنيه تحتيه قوية فِي لبنان ولذلك وضعت خطة (أورانيم) وهو أسم الشفرة لعملية ضرب هَذِهِ البنية التحتية السياسية والعسكرية فِي لبنان وتدخلت واشنطن لفرض الهدنه بَيْنَ الجانبين فِي ١٩٨١/٧/٢٤

(*) يزعم شارون أن أنصار الإمام البدر هم الثوار وليس ثوار اليمن الذين طلبوا التدخل المصرى بزعامة الجنرال السلال.

ولم يوافق شارون عَلَيْهَا بَلْ طالب بالقضاء عَلَى المنظمة الفلسطينية بالكامل ,وكان يَرَى أَن هَذِهِ الهدنه مؤقته وأنها لصالح الجانب الفلسطينى. وَبالفعل ازدادت عمليات المنظمة فِى الداخل والخارج ضِدَّ اليهود وكان شارون يَرَى ضرورة تأمين لبنان بإخراج السوريين والفلسطينيين مِنْهَا والبديل هُوَ قيام حكومة ديموقراطية قوية فِى لبنان لتحقق هَذَيْن الهدفين، وركز شارون عَلَى أهمية السعى إلى مساندة المسيحيين فِى لبنان. ورتب شارون زيارة شخصية لمنزل بشير الجميل رئيس الجمهورية فِى يناير ١٩٨٢ الَّذِى رافقه مِن ميناء جوتيا لتفقد المناطق المسيحية فِى لبنان. وأعجب شارون بالحياة والحيوية فِى بيروت رغم الحرب الأهلية كَمَا شبه الفاصل بَيْنَ المنطقتين الإسلامية والمسيحية بتقسيم القدس عام ١٩٦٧, (يلاحظ أَن شارون يستخدم القدس دَائِمًا للدلاله عَلَى عاصمة إسرائيل. ويقول أَنَّهُ بحث مَعَ وزير الخارجية المصرى نتائج زيارته لبيروت وأمله فِى إنشاء رابط يغير صفحة الشرق الأوسط بَيْنَ مصر ولبنان وإسرائيل).

ويتحدث شارون مطولاً فِى مذكراته عَن أَن بيروت أَصْبَحَت أكبر مركز لتهديد إسرائيل حَيْثُ يتجمع الإرهابيون مِن جميع أنحاء العالم ونقل عَن كمال حسن على وزير خارجية مصر آنذَاك انطباعه عَن هَذِهِ المشكلة حَيْثُ نصحه أَو أقره "إذَا واصلوا أعمالهم - يقصد الفلسطينيين- حطم لَهُم رؤوسهم". وقد حاولت واشنطن مساعدة إسرائيل فِى مخططها الذى يبدأ بترحيل السوريين.

وتدارس مجلس الوزراء الإسرائيلى خطة أطلق عَلَيْهَا أورانيم مِن أجل سلام الجليل، أَى حماية مدن الجليل وقراه من مرمى القصف الفلسطينى. ومن الواضح أَن شارون وهو يعبر عَن الفكر الإسرائيلى يركز عَلَى أَن هدف إسرائيل هُوَ الدفاع عَن نَفْسَهَا ضِدَّ الإرهاب وتهدف خطة أورانيم إِلَى إبعاد المدافع الفلسطينية عَن الحدود كحد أدنى وإنتهاء بطرد الإرهابيين مِن بيروت كحد أقصى. ويطلق اليهود عَلَى الإرهابيين الفلسطينيين "مينو فاليم" وتعنى الوغد أَو الحقير أَو الخسيس ويشير شارون إِلَى أَنَّهُ سَعَى إِلَى إقناع واشنطن بخطة إسرائيل ولكنه أخبر المسئولين الأمريكيين أَنَّهُ لَمْ يسع إِلَى إذن أمريكى وعندما دعى وزير الخارجية الأمريكى بيجن إِلَى إحترام إتفاق وقف إطلاق النار وضيط النفس رَدَّ عَلَيْهِ بيجن: "لَمْ يلد الَّذِى سيحصل عَلَى موافقتى حَتَّى أشهد قتل اليهود عَلَى يد عدو متعطش للدماء".

ثُمَّ جاءت حادثة السفير الإسرائيلى فِى لندن شلومو أرغوف، وكان شارون فِى رومانيا يبحث أَن تحل بخارست محل فيينا كمحطة ترانزيت لمرور اليهود السوفيت إِلَى إسرائيل. وَلا يذكر شارون مِن أسباب الحملة عَلَى بيروت إلاَّ الإعتداءات الفلسطينية وشدد مجلس الوزراء عَلَى أَنَّ هدف العملية لَيْسَ إحتلال بيروت وليس الغرض الجيش السورى أَو المدنيين السوريين وتفادى مَا حدث فِى عملية الليطانى عام ١٩٧٨ .

وقد حرص شارون خلال عرضه لخططه العسكرية عَلَى إشعار القارئ بأن القيادة السياسية الممثلة فِي مجلس الوزراء يجب إقناعها حَتَّى تقرر الموافقه عَلَى هَذِهِ الخطط، وبعد مناقشات مطولة مع معظم أعضاء هَذِهِ القيادة وإن لَمْ يَكُن كلها مِن العسكريين الإسرائيليين النظاميين أَو زعماء الملشيات أَو العصابات الصهيونية.

ويعتمد شارون فِي سرده للعمليات الحربية الإشارة إِلَى أَن أهم عناصر أخلاقيات الجيش الإسرائيلى هِيَ عدم إسقاط الضحايا عمدًا وسدى والمحافظة عَلَى المدنيين ,كَمَا أوضح التكتيك الإسرائيلى المعروف والمتكرر حَتَّى اليوم وهو عمليات التمشيط داخل التجمعات المدنية. ويحاول شارون دُونَ أَن يعلن أَن ينفى مَا أشيع عَنْهُ مِن أَن يقوم بعملياته دُونَ موافقة القيادة السياسية فنراه يقول فِي صفحة ٦١٤ مثلاً أَن إلحاحه عَلَى الحصول عَلَى موافقة مجلس الوزراء عَلَى تفاصيل العمليات العسكرية فِي لبنان كَانَ محل ملل زملائه ويقول "رغم هَذِهِ المضايقات أصررت عَلَى تقديم تقارير واضحه ومفصلة إِلَى مجلس الوزراء الَّذِي طلبت مِنْهُ التصديق عَلَى كُلّ عملية عسكرية", ولذلك كَانَت الحكومة تجتمع يوميًا مره أَو مرتين. ويلمح إِلَى أَنَّهُ يختلف عَن ديان الَّذِي احتل هضبة الجولان بأمر مِنْهُ دُونَ أَن يتلقى تعليمات مِن مجلس الوزراء ,وأنه أضفى عَلَى عمل وزارة الدفاع شفافية مطلقة ودعوة الوزراء لزيارة الجبهة مَتَى شاءوا.

ويروى شارون كَيْفَ أَن تقدم الصواريخ السورية وتعزيزها فِي الأراضى اللبنانية كَانَ يمثل ردًا عَلَى طلب إسرائيل مِن خلال الولايات الْمُتَّحِدَة سحب القوات السورية عِدَّة كيلو مترات حَتَّى تَتَمَكَّن إسرائيل مِن تدمير القواعد العسكرية لمنظمة التحرير ,ثُمَّ الضربة الإسرئيلية لقواعد الصواريخ والطائرات السورية يوم ٩ يونيو ١٩٨٢ "مستفيدين مِن دروس حرب ١٩٧٣ الَّتِي خلصنا إِلَيْهَا فِي مادة التقنيات المضادة للصواريخ".

وعندما تَمَّ توجيه هَذِهِ الضربة للقوات السورية وافق الرئيس الأسد عَلَى مقابلة المبعوث الأمريكى فيليب حبيب الذى كَانَ ينتظر المقابلة مُنْذُ الصباح الباكر ,وهنا ضغطت موسكو عَلَى واشنطن لإعلان وقف إطلاق النار فأرسل الرئيس ريجن رسالة شخصية فِي الثانية فجر يوم ١٠ يونيو لِكَى يَسْرِى مفعولها فِي الساعة السادسة صباح ذَلِك اليوم دُونَ مناقشة مع إسرائيل.

وقال شارون فِي إجتماع مجلس الوزراء العاجل صباح ذَلِك اليوم:"كُلَّمَا وَجَدَ العرب أنفسهم فِي أزمة يطلبون وقفًا لإطلاق النار، ولكننا نريد ثمنًا لِذَلِكَ وهو إنسحاب سوريا الفورى مِن لبنان قَبْلَ وقف إطلاق النار". وترك شارون الإنطباع بِأَن دخول بيروت والسيطرة عَلَيْهَا كَانَ مطلبًا ملحًا مِن زملائه فِي الحكومة والجيش والبرلمان وأنه كَانَ يقاوم هَذَا الإغراء ,وذكر أَن رئيس الوزراء بيجن اقتنع بِأَنَّهُ بَعْد أَن حقق

الجيش الإسرائيلى أهدافه يعلن وقف إطلاق النار مِن طرف واحد، وأن إسرائيل لَنْ تفاوض أحدًا "لا الأمريكيين ولا السوريين ولا هؤلاء الأوغاد الإرهابيين". حرص شارون أَيْضًا فِى روايته عَلَى التأكيد عَلَى أَن عمليات الجيش تهدف إِلَى حماية شمال إسرائيل مِن الثيران السورية والفلسطينية ولا شأن لَهُم بترتيب الأوضاع السياسية فِى لبنان وهى رواية تكسب إسرائيل عطف الراى العام (كَانَ هدف النضال الفلسطينى فِى هَذِهِ المرحلة هُوَ تحرير فلسطين ولم تَكُن منظمة التحرير قَد قبلت بَعْد القرار ٢٤٢ الَّذِى يحدد هدف النضال فِى تحرير الجزء المحتل مِن فلسطين فقط بَعْد عام ١٩٦٧ - وكانت إسرائيل تنكر أَى حَقّ للفلسطينيين عَلَى أَى شبر فِى فلسطين فِى ذَلِك الوقت - كَمَا كَانَت القوات السورية فِى لبنان للمساعده عَلَى وقف الحرب الأهلية وضمان الإستقرار فِى لبنان وذلك بقرار مِن الجامعة العربية. ولهذا السبب لا يُمْكِن أَن تعقد مقارنه بَيْنَ إحتلال إسرائيل لجنوب لبنان عام ١٩٧٨ وبين الوجود العسكرى السورى بموافقة لبنانية فِى لبنان).

ويروى شارون أَن الرئيس بشير الجميل رتب لزيارة شارون مره أُخْرَى لبيته فِى بيروت حَيْثُ وَجَدَ شارون الشعب البيروتى يعيش حياة عادية، دُونَ أَى مؤشرات عَلَى وجود الحرب فِى البلاد ,فأبدى ملاحظة مهينه للرئيس اللبنانى "كنت أعتقد أَنَّنِى سأرى رجالاً يتحركون للقتال

مِن أجل بلادهم ،ولكن انظر مِن حولك؟". (كَانَ شارون يستبق الأحداث وقد أدرك طبيعة الشعب اللبنانى عِنْدَمَا هزمت قواته فِى الجنوب وانسحبت دُونَ مقابل تجر أذيال العار فِى مايو ٢٠٠٠).

ويروى شارون أول إتصال بين القوات الإسرائيلية والقوات المسيحية لقطع الطريق على مدينة بيروت وعلى القوات السورية المسيطرة على طريق بيروت دمشق وأدى محاصرة المدينة على هذا النحو إلى شلل قوات منظمة التحرير الفلسطينية. وعند هذا الحد بدأ المبعوث الأمريكى يسعى إلى فك الإشتباك بين المواقع الإسرائيلية والسورية وتراجع القوات الإسرائيلية عدة كيلو مترات،ثم قام الجيش الإسرائيلى بهجوم عزز فيه موقعة على طريق بيروت دمشق فأدى ذلك إلى فصل القوات السورية فى العاصمة عن خارجها وقطع الطريق على أى إمداد لمنظمة التحرير.

يشير شارون إلى ظهور خلافات بين وجهات النظر الأمريكية والإسرائيلية فى هذه المرحلة عندما أصر فيليب حبيب المبعوث الأمريكى على رفض الطلب الإسرائيلى بأن يكون إنسحاب القوات الأجنبية من لبنان متوازيًا، مشيرًا إلى أن لسوريا مصالح أمنية فى لبنان. كما اختلف شارون معه حول ما اقترحه حبيب من نزع سلاح مقاتلى منظمة التحرير وجعلها منظمة سياسية بدلاً من طردها من بيروت. ولكن شارون أصر على رحيل منظمة التحرير أو تصفية رجالها وأدرك شارون أن المبعوث الأمريكى يعكس سياسة أمريكية

جديدة تقوم على إستخدام لبنان لحل مشكلة الشرق الأوسط، وإنتزاع سوريا من المعسكر السوفيتى وهذا ما يناقض المصالح الإسرائيلية، خاصة وأن واشنطن بدأت تدرك إنقسام إسرائيل حول الحرب فى لبنان، وانضم حزب العمل واحزاب اليسار إلى القوى المعارضة للحكومة فى الوقت الذى بلغ فيه الصراع مع الأمريكيين ذروته وأصرت إسرائيل على طرد منظمة التحرير بشكل نهائى.(لا شك أن شارون قد بالغ فى تصوير ما أسماه الصراع مع الولايات المتحدة لأن واشنطن استخدمت فى ذلك الوقت حق الفيتو فى مجلس الأمن لعرقلة صدور قرار يدعو إلى إنسحاب إسرائيل من لبنان).

وبينما تحاصر إسرائيل بيروت والضغوط الدولية تتكاثر عليها، قدم فيليب حبيب فى ٣٠يونيو اقتراح من تسع نقاط لتسوية شاملة يتطابق تمامًا مع الموقف الإسرائيلى ما عدا "السماح بمنظمة التحرير الفلسطينية السياسية بالبقاء فى بيروت" ورفضت إسرائيل هذه النقطة بالذات وأصرت كأولوية مطلقة على طرد منظمة التحرير.

ويشير شارون فى صفحة ٦٤١ إلى نقطة بالغة الأهمية وهى مدلول الخلافات السياسية الداخلية فى إسرائيل فقد عثرالجيش الإسرائيلى على محضر إجتماع ياسر عرفات بقيادة المنظمة يقول فيه المهم هو تغذية المظاهرات على إمتداد إسرائيل وتشجيع مطالبة حايين بارليف بأن يضاهى شارون وأملنا الوحيد معلق على مظاهرات تل أبيب وهذه الصراعات السياسية كانت تزود المنظمة بالشجاعة ولكن

شارون يرى أن هذه الخلافات السياسية هى مصدر حيوية إسرائيل وإستمرارها .وكان شارون يعتقد أن المنظمة لن ترحل من بيروت ما لم تقتنع أن إبادتها أمر محقق ورفضت الحكومة الإسرائيلية اقتراح شارون بإقتحام بيروت وفضلت استمرار الحصار وتشديده وشن حرب نفسيه وحرب أعصاب. وكان شارون يدرك أن تخلى المنظمة عن بيروت الغربية يعنى إنهيار الثورة الفلسطينية ورفضت إسرائيل المساعى الأمريكية للبحث عن مخرج للمنظمة وكان لا بد من عمل عسكرى ولابد من القضاء تمامًا على المنظمة التى تهدد أمن إسرائيل. ويشير شارون إلى دفة الموقف الإسرائيلى فى وقت تتراخى فيه المساعى الدبلوماسية ويستقيل وزير الخارجية الأمريكية احتجاجًا على العملية الإسرائيلية "سلام الجليل" فى حين يضغط شارون لحسم الموقف بغزو بيروت وترك المنظمة التى لم تمانع فى الرحيل ولكنها طلبت فى إقتراحها المؤلف من أحد عشرة نقطة تراجع الجيش الإسرائيلى وتشكيل منطقة عازلة ترابط فيها قوة دولية متعددة الجنسيات وهو مشروع قبلة الأمريكيون فقط لأنه يتضمن رحيل قوات المنظمة التى كانت ترى التحصن بالقوات الدولية وتفويت فرصة رحيلها من بيروت إلى الأبد وكان ذلك هو الرهان الكبير الذى عمل عليه شارون.

ويكشف شارون عن تقليد إسرائيلى يجب أن يفهمه العرب جيدًا وهو أن إسرائيل حزمت أمرها لغزو بيروت ولكنها تذرعت لتنفيذ هذه الخطة بما اسمته خرق المنظمة التحرير لوقف إطلاق النار وهو نفس

ما تقوم به الآن (عام ٢٠٠٠) وحيث خدع الكثيرون فى العالم العربى بأن إسرائيل ترد وأنها ليس لديها مخطط جاهز للعمل.

ويشير شارون أن إسرائيل لم تكترث برسالة الرئيس الأمريكى ريجن وتهديده بأن "العلاقات القائمة بين بلدينا فى خطر إذا غزت إسرائيل بيروت.

وقبلت إسرائيل المفاوضات على أمل أن تؤدى إلى رحيل المنظمة الفلسطينية التى بدأ أعضاؤها بالفعل فى الرحيل من بيروت ودار جدل عنيف بين شارون والمبعوث الأمريكى حول ترتيب وصول القوات الدولية إلى بيروت قبل أم بعد رحيل "الإرهابيين" ورفض شارون بحده "أوامر واشنطن" وتمسك بموقفه. وشددت الحكومة الإسرائيلية رقابتها على القيادة العسكرية التى كانت قد بدأت الغارات الجوية على المواقع الفلسطينية فى ١٩٨٢/٨/١٢ مما أثار غضب الولايات المتحدة ووجه بالذات إلى شارون.

حتى رضخ المبعوث الأمريكى أخيراً وأنذر المنظمة بالرحيل دون إنتظار إقامة منطقة عازلة أو وصول القوى الدولية. وكان ذلك أكبر إنتصار لشارون وإسرائيل ويصف شارون هذا الرحيل ليلة ١٩٨٢/٨/١٢ بأنه الشوط الأخير كما يصف حرب لبنان بأنها دفاعية كسائر حروب إسرائيل (صفحة ٦٥٧). ولكنها مثّل ٥٦ / ٦٧ أتخذت شكل الهجوم الوقائى وهى حرب فِى وجه " ألد أعدائنا وأقدمهم" .

وإذا كَانَ شارون يفخر فِي عام ٢٠٠٢ بأنه دمر البنية التحتية للسلطة الفلسطينية فأنه يفخر فِي مذكراته أَيْضًا أَنَّهُ سبق وأن دمر البنية التحتية لمنظمة التحرير فِي لبنان عام١٩٨٢ ، وإذا كَانَ شارون ينوى طرد الزعامات الفلسطينية مِن فلسطين الآن فَهُوَ لا يزال يفكر بنفس النسق الَّذِي ساد عام ١٩٨٢ وهو طرد القيادة الفلسطينية مِن لبنان إِلَى المجهول ولكن الفارق فِي الحالتين هِيَ أَن فلسطين وطن هَذِهِ القيادة.

ومن الواضح أَن الولايات الْمُتَّحِدَة شاركت إسرائيل فِي تحقيق هدفها وهو طرد المنظمة مِن بيروت وتم توزيع أعضاء المنظمة عَلَى ثماني دُوَل عربية رتبت مَعَهَا الولايات الْمُتَّحِدَة وهى سوريا واليمن الجنوبية واليمن وتونس والجزائر والأردن والسودان والعراق. ولم يخف شارون أَن طرد المنظمة كَانَ الخطوة الأولى لعقد إتفاقية السلام مَعَ الحكومة اللبنانية (وقد تولت سوريا إفشال هَذِهِ الخطة وإسقاط مشروع الإتفاقية فِي ١٧ مايو ١٩٨٣). ويقول شارون بدهاء الصهيونى المحترف فِي صفحة ٦٦٠ أَن الحرب لَمْ تَكُن ضِدَّ الشعب الفليسطينى وإنما ضِدَّ قيادته الإرهابية ولذلك فَإنه بَعْد سحق المنظمة " ذَادتَ إمكانية إقامة حوار عقلانى مَعَ الفسلطينيين غَيْر الراغبين فِي إبادتنا، وأصبح فِي الإمكان تَبَيُّنَ الخطوط العريضة لمجموعة علاقات جديدة بَيْنَ إسرئيل وجيرانها" .

ويقول شارون أَنَّهُ تمكن مِن القيام بزيارات كثيرة بَعْد ذَلِك إِلَى لبنان واللقاء بالصحافة المحلية والآدباء ورجال الفكر اللَّذَيْنِ سعدوا

برحيل المنظمة وبلغت شعبيته كما يقول فِي بيروت أَن قال مازحا سيختار لبنان إِذَا إحتاج يوما إِلَى اللجوء السياسى.

ويظهر شارون لقائه أَنَّهُ كَانَ حليفا للرئيس اللبنانى ضِدَّ الوجود الفلسطينى والسورى وأنهما يعملان معا لتحرير لبنان مِن أعدائها وعقد مشابهه عَلَى غرار المنطق الإسرائيليى فى جميع المواقف بَيْنَ تحرر لبنان وتحرر إسرائيل مِن العدو المشترك. فَبَعْد سهرة شارون فِي منزل بشير الجميل بيومين أغتيل الرئيس اللبنانى. ولذلك قَرَّرَت الحكومة الإسرائيلية السيطرة الكاملة عَلَى بيروت الغربية وسعت إيسرائيل للتنسيق مَعَ القوات المسيحية الَّتِى دخلت أَيْضًا بيروت الغربية لتقوم هِيَ بِدُخوَل الضواحى ومطاردة الإرهابيين وخاصة فِي صبرا وشتيلا.

واعترف شارون بِأَنَّهُ نسق بدخول الكتائبيين صبرا وشتيلا للقضاء عَلَى الإرهابيين يوم ١٦ سبتمبر ١٩٨٢ مساءاً تَحْتَ حماية وسيطرة القوات الإسرائيلية وفى محاولة لتوريط مجلس الوزراء يقول شارون فِي صفحة ٦٧١ أَن المجتمعين تلقوا أنباء هجوم قوات الكتائب دُونَ أَى رَدَّ فعل سلبى. وفى أول إشارة مِن مذابح صبرا وشتيلا يقول شارون أَنَّهُ تلقى فِي التاسعة مساء يوم ٩/١٦ مِن رئيس الأركان الإسرائيلية رفول إيتان أَن وحدات الكتائب تسببت خلال تنفيذ العمليات فِي مقتل مدنيين وأنه قال " لَقَد ذهبوا بعيداً " ويشير فِي صفحة ٦٧٣ إِلَى أَن قوات المنشق سعد حداد وجدت فِي مخيمات

صبرا وشتيلا أيضًا مِمَّا يُشِير إلى أن إسرائيل رتبت لهجوم كُلّ هَذِهِ القوات عَلَى مدنيين فِي مخيمات صبرا وشتيلا .

ويعترف شارون بأن مَا حدث فِي صبرا وشتيلا تجاوز المجزرة الطارئة وأنه طلب تقريراً مفصلاً عَن الكارثة. يقول شارون عَن المذابح أَن الجيش لَمْ يتورط فِيهَا بَلْ العكس فَقَد شدد الجيش تعليماته للكتائب حول مهماتها دُونَ تعرض للمدنيين ولم يشك أحد فِي إخلاص الكتائب لأن قاتل بشير الجميل لَيْسَ فلسطينيا بَلْ لبناني مسيحي.

ويقول بدأ الموضوع بتقرير فِي ٩/١٦ مِن أحد الإسرائيليين إِلَى مكتب مخابرات قيادة الشمال وتردد الضابط فِي إبلاغ مدير المخابرات ولما انتشر الخبر صباح ٩/١٧ أمر الجنرال أموس بارون ضابط الإحتياط الكتائبي بلهجة حاسمة وقف الأعمال الوحشية. وأعترف أَن الجيش أمد الكتائب بجرافات لهدم البنايات وأن الجيش قَرَّرَ أَنَّهَا العملية ليلة ٩/١٧, وإذا كَانَت أعمال الكتائب خلال ٤٨ ساعة قَد أثارت شكوك الضباط الإسرائيليين كَمَا يقول، لَكِن أحداً لَمْ يتورط مِنْهُم " وفقا لمعلوماتي وحكمي ".

ويروى شارون أَنَّهُ تراجع عَن إجراء تحقيق عسكري ولم يقدر رَدَّ فعل الشعب الَّذِي بدأ كالإنفجار والمظاهرات فِي كُلّ مكان تطالب بالتحقيق وتحديد المسئوليات. تشكلت لجنة تحقيق برئاسة إسحاق كاهان رئيس المحكمة العليا وعضوية القاضي هارون باراك والقائد المتقاعد يوتاح إفرات. وبدلاً مِن الإبتهاج بالنصر حول حزب العمل

الدفة فأصبحت الشعارات " شارون سفاح " " بيجن سفاح " تسود المظاهرات، ولمح فِى نظرات رئيس لجنة التحقيق قبل أَن يبدأ الحدة والعداء وكأنه قَرَّرَ نتيجة قبل أَن يبدأ التحقيق. ويروى شارون لقائه الأول بأمين الجميل الرئيس اللبنانى الَّذِى خلف أخاه بشير بَعْد إغتياله وعدم حماسه لإستكمال مفاوضات إبرام سلام مَعَ إسرائيل، ونفى الرئيس ورجاله أَيَّة علامة لَهُم بصبرا وشتيلا " وهم ينظرون فِى أعيننا دُونَ أَنْ يرف لَهُم جفن".

ويشير شارون إِلَى أَن أمين يختلف تماما عَن أخيه حَيْثُ اتَّخَذَ مواقف مناهضة لإسرائيل، وكان واضحًا أَنَّهُ سيظل - كأخيه - رئيس قصر بعيداً دُونَ أَن يمد سلطته على بلد موحد آمن مِن الإرهاب. ولكن كُلّ شئ يتوقف عَلَى الموقف الأمريكى. وفى هَذَا السياق أشار فِى وجود المبعوث الأمريكى إِلَى " مساهمة إسرائيل الهائلة فِى الموقع الإستراتيجى الأمريكى وفى موقع العالم الحر... لولا إسرائيل لَمَا غادر السوفيت مصر ... ولولا عملنا خلال حرب الإستنزاف عَلَى مَدَى ألف يوم وحصيلتها: مئات الْجَرْحَى لبقى السوفيت حَتَّى الآن عَلَى ضفاف قناة السويس ومرابطة القوات الأمريكية فِى سيناء والوجود الأمريكى فِى النقاط الحاسمة هِىَ شروط السلام الَّتِى أَصَرَّت عَلَيْهَا إسرائيل. وهذه القواعد الَّتِى تمكن أمريكا مِن التدخل فِى الخليج أَو غيره. وأغرا شارون أمريكا بِأَن السيطرة المباشرة عَلَى لبنان تحرم سوريا أَى الإتحاد السوفيتى مِن إبعاد واشنطن عَنْهُ. (يحاول شارون

كعادة الإسرائيليين أَن يوجد مصلحة مشتركة لإسرائيل وأمريكا فِى السيطرة عَلَى لينان). ويأسف شارون أَن هَذَا التصور لَمْ تفهمه الخارجية الأمريكية الَّتِى أعتقدت أَن إسرائيل تحارب فِى خريف ١٩٨٢ لإبرام إتفاقية مَعَ لبنان.

فِى هَذِهِ اللحظة كَانَ شارون يحاول قطف ثمار إحتلال بيروت بإرغام لبنان عَلَى إبرام إتفاقية مَعَهُ وهنا دخل فِى صراع سياسى مَعَ سوريا، وكان يخش أَن يُؤَدَّى التحقيق مَعَهُ إِلَى تبديد نتائج هَذَا العمل.

ويروى شارون بحثه المضنى عَن محام يقبل الدفاع عَنْهُ فِى قضية ساخنة أهاجت الرأى العام بَعْد أَن تلقى إنذاراً مِن لجنة التحقيق بورود أسمه ضمن مَن شملهم التحقيق.

وجهت اللجنة أسئلة محددة : هَلْ تورطت قوات الدفاع وهل أوغر سياسى أَو عسكرى بهَذِهِ المجزرة أَمْ وصله علم بهَا وهل تقاعس أحدهم عَن منعها أَو إيقافها؟ وقال دفاع شارون أَنَّهُ حين علم مِن رئيس الأركان ليلة ٩/١٧ أَنَّ الكتائب " ذهبت بعيدا فِى عملها " كَانَت الكتائب قَد انتَهَت مِن العمل وتقلت أمراً يالإنسحاب. ولو شكت الحكومة فِى نية الكتائب أرتكاب مجزرة لَمَا وافقت عَلَى دخولها الضواحى.

ويقول شارون أنه رغم قوة الحجج الَّتِى قدمها الدفاع، فأنه شعر أَنَّهُ سيدان سياسيًا لا قانونيًا وفاتح بيجن قبل صدور تقرير اللجنة فِى ان الحكومة تستطيع قبول التقرير أَو رفضه، ولكن القضية هِىَ سمعة

إسرائيل ككُلّ وفى إنتظار نتائج التقرير سَعَى شارون لتعزيز مكانة إسرائيل فِى زائير أول دَوْلَة إفريقية تعيد علاقاتها المقطوعة مَعَ إسرائيل، وفى هندوارس حَيْثُ وسعت إسرائيل علاقاتها مَعَ نيكاراجوا وغيرها (ورتبت لفضيحة كونتراجيت حين أمدت الثوار المحاربيين لواشنطن بالإسلحة فِى صدام مباشر بَيْنَ المصالح الإسرائيلية والأمريكية)، يقول شارون فِى صفحة ٦٨٨ أَن الشعور بالظلم تعاظم لَدَيْهِ كُلَّمَا فكر فِى التقرير الَّذِى ستعلنه اللجنة بَعْد أيام (أَى أَنَّهُ كَانَ موقنًا مِن إدانته)، وهو فِى نفس الوقت ماض فِى أنشطته متجاهلاً كُلّ شئ.

تَلَقَّى بيجن التقرير مساء ٧ فبراير ورفض إطلاع شارون حَتَّى نشر صباح اليوم التَّالِى. أَقَرَّ التقرير بمسئولية عدد كبير مِن المسئولين بَدَءاً مِن رئيس الوزراء بدرجات متفاوته فِى أحداث صبرا وشتيلا. وفيما يتعلق بشارون قال تقرير اللجنة أَنَّهُ تصرف تصرفا ملائما ونفت عَنْهُ تهمة التقاعس أَو التلكؤ فِى اتِّخَاذ التدابير لوقف سفك الدماء، ولكن اللجنة قالت أَنَّهُ رغم علم الكثيرين بدخول الكتائب للمخيمات فَلَمْ يتكهنوا بِأَن مذبحة تنجم عَن دخولهم إلاَّ أَن شارون بصفته وزير للدفاع كَانَ علية أَن يَكُون اكثر وعيا بالاخطار وأن يتخذ تدابير ترازية وخلصت إِلَى أَنَّهُ يتحمل " مسئولية غَيْر مباشرة " فِيمَا حدث. وأفضت أَنَّ يستخلص " النتائج الشخصة الَّتِى تفرض نَفْسَهَا "، وأن يمارس رئيس الوزراء حقه فِى " تجريد وزير مِن حقيبته ". ويعلق شارون بِأَن تِلْكَ كَانَت وصمه وأنه كَانَ كبش الفداء وهذا مَا يرفضه.

وحين وصل شارون إلَى مقر الحكومة لمناقشة نتائج التحقيق كَانَت هُنَاكَ مظاهرات مؤيدة لشارون وأخرى مِن حركة السلام الآن تصفه بِأَنَّهُ روتزياخ أَى سفاح.

ويعنى قبول التقرير استقالة شارون أَمْ رفضه فيعنى إستقالة الحكومة فحذر شارون الحكومة مِن أَن قبولها نتائج التحقيق يعنى أَن تضع عَلَى جبين الشعب اليهودى وجبين دَوْلَة إسرائيل وصمه. وأجمع الوزراء عَلَى إدانة شارون. (١٦ صوتا ضِدَّ صوت شارون) وإستقال شارون ولكن الحادث ترك غصه فِى حلقه مِن بيجن الَّذِى سلمه إلَى الجموع وتخلى عَنْهُ.

ولم يشعر شارون بالهزيمة بَعْد الإستقالة (مِن وزارة الدفاع وبقائه فِى الحكومة بلا وزارة) بَلْ شعر بالغضب والخيانة مِن جانب رفاقه ومعاقبته لمجرد مَا فعله "مسيحيون فِى عرب مسليمن " وتحدث عَن اضطهاد والديه ونظرة الإحتقار فِيمَن حوله.

يتحدث شارون عَن عودته المفاجئة إلَى الحياة السياسية فِى هَذَا المناخ المتردى وغير المواتى بِالنِّسْبَةِ لَهُ وحصوله فِى رئاسة اللكود عَلَى ٤٢,٥ ٪ وسعيه مَعَ بيريز عَلَى تشكيل حكومة وحدة وطنية.

ويؤكد شارون بعض المقولات الَّتِى حرص خلال المذكرات عَلَى ترديدها مِثْل أَن إسرائيل لا يجوز أَن تتحول إلَى دَوْلَة عادية تقنع بحياتها اليومية فلابد مِن متابعة الأهداف القومية (يَعْنِى الصهيونية) وأن الثوار واليهود يدين لَهُم الغرب بحضارته، وأن إسرائيل تفشل إذَا

عاشت كديمقراطية غربية عادية، وأن إسرائيل تواصل فِى الحياة اليهودية مُنْذُ أزمنة التوراة وتبديد "وهم" أَن النَّاس جاءوا إِلَى إسرائيل بَعْد المحرقة أَو أَن ذَلِك يتزامن مَعَ ولادة الحركة الصهيونية، أَو أَنْ أول إحصاء سكانى أجرى فِى القدس عام ١٨٤٠ أوضح أَن اليهود يشكلون غالبيتها الساحقة!.

ويصر شارون عَلَى أن اليهودية هِىَ المرتبطة بفلسطين، أَمَّا الصهيونية فَهِىَ الَّتِى أنتجت الإسرائيلى فَهُوَ يهودى أَوَّلاً وهو فخور بِذَلِك، ثُمَّ أَنَّهُ إسرائيلى. وبأبتعادنا عَن الجذور اليهودية يثور الشك حول حقنا وأننا لَمْ نسرق حَقّ غيرنا. ويرى ضرورة التأكيد عَلَى التماثل بَيْنَ إسرائيل واليهودية لأَنَّهُ شرط بقائهم ويصف فِى بجاحة كَيْفَ أَن المستعمرين الأوائل جاءوا إِلَى القرى وحولهم العرب الأعداء، ولكن اليهود تصرفوا فِى البلاد كأنهم أصحابها التاريخيون وتصرفوا كملوك.

وفى الختام يذكر شارون مَا أسماه بالمهن اليهودية الَّتِى برع فِيهَا اليهود وهى الزراعة والطب ويشير إِلَى أَن إسرائيل تستطيع أَن تقدم الكثير لِدُوَل المنطقة وأن التعايش بَيْنَ العرب واليهود ممكن ولكن السلام لَنْ تصنعه الاتفاقيات، وإنما تصنعه الحاجة المشتركة ومتطلبات العيش المشترك، وأنه أقترح عَلَى الرَّئيس السادات بدلاً مِن تشييد نصب تذكارى عَلَى الحدود نصفه فِى إسرائيل ونصفه الأخر فِى مصر، بدلاً مِن ذَلِك بناء مستشفى مصرية إسرائيلية يعمل فِيهَا أطباء وممرضون مِن الطرفين واهتم شارون فِى خاتمة مذكراته بعلاقة

إسرائيل باليهود خارج إسرائيل، واعتبر أن وجود إسرائيل واستمرارها مرهون بمساندة الشعب اليهودى فى المهجر، وأن إزدهار دَوْلَة إسرائيل هُوَ أمل يهود المهجر ولذا فعَلَى الجانبين مسئولية متبادلة لأن إسرائيل لَيْسَت مشروعا إسرائيليًا فحسب ولكنها مشروع يهودى عالمى وبسبب العزلة الَّتِى تعيش فِيهَا إسرائيل والأخطار الجسيمة الَّتِى تحدق بِهَا فلابد مِن الجهاد الشامل فِى سبيل تنظيم قوة الشعب اليهودى العظيمة.

ولكن شارون فِى هَذَا الصدد لم يتحدث عَن مشروعه فِى تهجير يهود المهجر إِلَى إسرائيل عَلَى النحو الَّذِى فعله عِنْدَمَا عاد مرة أُخْرَى للحياة السياسية عام ٢٠٠٢ ويرفض شارون فى مذكراته فصل العرب عَن اليهود داخل إسرائيل وإنما التأكيد عَلَى أن عرب إسرائيل هم إسرائيليون وإذا كَانَ هؤلاء العرب لا يخدمون فِى جيش إسرائيل لأن إسرائيل تحارب شعبهم فَإِن شارون يتوقف إِلَى اليوم الَّذِى يحل فِيهِ السلام بَيْنَ العرب واليهود. أما السلام فِى نظر شارون فَهُوَ ضرورى للطرفين العربى والإسرائيلى ولكن للسلام شروط، الشرط الأول : أَن يَكُون السعى إِلَيْهِ متبادلاً. والشرط الثانى : عدم التسرع فِى المفاوضات والشرط الثالث: حَلَّ مشكلة اللاجئين. وهذا يتطلب تعاون إسرائيل والعرب والولايات الْمُتَّحِدَة وأوربا.

أما الدَّوْلَة الفلسطينية، فيرى شارون أَنَّهَا قائمة فعلاً فِى الأردن مُنْذُ عام ١٩٢٢ وعاصمتها عمان إِلَى جانب الدَّوْلَة اليهودية وعاصمتها

أورشاليم القدس ولا يُمكِن إقامة دَوْلَة فلسطينية ثانية عَلَى الضفة الغربية (كتب شارون ذَلِك قبل أَن يعلن الملك حسين فِى أغسطس ١٩٨٨ فك الإرتباط بَيْنَ الضفة والقدس الشرقية وبين الأردن وتأكيد تبعيتها لمنظمة التحرير الفلسطينية).

ويقول شارون ان صغر إسرائيل وزرعها فِى هَذِهِ المنطقة يجعل أمنها يتقدم كُلّ الأولويات ولم ينس شارون فِى ثنايا هَذِهِ المذكرات أَن يُؤَكِّد عَلَى وهم يريد ان ينقله إِلَى القارئ وهو أَن شعب إسرائيل عمره فِى هَذِهِ المنطقة أربعة آلاف عام لَمْ ينقطع وجوده فِيهَا وأنه كَانَ دائما أمه متماسكه.

(نذكر فِى هَذِهِ المناسبة إننى كتبت مقالاً بجريدة الأهرام يوم ١٠ يونيو ١٩٨١ فندت فِيهِ خطأ النظرية الَّتِى ساقتها إسرائيل لتبرير قصف المفاعل النووى العراقى وهِىَ نظرية الدفاع الشرعى الوقائى وقَد طورها الفقة الصهيونى طوال الخمسين عامًا الماضية ولَكِنَّهَا لاتَلَقَّى قبولاً فِى الفقة العالمى الجاد مِثْل إيان براونلى وغيره. انظر فِى ذَلِك تفصيلاً فِى رسالتنا إِلَى جامعة باريس حول نفاذ الإجراءات القمعية الَّتِى يقررها مجلس الأمن فِى القانون الدُّوَلِى والداخلى، باريس ٢٠٠١ الفصل الأول.

القسم الثالث

موجز المذكرات : المحطات الرئيسية

نقلنا فى هذا القسم أجزاء من المذكرات بلفظها مع تعليقنا عند الضرورة ويشتمل هذا الفصل على مايلى :

أولاً : نشأة شارون ووسطه الاجتماعى :

الوسط العائلى الجاف :

يقول شارون : لم أعرف علامات المودة هذه فى كنف عائلتى. فأبى صموئيل وأمى فيرا كانا من طينة مختلفة تماماً، فلم يكونا يفصحان أبداً حتى عن عواطفهما الأكثر جيشانا. ومع ذلك كانا يكنّان لنا، أختى ريتا وأنا، محبة عميقة، ولكن من دون أن يعبّرا عنها، خصوصاً ببراهين حسية. والصفات التى قد ترسم صورة أهلى كانت القوة والعزم والعناد. ففى موشارف كفر ملال حيث كانا يديران مزرعتهما وحيث ولدت فى العام ١٩٢٨، كانا معروفين بطبعهما القاسى. وحتى بين الروّاد العتاة الذين حولوا أرض كفر ملال المحَصاة الجافَّة إلى تربة خصبة كان عنادهما يبقيهما على حدة، وغالباً معزولَين تماماً.. كانا يختلفان عن سكان كفر ملال بسِمات أخرى كثيرة. فمعظم الأزواج الأربعين تقريباً فى القرية كانوا من الصهاينة العماليين القادمين من « غيتوات» وضياع التجمعات اليهودية فى شرق

أوروبا. وعلى غرار رواد الموجتين الثانية والثالثة من المهاجرين كانا قد جاءا إلى اسرائيل (هى فلسطين فى نظر العالم كله، ولكن فى نظرهما « أرض اسـرائيل » أو « بلاد اسـرائيل») ليس فـقط لاحـيـاء الوطن القومى للشعب اليهودى بل ايضاً لبناء نموذج عن الاشتراكية. فالقرية الزراعية التعاونية المسماة « موشاف» كانت بالنسبة اليهما أداة هذا المشـروع: مكان تقطن فيه كل عـائلة بيتـها الخـاص وتزرع أرضـها الخـاصـة، ولكن حيث القرارات المهـمـة مثل الغرس والبـذار والجنى وتنظيم السـوق كـانت تؤخـذ على نحـو جـمـاعى؛ مكانا حـيث القـيم الجماعية كانت تعلو عما عداها.

كان على الأمور أن تحدث وفق هذا التصور. لكنّ والدى لم يجد فى كفر مـلال أى قالب مـوافق له. فهو مثل جيرانه كـان صهـيونياً متـحـمـساً، لكنه لم يكن اشـتـراكيـاً. على العكس. إذا كـان من كلمة تستطيع تحديده فهى كلمة «فردى». والأسوأ هو أنه لم يكن يسعى إلى اخفاء عدائه لأولئك الذين كان يعتبرهم عقائديين لايمكن اصـلاحهم. ففى عالم « الموشاف» السياسى والاجتماعى المصغّر كانت طبيعة مثل طبـيـعـة أبى تُعتـبـر « تافـهـة» و « وغـيـر متّسِـمـة بالجدّية ». بيد أن الاحـتـكاكـات بين أبى والسكان الآخـرين كـانت تعطى احـيـاناً نتـائج ايجابية. فتجديداته على صعيد الغرس والمزروعات، التى كان يعتمدها على رغم مقاومة الجماعة.

ولولع جدى بالثقافة ارسل والدى يتلقن فى المدارس الروسية الابتدائية والثانوية، اللغات الفرنسية والألمانية واللاتينية. وهو لقّنه بنفسه اللغة العبرية واطلعه على خفايا الكتاب المقدس والفلسفة الصهيونية. ولاقتناع والدى العميق بدعوته كمزارع عتيد فى أرض الميعاد، تسجل بعد انهاء دروسه الكلاسيكية فى كلية الزراعة بجامعة تيفليس حيث كانت العائلة قد استقرت هرباً من نيران معارك الحرب العالمية الأولى . هناك التقى فيرا – طالبة الطب فى الجامعة نفسها.

نزوح الوالدين من أوكرانيا :

اتت فيرا من موهيلوف ، على نهر الدنيبر، فى روسيا البيضاء. كانت عائلتها العائلة اليهودية الوحيدة منذ أجيال فى قرية هالافينشيشى الصغيرة. فوالدها كان مستثمراً حرجياً ينجِّر العوارض الخشبية الكبيرة والهياكل للأبنية ويدير غابات يكتريها. ومع أن عائلة شنيروف هذه كانت تعيش فى وسط شعب كله من قبائل الموجيك فإنها نجحت نوعاً ما فى الإبقاء على شعلة الديانة اليهودية بدعوتها عائلات يهودية أخرى إلى الاحتفال معها بالأعياد. و هذا التعلق بإيمانهم وتقاليدهم انتزع احترام جيرانهم المسيحيين أنفسهم. ولذلك فعندما قامت حركات السلطة القيصرية لاستئصال اليهود (بوغروم) فى منطقتهم خلال عامى ١٩٠٥ و١٩٠٦ لم تُمسَّ شعرة واحدة من

رؤوسهم. ولكنّ هذا الاستثناء فى المعاملة قد يكون عائداً ايضاً، من بين أسباب أخرى ، إلى قوة جدى لامى الهرَقْليّة. كان آل شنيروف مفرمين بالمعرفة والثقافة. ومع أنهم قاسوا شظف العيش بعيداً عن الترف فقد أرسلوا كلا من أبنائهم الثمانية للتعليم فى مدرسة المدينة المجاورة. وقد أنجز أربعة من هؤلاء دراستهم الجامعية بفضل مساعدة البكر يوسف.

ولذلك مع اقتراب جحافل الجيش الأحمر وضع والدى خطتهما موضع التنفيذ: تزوجا فى ربيع تلك السنة نفسها وهربا من تيفليس قاصدَين مرفأ باطوم على البحر الأسود، ومنه ابحرا إلى اسرائيل .

إذاً ، فى العام ١٩٢٢ استقر صموئيل وفيرا فى كفر ملال. سكنا بالفعل خلال الأشهر الثمانية عشر الأول تحت الخيمة وتصببا دما وعرقا ليفرسا فدان الأرض القاحلة التى منحاها. وسيمر وقت طويل قبل أن يتمكن صموئيل من بناء «بيته» : غرفتين صغيرتين وسقيفة متواضعة تستعمل كمطبخ. فى البدء سيسكن أهلى فى إحدى الغرفتين لأن الثانية ستأوى بغلة وبقرة. وكانت الجدران الداخلية مطلية بطين ممزوج بقش وسواد طبيعى مجفف.

كان نقب الأرض وغرسها وقطف الثمار وحصد الحبوب بمثابة اشغال شاقة لوالدىّ. لاسيما فى السنوات الأولى قبل أن يتمرسا فى عمل الأرض المضنى.

كان بطبعه عاجزاً عن قبول التسويات والحلول الوسط، وهذه كانت مشكلته الكبرى. يضاف إلى ذلك ايضاً انه كان مهندساً زراعياً يتحلى بالروح العلمية، إضافة إلى كونه صاحب رؤى فى هذا المجال. ولم يكن كذلك رجلاً يلوذ بالصمت أو يبتلع ضغائنه. فإذا ظن أن الغير مخطىء أو ليس على صواب كان عليه أن يقول له ذلك. وإذا كان مقتنعاً أنه هو على حق لم يكن يتراجع قيد أنملة حتى ولو قام الجميع ضده.

هذا المناخ من النزاع وسم كل طفولتى. لأنه لم يقتصر فقط على الراشدين. ففى قرية قليلة السكان كان يستحيل ألاّ يلحظ الأولاد وجود شقاق بين الكبار. كنت أحس جيداً أن هذا التوتر المستديم بين أهلى وجيرانهم كان يلقى بوزره على علاقاتى معى اترابى. وكان ذلك يؤلمنى . أجهل ما إذا كان رفاق عمرى يقاسموننى شعورى هذا، لكنَّ نتائج هذا الوضع كانت بادية للجميع. فالألعاب التى كنا ننظمها فى الحقول والبساتين كانت تتوقف عند باب بيتنا وبيوت غيرنا بالطبع. فكنت أشعر بأنى وحيد، معزول. وكنت اتساءل دائماً « كيف تجرى الأمور» عندهم، فى داخل منازلهم. وهذه الاهانات كانت تجرحنى وتشوشنى بعمق.

كانت الدكتورة فوغل، الروسية الأصل ، صديقة حميمة لأمى التى كانت تدعوها أحياناً إلى غداء قوامه الملفوف والبورشتش.

كانت تزورنا فى رفقة زوجها ڤانيا لتمضية سهرة « ناطقة باللغة الروسية ». كنت استمع إلى الحديث من سريرى، فتسحرنى فى آن شخصية الدكتورة فوغل وقصتها المرددة مراراً عن وصولها إلى كفر ملال.

علمت الدكتورة فوغل بعد وصولها بقليل إلى فلسطين أن مستوصف كفر ملال معروض للبيع. فاشترته من صاحبه المرّض العسكرى والمتقاعد. (عند هذه النقطة من السرد كان الجميع يوجهون أنظارهم نحو سريرى ليتأكدوا من أننى غافٍ). يلمح شارون إلى الخيانة العربية والعقوبة اليهودية المقابلة فيقول: « كان لهذا المرض زبائن عرب عديدون ، ويُروى أن جاره القريب، الأفندى العربى، كان عشيق زوجته. فعندما اكتشف المرض سر الخيانة لم ينبس ببنت شفة بل انتظر الفرصة المناسبة لينتقم. وسرعان ماتوفرت هذه. كان الأفندى يتعالج فى انتظام عند المرض من مرض ظهره. ذات يوم اقنعه هذا بضرورة إجراء جراحة « هينة » له. وهكذا صار، ولكن عندما استيقظ الأفندى من البنج وجد ظهره مثنياً فى حدبة رافقته مدى العمر. ولأن المرض خشى انتقاماً كان يبدو حتمياً فقد سارع إلى بيع عيادته وسافر بحراً إلى فرنسا. هناك درس الطب جدياً وصار فى مابعد الطبيب الشخصى لملك المغرب».

ثانياً: بداية العداء الشارونى للعرب :

التوتر العربى الصهيونى وبداية العداء الشارونى للعرب :

يركز شارون على أن القرى العربية كانت تتربص بالقرى اليهودية، فى نبرة لاتخلو من الشكوى من الروح العربية العدائية . فيقول:

« عنصر آخر ثابت فى عالمنا الصغير: **التوتر المستمر بين سكان الموشاف** والعرب الذين تتوزع قراهم ومخيماتهم بين المستوطنات الزراعية اليهودية » . كانت كفر ملال قد دمرت أثر هجوم عربى فى العام ١٩٢١، أى قبل سنة من استقرار أهلى فيها. وكادت أن تتهدم ثانية خلال التمرد العربى فى العام ١٩٢٩، بعد ولادتى بسنة. وإذا استثنينا بعض الحقبات الهادئة يمكن القول أن الحياة لم تكن هادئة أمينة جداً فيها. اذكر رحلة قمت بها بالاوتوكار مع والدتى من أورشليم إلى تل أبيب، وكان عمرى خمس سنوات، لمعالجة عينى. وخلال الرحلة كلها جلست القرفصاء فوق مقعدى، رانياً بعمق إلى المرتفعات اليهودية فى محاولة لاكتشاف علامات محتملة لوجود ابو جلدة، الارهابى العربى الشهير، المتخصص فى نصب الكمائن على طريق اورشليم.

عندما بلغت الثالثة عشرة بدأت أنا أيضاً أقوم بالحراسة فى الحقول. كنت أجلس فى الظلمة، مسلحاً بعصا وخنجر قفقاسى

مزيَّن القبضة اشكه تحت حزامى، وهو هدية من والدى فى إحدى المناسبات.

خلال ليالى السهر الطويلة تلك، وحيدا مع نفسى، كنت استجمع قوتى من عاطفة غدت معروفة: وعيى لاستقلالى كنت احسن أنى سيد مصيرى، وهذه الثقة لم تضعف عندما لاحظت ذات ليلة حركة مشبوهة. تفحصت الظلمة فتعرفت على والدى الذى جاء يتفقدنى فقط. كم من الليالى قضاها هكذا فى جوارى من دون أن أدرى؟ يستحيل علىّ معرفة ذلك. وأنا لم اكشف له ابداً انى رأيته.

تصوير شارون للثورة العربية الكبرى (التمرد العربى):

وجاء العام ١٩٣٦ ليرسم مفصلاً جديداً. ففيه اندلعت «الأحداث» أو «التمرد» العربى بسلسلة من الاغتيالات وأعمال التخريب. كانت كل قرية من القرى اليهودية المحاصرة تعرف اسماء ضحاياها، ومن خلال محادثات الراشدين كان يُستشف توقعات متشائمة داكنة. ألا يزال من الواجب تذكير أى كان كم كانت الحياة خطرة بالنسبة إلى اليهود المعرَّضين للعنف العربى المنظم فى ظل لامبالاة الحكومة البريطانية ؟ مازلت أذكر أمى تقول أنه يتعين علينا أن نستعد « للصمود» . وقد الحت على والدى حتى يدربها على استخدام بندقيته الألمانية القديمة « الماوزر»، المخبأة فى

صندوق خشبى مطمور تحت قش التبان. كانت هذه « الماوزر» غير شرعية، مثلها فى ذلك مثل مخبأ السلاح فى الموشاف،المحفور فى جدار البئر الجديد؛ وكان صاحبها معرض للسجن عند اكتشافها. ومع ذلك كان أبى يخرجها من التبان ليحرس خلال الليل متسلحاً بها.

عندما أخذت أكبر بدأت أفهم أن العداوة ليست حكراً على اليهود ضد العرب بل هى تتحكم باليهود بعضهم مع بعض. هنا أيضاً وعيت الظاهرة أثر الخلافات العميقة بين أهلى وباقى سكان الموشاف. لكنى ميزت فى الصراع اليهودى - اليهودى بعض المرارة التى تتجاوز كثيراً الخلافات المألوفة حول المواسم وطرائق الزراعة. فهذه المرة كانت المسألة تتعلق بحاييم ارلوزوروف، القائد الصهيونى الاشتراكى الكبير، الذى اغتيل على شاطىء تل أبيب. ولقد عزيت هذه الجريمة إلى يهود آخرين من غير حزب المابای الصهيونى الاشتراكى المسيطر. وفى تلك الاثناء سمعت للمرة الأولى اسم زائيف جابوتينسكى يتردد عندنا كخصم لابن جوريون وحزبه المابای فى الجانب الصهيونى. ولقد اتهم محاربو جابوتينسكى بمصرع ارلوزوروف.

لكنى فى العام ١٩٤١، وكان عمرى ثلاث عشرة سنة، دخلت ليسيه تل أبيب الواقع على بعد ساعة سفر بحافلة بطيئة تنقل

الأولاد من القرى البعيدة عن المدينة . كنت أصل باكراً فى الصباح - واستطيع اذاً أن أجتاز سيراً على الأقدام الكيلو متر ونصف الكيلو متر الذى يفصل موقف الباص من الليسية فى شارع غاوولا، ليس بعيداً من الشاطىء. وعند انتهاء آخر امثولة كنت أحب التسكع فى سوق بتسالال أو فى سوق الكرمل؛ فاشترى الفلافل، وحتى كباية ليموناضة عندما يتوفر معى ثمنها. ثم كنت أذهب لرؤية جدتى لنجرى محادثة ودية.

كانت تل أبيب ، فى نظرى، نوعاً من خيرات السماء. بعد انتهاء الصفوف كنت أحب التنقل فى الأسواق المسقوفة، متشمماً الروائح التى لاحصر لها المنبعثة منها: دخان الششليك والكباب، ورائحة الخبز الخارج طازجاً من الفرن وفطائر السبانخ المطيَّبة بالافاويه.

كانت تل أبيب بالنسبة إلىّ عالماً جديداً من كل وجهات النظر، مكاناً أنسى فيه سورات الغضب والتجاوزات الانفعالية التى كنت اكابدها غالباً فى قريتى. كان التغيير جسدياً تقريباً، كما لو كان ازيح عنى حمل ثقيل. لم أعد رازحاً تحت توتر شديد أو خاضعاً لسيطرة انفعالاتى. كان نوع من التحول يحدث فى داخلى، وكنت أعيه وإن لم أفهم معناه تماماً. فى اختصار، كنت أحس أنى اقترب من النضج.

بداية إعداد العصابات الصهيونية :

وفى ١٩٤١ اطلقت الوكالة اليهودية حملة لصالح انشاء فرقة عسكرية من اليهود فقط، وهو مشروع ظلت السلطات البريطانية ترفضه حتى العام ١٩٤٤ عندما أنشئ أخيراً لواء يهودى للمساهمة فى حملة ايطاليا.

فى فلسطين نفسها كَثَّف الجيش اليهودى شبه السرى - الهاغانا- تدريب رجاله، وعندما بلغت الرابعة عشرة من عمرى لُقِّنتُ أسرار العمل فى الخفاء. جُمع أحداث القرية، بمن فيهم أنا، فى نظام داخل أحد بساتين الليمون فى خراج القرية. وبعد انتظار قليل أُدخِلنا تباعاً إلى كوخ صغير. هناك كنا نضع يداً على التوراة والأخرى على مسدس ونقسم يمين الولاء. لم تكن الحفلة تحمل فى طياتها شيئاً مؤثراً، لكنَّ فكرة المساهمة على نحو نشيط فى الدفاع عن الجماعة كان يعنى لنا الشىء الكثير فى العمق.

كانت كل مأساة يعيشها الناجون من الجحيم النازى - وما أكثرهم !- تطرح على بساط البحث كيفية التصرف ازاء الانكليز. وكانت إحدى منظمات المقاومة الشديدة الصلابة، اللاحى أو مجموعة شترن، قد حسمت المسألة منذ بداية الحرب. فبالنسبة إليها كان الانكليز مسئولين عن استشهاد اللاجئين، ولايخفف من ذنبهم كونُهم يحاربون ضد المانيا النازية. وكانت منظمة الأرجون تزافاى لايومى

المقاومة، وهى أكثر أهمية من ناحية العدد ويقودها مناحيم بيجين، قد كظمت غيظها فى البداية. ولكن فى نهاية ١٩٤٣، عندما مالت كفة النصر إلى جانب الحلفاء، قررت الايرغون هى أيضاً أن ساعة التمرد المسلح قد دقت. فشوهدت المناشير تنبت كالفطر على الجدران، ووُزعت جرائد سرية تدعو الشعب إلى الثورة. أما حزب الأكثرية بيشوف فقد ظل على موقفه السابق، أى اعتبار نفسه طالما استمرت الحرب حليفاً لبريطانيا العظمى على رغم سياستها المناهضة للصهيونية والتى يدفع ثمنها الناجون من بين المجموعات اليهودية الأوروبية . لكنَّ الايرغون والشترن كانا يقولان بالكفاح المسلح ويقرنان القول بالفعل.

فى مدرستنا كان بعض الطلاب ينتمون إلى هاتين المنظمتين فيما آخرون ينضلون فى صفوف الهاغانا، الجيش السرى الأكثرى. كنا نقرأ كل الاعلانات والمنشورات الدعائية التى تصدرها حركات المقاومة، وكان كل منا يدافع باندفاع عن القضية التى يعتبرها الأفضل. وكنا على اطِّلاع كامل على تصرفات السلطات الانتدابية ، فبدأت العداوة ضد الانكليز تتحول إلى كراهية. وفوق هذا الهيجان كانت الأحزاب السياسية لاتزال تتقيد بأوامر الوكالة اليهودية الحاثة على الاعتدال والتعاون. ولكن كيف نشهد مآثر الايرغون وفريق شترن ضد الانكليز من دون أن نحسدهما على شاجاعتهما ومبادرتهما؟

اعتراف شارون فى فضيحة موين:

ظلت الحركة الصهيونية ترفض الاعتراف بفضيحة موين حتى كشفها شارون بقوله : « فى السادس من نوفمبر ١٩٤٤ اقدم عميلان لشترن على اغتيال اللورد مُوّين، الوزير البريطانى المقيم فى القاهرة الذى كان كثيرون يعتبرونه كمُلْهِمٍ لسياسة التشدد ضد اللاجئين والناجين اليهود. تبع الاغتيالَ عملية اصطياد حقيقية قامت بها الهاغانا ضد عملاء الايرغون والشترن لتسليمهم إلى الشرطة البريطانية ، فى عملية مطاردة ستبقى فى حوليات البلاد تحت مصطلح «فصل». من جهتى كنت اتقجَّر فى داخلى .

إعجاب شارون بالارهاب الصهيونى ضد الانجليز:

يقول شارون: نجحت فى اخفاء إعجابى بهؤلاء الشجعان وتفهمت إجراءات الوكالة اليهودية لتدارك اغتيالات جديدة ضد البريطانيين. والحقيقة أن توقيف أولئك القناصين وعقابهم بديا لى بالحرى مبرَّرَين، ولكن أن يُسلَّما إلى ايدى الانكليز فذلك مالم أقبله! كيف يُسمح ليهود أن يشوا باخوتهم أو يسلموهم؟ تلك فى نظرى جريمة حقيقية، وعار لم أكن أرتضى أن أشارك فيه.

ثالثاً: قصة تقسيم فلسطين والمواجهة العربية الصهيونية ١٩٤٨ :

عند نهاية الصيف انهت اللجنة الخاصة للأمم المتحدة أعمالها وقررت أن الحل الوحيد العادل هو تقسيم البلاد لتُنشأ فيها دولتان، واحدة يهودية وأخرى عربية. فى هذا الخريف المتأخر الذى كان يبدو بلا نهاية كانت الجمعية العمومية للأمم المتحدة آنذاك فى لايك ساكسس بولاية نيويورك، تكرس أعمالها لمشروع التقسيم. وحصل التصويت يوم ٢٩ تشرين الثانى (نوفمبر) ١٩٤٧. وصدف أنى كنت ذلك المساء فى المنزل استمع إلى الراديو مع والدىّ.

فيما كان الأمين العام المساعد يقرأ لائحة اسماء المندوبين كنا نحن الثلاثة نعد الأصوات: ثلاثة وثلاثون بلداً صوتوا مع المشروع ، وثلاثة عشر بلداً ضده، وامتنع عشرة بلدان عن التصويت. وهكذا نجح مشروع التقسيم بلا عناء. وصارت دولة اسرائيل امراً واقعاً فى نظر الأمم المتحدة.

الرفض العربى للتقسيم :

ماكادت تعرف النتائج حتى تدفق سكان كفر ملال إلى الشارع الرئيسى وعقدوا حلقة رقص وغناء. لكن بهجتهم كانت آنذاك ممزوجة بهَمٍّ دفين. صحيح أن الدولة اليهودية ولدت على يد الأمم المتحدة، لكنَّ الناس لم تكن تتعلل بالأوهام. فجميعنا كنا نعرف أن العرب لن يقبلوا مشروع التقسيم. وكان دم كثير قد سال خلال

الهجوم الاول على اللطرون
٢٦ ايار (مايو) ١٩٤٨

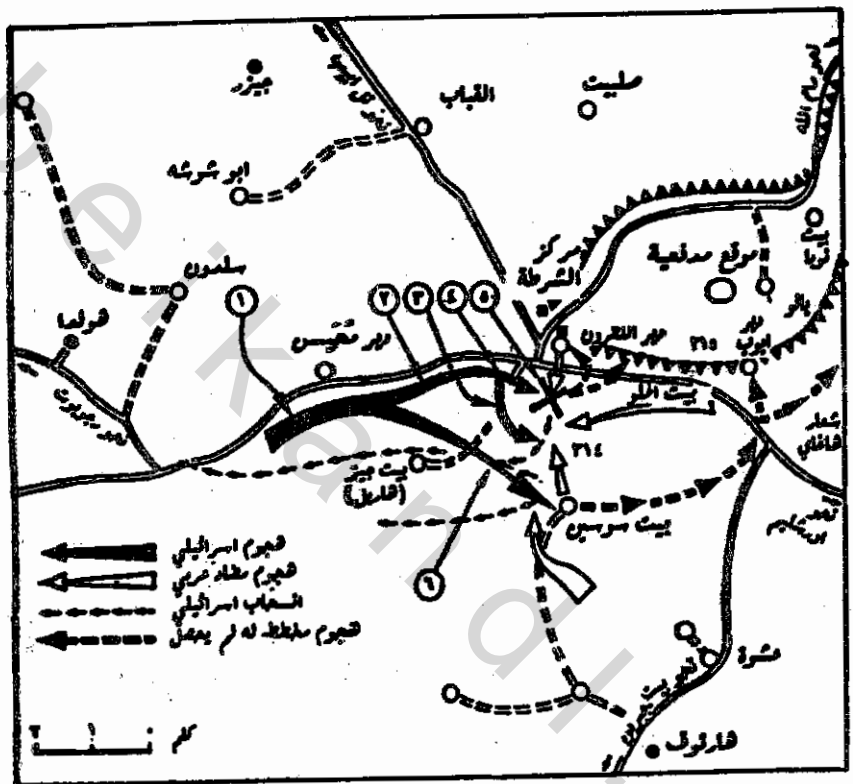

(١) - اللواء السابع (يتضمن الكتيبتين ٣٧ و ٧٢).
(٢) - الكتيبة ٣٢ (من لواء الكسانسوني).
(٣) - السرية "أ" من الكتيبة ٣٢ .
(٤) - السرية "ب" من الكتيبة ٣٢ .
(٥) - فصيلة القتال الدرزي (بقيادة شامون) من السرية "ب".
(٦) - الكتيبة ٧٢ .

كانت بلدة اللطرون ، التي تشرف على اهم مناطق الارتكاز في الطريق القديم المؤدي الى اورشليم ، مفتاح صمود هذه المدينة نوعاً ما. وقد تعرضت البلدة لهجومات متعددة قامت بها القوات الاسرائيلية حتى قدمت ميدان المعركة الاكثر شراسة في حرب الاستقلال. شارك شامون في الهجوم الاول على اللطرون واصيب بجرح بليغ بعد ان كادت فصيلته تتعرض للابادة.

السنوات الطويلة الماضية! ولم يشك أحد أن الأمور ستسوء بعد ذهاب القوات البريطانية. من جهة أخرى لم تتقاعس الدول العربية المجاورة لاسرائيل عن اعلان نياتها؛ حتى ان حكوماتها أوضحت أنها لن تسمح بوجود دولة يهودية « فى قلب العالم العربى» وأنها تنوى الانتظار ستة أشهر، أى حتى انقضاء المهلة الرسمية للانتداب البريطانى، وأضافت الحكومات أنها بعد هذا التاريخ ستوحِّد جهودها لتمحى عن خريطة العالم الدولة الجديدة. وهكذا فإن الأزمة التى كانت تختمر فى السر منذ الحرب العالمية الثانية مزمعة أخيراً على الانفجار.

علمنا أن المفتى الأكبر للقدس عاد إلى الشرق الأدنى بعد أن أقام طوال الحرب فى المانيا النازية. وأنه أعلن من القاهرة، حيث هو الآن، «الجهاد» أو الحرب المقدسة ضد اليهود . وتنظم فى جوار أورشليم « جيش الخلاص العربى » ، وهددت عصابات مسلحة جنوب تل أبيب. وتعاونت منظمات عربية شبه عسكرية مع القرى الفلسطينية على شكل وحدات من الانصار بقيادة المشايخ.

فيما كانت القوات البريطانية تغادر البلاد اتخذت الحرب حجماً جديداً مع « معركة الطرق» . اطلقت القوى العربية فى كل البلاد عملية واسعة النطاق هدفها قطع المراكز المدنية والقرى اليهودية بعضها عن الآخر وتأمين السيطرة على الطرق ومفاصل السكة الحديدية. وبعد أن تُعزل هكذا المناطق اليهودية يجب

محاصرتها ثم افتاؤها. هاجم جيش الخلاص العربى، بقيادة فوزى القاوقجى، مشمار هاإميك على طريق حيفا، ورامات يوحانان شرق هذه المدينة، وكفار زولد وياحيام فى الجليل، وكيبوتز تيرات زفى فى وادى بيت شين. وفى آذار (مارس) قطعت المستوطنات الزراعية فى النجف عن باقى البلاد، وكذلك اورشليم وقرى غوش اتزيون جنوب العاصمة.

أعلن بن جوريون رسمياً نشوء دولة اسرائيل فى ١٤ آيار(مايو) عند منتصف الليل، فى الدقيقة ذاتها التى انتهى فيها الانتداب البريطانى. وكنا نعلم جميعنا أن هذه الدقيقة، ستكون أيضاً الإشارة المتفق عليها بين الجيوش النظامية للبلدان العربية المجاورة لغزو الدولة الجديدة. كانت القوى السورية واللبنانية محتشدة على حدودنا الشمالية، فيما كانت الفرق المصرية تتحفز على حدود شبه جزيرة سينا. فى الوسط، كان « الفيلق العربى»، بقيادة ضباط بريطانيين، قد دعم بوحدات عراقية من عشرة آلاف رجل. كان مقدراً لكل هذه القوى أن تجتاز حدودنا وتنضم إلى «الجيوش» والوحدات العربية غير النظامية التى شاهدناها تعمل خلال الشهور الأخيرة.

يصف فى هذا الفصل تفاصيل المعارك التى ظهر فيها العراقيون والمصريون والأردنيون والفلسطينيون ويسجل ملاحظاتهم على

طريقتهم فى الحرب التى لم تكن مباشرة بل ركزت على الهجوم على القرى اليهودية.

بعد هدوء نسبى دام قرابة الشهر اقترح مجلس الأمن تجديد وقف اطلاق النار. لكنَّ الدول العربية، وعيا منها لواقع أن كل يوم يمر يثبّت اسرائيل كدولة. وبقوى شرعية وجودها، رفضت الاقتراح.

دخل وقف اطلاق النار الثانى حيز التنفيذ. ولكن فى منتصف تشرين الأول (أكتوبر) أخل به مثلما أخل بالأول. فدارت أشد المعارك عنفاً فى النقب والجليل وحول أورشليم. هذه المرة كانت الغلبة لنا. أجبر اللبنانيون على التراجع فى الجليل الأعلى والجليل الغربى ، ومع أن السوريين نجحوا فى الاحتفاظ برأس جسر لهم فى مشمار هايارديين، فقد أبيد جيش التحرير العربى بقيادة فوزى القاوقجى. وفُك الحصار عن أورشليم وصار الاسرائيليون يحاربون الآن لتثبيت رواق يؤمّن الاتصال الحر بأورشليم.

حصار الفالوجا :

« يعرب شارون عن تقديره للقوة المصرية وقائدها السودانى» فيقول: وفى منتصف تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٤٨ دعينا إلى الجنوب لمحاربة المصريين. كان أحد الويتهم محاصراً فى جيب بين الفالوجه و عراق المنشية. لكن كل جهودنا لاخراجهم منه باءت بالفشل.

كان الأربعة آلاف جندى مصرى فى الفالوجة تحت امرة ضابط سودانى هو العميد سعيد طه بك، رجل معارك شجاع تلقى تدريبه العسكرى فى الجيش البريطانى . كان بطلاً حقيقياً. فمع أن لواءه لم يكن يملك أى أمل فى فك الحصار أو تلقى نجدة ما، فقد أظهر مقاومة شرسة وصد كل هجوماتنا . وعلى رغم وضع طه بك الميئوس منه رفض مبادرة أحد الضباط الاسرائيليين الذى كان يسعى إلى ترتيب تفاوضى. وعندما قبل أخيراً أن يلتقى ايغال آلون رفض عرضه بالسماح للجنود المصرين بالانسحاب مع أسلحتهم وعدتهم وهم فى حالة قتال تراجعى. وتقول القصة التى شاعت آنذاك أن طه بك أصغى بتهذيب إلى ايغال آلون الذى راح يشرح له أن وضعه ميئوس منه تماماً، **ثم أجابه بأنه سيقاتل من أجل شرف الجيش المصرى ، ولهذا فإنه لن يستسلم.**

على رغم تفوقنا المطلق فى ساحة القتال لم نتمكن من تحطيم خطوط دفاع العدو. فمنذ نهاية تشرين الأول (أكتوبر) كان قد صد كل هجوماتنا ، **منزلاً بقواتنا خسائر جسيمة.** أخيراً تقرر شن هجوم كبير فى ليلة ٢٧ كانون الأول (ديسمبر) كان على وحدتنا أن تغافل تيقظ قرية الفالوجة فيما تهاجم كتيبة أخرى عراق المنشية. **وعلى رغم بطولة رجالنا أتت نتيجة العملية فاجعة.** فبعد فك الالتحام احصينا فى صفوفنا ثمانية وتسعين قتيلاً من أصل الستمائة رجل المشتركين فى المعركة.

صمد طه بك حتى اليوم الأخير. وفى نهاية المطاف أمكن عقد اتفاق خاص بموجبه غادر لواؤه المكان عائداً إلى مصر. وكان ذلك فشلاً ذريعاً للواء السكاندرونى(*) ، خصوصاً بعد مأساة اللطرون. ومن منظور عام لم تكن معركة الفالوجة إلا فصلاً من هذه الحرب. ففى عملية حوريب طوق القسم الأساسى من الجيش المصرى وسحق فى قطاع غزة، ولم ينجُ فى النهاية إلا بتدخُّل امريكى (حصل بضغط بريطانى) . وعقد اتفاق لوقف نهائى لاطلاق النار مع مصر فى ٢٧ شباط (فبراير) ١٩٤٩، وبعد ذلك مع سوريا والأردن ولبنان. وفى بداية آذار(مارس) كانت المعارك قد توقفت فى كل البلاد.

عند نهاية الأعمال الحربية - وبعد اعتراف معظم بلدان العالم بدولة اسرائيل - تخلصت هذه من عقدة مولدها كأمة « مثل باقى الأمم» . كنا آنذاك فى نشوة الانتصار، وهى عاطفة كنت استطيع تحسسها- مثل الجميع- بكل الياف كيانى. لقد ظللت طوال ثمانية عشر شهراً احارب على كل الجبهات ، وغالباً خلف خطوط العدو؛ وساهمت فى معارك دامية ضد عدو لايرحم. بيد أن الحقيقة تحتم علىّ القول إنى فى قرارة نفسى لم تحدونى رغبة على تذوق هذا النصر والابتهاج به بعدما صار ممكناً التمتع به.

(*) هو الفرقة التى شكلها شارون وقادها منذ نشأتها وكان فخوراً بها.

وشاءت صدفة مكدِّرة أن يكون على الجيش الاسرائيلى فى مرحلة الانحطاط هذه أن يرفع تحدياً متزايداً يوماً بعد يوم: الارهاب الفلسطينى الآتى من البلدان العربية المجاورة. فلم يمض وقت قليل على الهدنة حتى اجتاز الحدود أفراد وجماعات صغيرة قادمين من غزة أو من المناطق الواقعة تحت الأشراف الأردنى، للسرقة بوجه عام ولكن أيضاً لزرع الفوضى فى حياة القرى. وسرعان ما اتسمت هذه الأعمال، المرتجلة فى البداية، بطابع أكثر جدية. فلقد تضاعف عدد التسللات والاعتداءات بسرعة مذهلة. واعطت السرقات وأعمال التخريب مكانها للسطو المسلح وجرائم القتل وهكذا وجدت اسرائيل نفسها فى العام ١٩٥٠ تجابه مشكلة تسلل منهجى لمجموعات ارهابيين منظمين جيداً ويعمل معظمهم آنذاك تحت اشراف الاستخبارات المصرية .

انطلاقاً من ١٩٥٤ نفذ ا لمظليون تقريباً كل العمليات التى قام بها الجيش الاسرائيلى . وبطريقة أو بأخرى كللت كل عملية بالنجاح. وهذا ما اكسبنى بنوع خاص جذب انتباه زملائى.. فلقائى الأول مع بن جوريون سرعان ما تبعته لقاءات أخرى. فبت أشعر بالراحة معه عندما كنا نعالج مشاكل مهمة أو حتى عندما تكون زيارتى اياه للمجاملة فحسب. كان يحدثنى عن خدمته العسكرية فى اثناء الحرب ا لعالمية الأولى، فى المفرزة اليهودية التابعة للكتيبة الملكية لقناصة الجيش

البـريطانى. ويوصـينى بقـراءة بعـض الكتب ، ومنهـا تاريـخ حـرب البيلوبونيز لتوسيديد. أجهـل ماكان يفكـر فيه بن جوريون تماماً بشأن «وقاحتى» وآرائى الراسخة، لكن المودة التى كان يكنها لى لم تكن تترك مجالاً للشك.

رابعاً: بداية تورط مصر فى الصراع بعد الثورة (١٩٥٥):

فى هذا الفصل يعترف شارون بالمؤامرةالكبرى على مصر بطريقة لاتخلو من مبالغة ومكر معهود . فهو يزعم أن اراك الثورة بتغيير أولوياتها وفرض الصراع العربى الاسرائيلى عليها قبل أن تستعد له كان يهدف إلى دفع مصر فى أحضان قلعة صد الشيوعية في المنطقة وفي هذا يقول شارون : شكل الهجوم على مقر القيادة العامة للجيش المصرى فى قطاع غزة، فى ٢٨ شباط (فبراير) ١٩٥٥، إحدى أهم العمليات التى قام بها المظليون والتى ستصبح، كما سيتبين فيما بعد، خط تقسيم المياه فى شئون الشرق الأوسط. يشكل قطاع غزة شريطاً من الأرض الصالحة للزراعة يمتد على طول شاطىء المتوسط قرابة سبعين كيلو متراً إلى الجنوب من تل أبيب. فى العام ١٩٤٨ غدا القطاع ملجأ لقرابة مائتى ألف تجمع عدد كبير منهم فى مخيمات لاجئين ، وكانت حالتهم عند نهاية حرب الاستقلال مدعاة لليأس. كان معظمهم قد لبوا نداءات زعمائهم فغادروا متازلهم وهم مقتنعون أنهم سيعودون إليها حالما يفنى كل اليهود. ولكنهم مالبثوا أن فهموا أنّ هذا الاحتمال لم يكن سوى أمنية تقية فى فم قادتهم. كذلك

غزوة غزة ٢/٢٨ - ١٩٥٥/٣/١

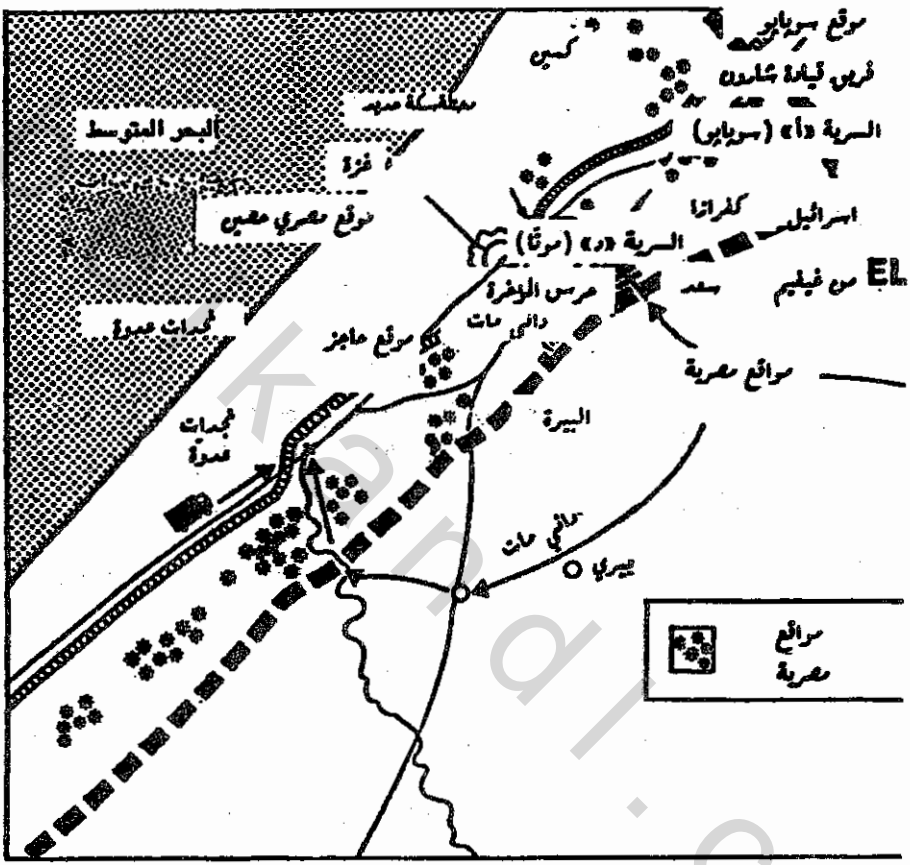

كان الفدائيون الفلسطينيون العاملون تحت الإدرة المصرية والمتمركزون في غزة يزرعون الرعب التواصل في اسرائيل. وقد جرت غزوة (او عملية السهم الاسود) بعد سلسلة من الهجومات الفدائيين التواصلة والمؤلمة. وهي من اهم الاعمال الانتقامية التي سيكون لها إسقاطات سياسية على المدى البعيد.

لم يكونوا يتوسمون أى أمل فى أن يتوطنوا مصر أو أى بلد عربى آخر. وإذا حرموا من كل شىء وسدت فى وجوههم أبواب المستقبل شكلوا تربة مثلى للارهاب.

على رغم عدة عمليات ضد مواقع مصرية واردنية ظل فدائيو قطاع غزة يواصلون فى العام ١٩٥٥ زرع الموت والخراب لا فى الجنوب فحسب بل أيضاً فى وسط البلاد. فلكل أسبوع حصته من الكمائن وجرائم القتل والتلغيم فى موشاف باطيش ، مثلا، انتهت حفلة زواج بمذبحة. وقُتل راكب دراجة قرب رحوبوت. وتضاعفت وثيرة الهجومات وقساوتها. وعندما قتل فريق من ارهابيى غزة عاملا يهوديا فى بستان برتقال فى جوار معهد وايزمن العلمى فى رحوبوت، قررت الحكومة الضرب، على أن تهاجم وحدة من المظليين أهم قاعدة مصرية فى قطاع غزة.

كانت هذه العملية أصعب مانفذناه حتى الآن. فقطاع غزه هو فى الواقع مخيم شاسع يعج بالجنود المصريين وبالفدائيين الفلسطينيين. وكان المصريون قد بنوا مجموعة مواقع فوق ذرى التلال المنتصبة على حدود القطاع الشرقية، تشرف فى آن على التجمعات ا لسكنية اليهودية فى الشرق وعلى القطاع فى الجهة المقابلة. كان علينا إذاً أن نتسلل بين هذه المواقع، ونؤمّن ممرًا لانسحابنا، ونصد النجدات التى قد تتلقاها القيادة العامة من قاعدة

خـان يونس، على بعد خمسة وعشرين كيلو مترا إلى الجنـوب الغربى. وفى أثناء عزلنـا مخيم القيادة العامة عن باقى قطاع غزة، سيكون على الوحدات المهاجمة أن تتقدم عبر بساتين البرتقال الغضة، المسيَّجة بأشجار الصبير الشائكة، قبل أن تبلغ الهدف. وكان ينبغى للهجوم أن يكون عنفه بقدر سرعته الخاطفة حتى يتاح لنا أن ننسحب حاملين ضحايانا قبل أن ينجح المدد فى اختراق قوة الصد وفى قطع طريق انسحابنا نحو الحدود.

وكان هناك صعوبة اضافية هى وجود دوريات متواصلة لمراقبى الأمم المتحدة فى المنطقة الحدودية لاستطلاع علامات تنذر بالمشاكل. فعند أى علامة غير مألوفة ينبئون إداريى المركز فى القطاع الذى يخطرون المصريين فوراً بالأمر. ثم أن مراكز مراقبة الأمم المتحدة كانت آنذاك فى حالة استنفار. فالمراقبون باتوا يعرفون بالخبرة أنه كلما تعرض يهودى للقتل فثمة مخاطر كبيرة بأن تشتعل المنطقة الحدودية. لذا كان يتعين علينا اخفاء تحركاتنا عن أعين المراقبين .

صورة من بربرية الاسرائيليين :

يقول شارون : **ولدى اقترابى شاهدت سويابو واقفا فوق جثث المصريين وقدمه فوق رأس أحدهم.** أنا لست متطيراً اجمالاً، ولكن فى

اللحظة نفسها خطر لى شعور غريب. فرعدت : « توقف ! دع الموتى وحالهم !». وهذا ادعاء بالإنسانية أظهره شارون على غير الحقيقة طوال مذكراته.

استعاد المصريون رباطة جأشهم وأخذوا مواقع على بعد عدة أمتار من الطريق وردوا بنار حامية حصدت سوبابو قائد الهجوم وبعضاً من رجاله. ولن يمضى وقت طويل قبل أن تتمكن من القول أننا حققنا أهدافنا-ولكن بثمن خسائر فادحة.

كنت اراقب العملية فيما المصريون يواصلون الرماية عندما شاهدت رجلاً يسرع نحونا جاراً جسماً من الرجلين. وكان رأس الجثة يتمايل على الطريق، لكننى عرفت فيه فوراً وجه سوبابو الذى لاتزال تكشيرة مرتسمة فوقه. **وخلال بضع ثوان عادت إلى ذاكرتى صورته قبل أقل من ساعة وهو واقف ورجله فوق مصرى قتله فى الكمين، فهزتنى قشعريرة.**

لم يكن أى منا يستطيع فى ذلك الوقت أن يحزر أن عملية غزة سيكون لها أصداء كبيرة. فمظليونا نجحوا فى ضرب قلب الآلة العسكرية المصرية. وبرهنت اسرائيل بوضوح بهذه الإغارة المذهلة أنها لن تتسامح بعد اليوم حيال أعمال الرعب ضد سكانها وأن مصر كانت قابلة للتجريح على رغم الوسائل الدفاعية القوية

التى كانت فى حوزتها. وهذه الأمثولة فهمها جيداً الرئيس عبد الناصر . لكنه مع علمه بعجزه عن رد هجوماتنا لم يفعل شيئاً لوضع حد للارهاب الفلسطينى الذى اطلقه ، بل فضل البحث عن حلفاء مستعدين للدفاع عنه ولتدعيم قوته العسكرية ليكمل حلمه بتدمير من كان يعتقدهم اعداءه. والقوة الوحيدة القادرة حينذاك على تأمين العون العسكرى والسياسى الذى كان يسعى إليه، الاتحاد السوفيتى. لم يكن ينتظر إلا إشارة. فحققا حلم روسيا منذ مائة عام بالدخول إلى الشرق الأوسط. وها قد سنحت لها الفرصة الآن.

ويبدو لنا فى هذا السياق أن هذا الهجوم الاسرائيلى على غزة لم يكن هدفه الحقيقى هو منع تسلل العناصر المعادية لاسرائيل، وإنما هدفه البعيد هو بالإضافة إلى موقف أمريكا من تسليح مصر، دفع مصر إلى احضان الاتحاد السوفيتى حتى يصبح الصراع فى دائرة الحرب الباردة بما يفيد اسرائيل التى كانت تقنع واشنطن بأنها قلعة الغرب ضد الشيوعية فى المنطقة .

وهو نفسه يعترف بذلك إذ يقول « فى بداية العام ١٩٥٥ دفعت الغارات المتواصلة التى قام بها مظليونا، مصرَ إلى حافة الأزمة. فالضربات المتزايدة شدة ضد جيش عبد الناصر ومصداقيته وضعته

فى وضع لايطاق. لكنه بدلاً من أن يوقف الارهاب القاتل الذى كان السبب لتنامى العنف العسكرى بين ا لبلدين فضل البحث عن تحالفات خارجية. فبعد عملية غزة بوقت قصير باشر اقامة اتصالاته الأولى بالاتحاد السوفيتى . كان يظن أن الاتحاد السوفيتى قد يؤمن له التفوق العسكرى الذى سيسمح له أخيراً بمجابهة اسرائيل فى أرض المعركة . كما كان يحلم.

كان العام ١٩٥٦ ايضاً سنة صعبة. فالارهاب الفلسطينى الآتى من غزة تحت حماية مصر المتعاظمة قوتها يوما بعد يوم راح يزداد جرأة ويزداد معه عدد ضحاياه. فكل الجزء الجنو بى من البلاد، حتى رواقا تل أبيب وأورشليم، كان تحت رحمة هجوماتهم الوحشية. فهذه زمرة من الارهابيين تلقى بعدة قنابل يدوية فى موشاف شفير فتقتل ستة تلامذة. وتلك عصابة أخرى تفاجىء فريقاً من المراهقين وتقتل سبعة منهم. وأطلقت رشقات نارية عى المشاركين فى مؤتمر أثرى فى رامان راحيل فاوقعت أربعة قتلى وستة عشر جريحاً . وقتل عدة عمال فى معامل البحر الميت فى سدوم، فى كمين نصب لهم وهم متجهون إلى عملهم. وفى خارج أورشليم طُعنت امرأة شابة وابنتها حتى الموت؛ وبشّع القتلة بجثتيهما وقطعوا ذراعى البنية. فكان الناس عند هبوط الظلام لايتجاسرون على الخروج من منازلهم. وغدت قيادة السيارة فى الليل مغامرة محفوفة بالمخاطر.

خامساً: قصة التواطؤ الفرنسى الاسرائيلى عام ١٩٥٦:

اثر مباحثات بين باريس وأورشليم(*) جاء ضباط كبار من الجيش الفرنسى يزورون قاعدة كتيبة المظليين. كان الفرنسيون قلقين نوعاً ما من هذا التحالف ، وخصوصاً من فاعلية الجيش الاسرائيلى. هل يمكن الثقة بها؟ وهل ستفى اسرائيل بتعهداتها فى عملية مشتركة ما؟

كان دايان يرى أن فى وسع الفرنسيين ان يتأكدوا بأنفسهم إذا جاؤوا وشاهدوا المظليين يعملون فى قاعدتهم. هناك سيلتقون ضباط مدرَّبين، مختمرين بسنوات عديدة من الخبرة، متمرسين بكل طرائق الحرب وجنوداً محترفين تماماً خضعوا لأفضل تدريب، تحفزهم روح قتالية نادرة. وكان دايان يعلم أنه بستطيع أن يعرض لهم تشكيلة نصف سرية من الأسلحة والتجهيزات المأخوذة من العدو، وهى شهادة حسية لنجاح مظليينا.

أتى الضباط الفرنسيون اذاً لزيارتنا. مازلت أذكر بنوع خاص الكولونيل سيمون (الجنرال سيمون فى مابعد)، أحد الضباط الحائزين على أكبر عدد من ماليات الجيش الفرنسى، وكان قد فقد عينا فى المعركة وغطت الندوب جسده. دعوت إلى غداء على شرفه حسب الأصول، فى حضور كل ضباط الكتائب والمفارز والقيادة العامة.

(*) يلاحظ أن شارون يستخدم أورشليم فى مذكراته لتعنى القدس الغربية ثم صارت اسرائيل منذ عام ٢٠٠٠ تستخدم «القدس» كعاصمة للدولة وتعزز ذلك بالموقف الأمريكى عام ٢٠٠٢ (المؤلف).

حملة سيناء ١٩٦٧ :
قوات الطابور الثاني في الشمال

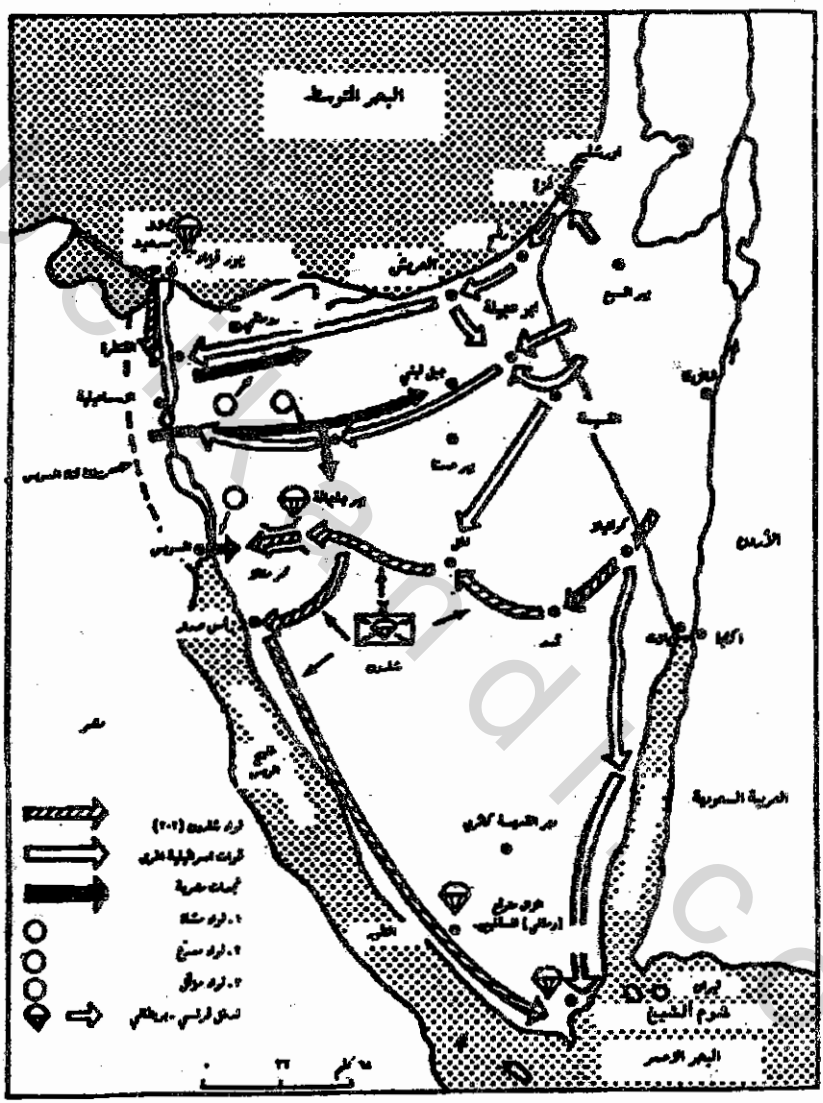

كانت حملة سيناء (حملة قادش) حربا وقائية قصد بها تدمير القوات العسكرية المصرية المتأهبة لاجتياح إسرائيل، وذلك لحصار البحيرات المرة شمالي السويس، واحتلال قطاع غزة لتحييد التهديد الناشئ للجيش المصري والاقتراب منه. وقد امتدت قطاع لثلاثة قوات قتالية. برئاسة. وسجل قوات الطابور ٢٠٢. بقيادة شادون، أحس تواجد خلف خطوط العدو.

توطدت الصداقة بيننا - وهى صداقة أعدت توثيق عراها بعد سنتين فى بريطانيا حيث عُيِّن ملحقاً عسكرياً لبلاده. هناك قال لى: إن زيارته كتيبة المظليين تركت عنده أثراً عميقاً. بيد أنه ذكر عنصراً مزعجاً فى الزيارة: لم يكن راضياً عن الغداء. سألته مندهشاً: « الم تعجبك أطباق الطعام ؟» أجاب : « كثيراً، لكنكم أكلتم جميعكم بسرعة فما تسنى لى إكمال غدائى...».

كانت كل هذه الزيارات مهمة. الفرنسيون يأتون الينا - فتُعقد الاتصالات- والصداقات ايضاً. ولقد احبوا ما شاهدوه. واقتنعوا أننا نحسن صناعة الحرب، وإن عتادهم الحربى سيكون فى ايدا أمينة (كان بن جوريون يجهد حينذاك لعقد صفقة أسلحة مع فرنسا)، وأنهم يستطيعون الاعتماد علينا عندما تُنفذ العملية المشتركة.

وفى تلك الحقبة عينها أَمَّم عبد الناصر قناة السويس. فرأى البريطانيون والفرنسيون فى هذا الإجراء تهديداً لطرق امداداتهم البترولية، الحيوية بالنسبة اليهم. وجاءت ردود فعلهم، على غرار أمثالها فى عز سطوتهم الامبراطورية الاستعمارية، انتفاضة أخيرة لدبلوماسية المدفع.

فى مثل هذا الجو العاصف كان بن جوريون يتخبط ليحاول ايجاد حل لمشاكل أمن اسرائيل . كان يشعر بأنه مهاجَم من كل

الجهات: الأسلحة المصرية الجديدة، تدخل الاتحاد السوفيتى المنذر بالشؤم، احلام عبد الناصر بالقومية العربية التى سيكون هدفها طبعاً « تصفية الكيان الصهيونى» (لازمة خطب الزعماء العرب) ، تعديات الارهابيين المتكررة، إغاراتنا الانتقامية والخسائر التى كنا نتكبدها من جرائها. وهكذا لم يكن يشك أحد فى وشوك اندلاع حرب. وفى محاولة لاستعادة أحداث السنوات الماضية كان فى وسع المرء أن يستاءل هلا سقطت سياسة الردع التى كانت تنتهجها اسرائيل منذ ثلاث سنوات. وهل كان من شأن خط سياسى آخر أن يوفر السلام والأمن بدلاً من تصعيد العنف هذا؟ فى تلك الحقبة كنت شديد الاقتناع بعدم وجود سبيل آخر - واليوم مازال اقتناعى من قبل. فمصيبة الارهاب، التى تتآكلنا منذ ١٩٤٩، كانت مخربة جداً، ولولا سياسة الردع والانتقام لجاءت نتائجها اسوأ بكثير، لاسيما هجر المناطق الحدودية على نطاق واسع. فمعظم القرى الجديدة المبنية فى المناطق الحدودية أو الصحراوية كان يقطنها مهاجرون جدد هم آخر الناجين من الجماعات اليهودية المحطمة فى أوروبا أو آتون من مدن المغرب واليمن وقراهما ومن جبال كردستان ومن بضع دول شرقية أخرى.

فيما كنا نلحس جراحنا بعد عملية قلقيلية توجه بن جوريون ودايان وشيمون بيريس إلى باريس ليحاولوا عقد

محادثات مع فرنسا وبريطانيا العظمى ستسفر عن عمل حربى مشترك ضد مصر.

بعد عودتهم إلى إسرائيل فى ٢٥ تشرين الأول (أكتوبر) ذهب ازور بن جوريون الذى اطلعنى فى اختصار على نتائج اقامته فى العاصمة الفرنسية. **لقد جرى الاتفاق بالجملة على عملية يحقق فيها كل من البلدان الثلاثة أهدافه** الثلاثة هدفنا كان سيناء: كان علينا أن نفك حصار مضائق تيران، ان ندمر القواعد الارهابية فى غزة وتبديد احلام الرئيس عبد الناصر فى زعامة العالم العربى - وربما التسبب فى سقوطه. أما فرنسا وبريطانيا العظمى فيقيمان من جديد سيطرتهما على قناة السويس.

اتفق على التمهيد للحملة بمناورة منسَّقة بعناية. تنزل اسرائيل كتيبة من المظليين على مقربة من قناة السويس، على بعد كاف لإعطاء الانطباع بوجود « تهديد» ضد الممر المائى. فى هذه المرحلة توجه فرنسا وبريطانيا انذاراً إلى الفريقين، يطلب منهما ابتعادهما من منطقة القناة. فتقبل اسرائيل فوراً. وبالطبع سترفض مصر؛ فتتدخل القوات الفرنسية والبريطانية حينئذ لإعادة تشغيل القناة على نحو سوي. وبعد انتهاء مرحلة فتح العمليات تتابع اسرائيل أهدافها الخاصة بتدمير القوات المصرية فى سيناء.

إذا كان بن جوريون قد عقد هذا الاتفاق مع البريطانيين فهذا لايعنى أنه يثق بهم. وكنا نحن أقل ثقة بهم. فمازلنا نذكر جيداً

موقفهم حيال اليهود خلال الحرب العالمية الثانية، وكذلك رحيلهم من فلسطين، فى ١٩٤٨، عندما اعطوا العرب افضل المواقع الاستراتيجية قبل مغادرتهم. فهم إن لم يقوموا بدورهم فى الاتفاق على الوجه الكامل يورطوا مظليِّينا فى وضع حرج. وقد قال دايان فى اثناء زيارته قيادتى العامة قبل يوم أو اثنين من بداية الحملة : « إذا اتفق حصول ذلك عليك أن تعيد قواك. أنا متأكد انك ستجد السبيل إلى ذلك، ولكن ضع فى حسابك أنكم قد تجدون أنفسكم وحيدين فى سيناء».

وهكذا بدأت المقولة الرسمية بأن الهجوم إنما هو عملية اقتصاص وليس حرباً حقيقية.

٣١ تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٥٦ ـ الاذاعة تُعلِمنا ان لندن وباريس اصدرتا انذارهما كما هو متوقع – لاسرائيل ومصر على حد سواء. فقبلته اسرائيل ورفضته مصر، كما كان متوقعاً ايضاً. وفى الواقع كان على البريطانيين والفرنسيين ان يباشروا بعملياتهم الحربية، لكنهم لم يكونوا قد تحركوا بعد. وفى اللحظة ذاتها افادتنا تقارير طائراتنا الاستطلاعية ان الرتل المؤلل المصرى يتابع تقدمه نحونا.

يروى شارون تفاصيل القتال مع القوات المصرية فى ممر متلا والبطولات المصرية ثم انسحاب التعزيزات إثر قرار سحب القوات من سيناء تحسبا للعدوان الفرنسى البريطانى.

آثارت معركة متلا غضباً كبيراً وانشقاقات عميقة إن فى صفوف المظليين أو بين الأركان (وخصوصا دايان) وبينى. وأكثر من انتقدنى فى هذا الأخذ والرد هو موتّا غور. فقد كان علىّ، فى نظره، أن اقود العمليات شخصياً بدلاً من أن ابقى عند المدخل الشرقى للممر لتنظيم الدفاع وإخلاء الجرحى. ودايان، من جهته، اشتكى من مخالفتى التعليمات بارسالى قوات مهمة إلى المضيق، بدلاً من ارسال وحدة استطلاع واحدة، وكذلك من خوضى المعركة على رغم الأمر الصريح بتحاشيها (*).

ومع النجاح الكامل لسائر عمليات الجيش الاسرائيلى فى الجزء الشمالى من سيناء وفى قطاع غزة باتت كل شبه الجزيرة الآن فى ايدينا. وكانت سبعة أيام غير كاملة قد انقضت على إنزال كتيبة رفول ايتان بالمظلات قرب نصب باركر عندما رفعت الأعلام الاسرائيلية على الشرم.

استغرق اتفاق ترتيبات سحب قواتنا من سيناء شهرين. وقد ملأ الفراغ قوة متعددة الجنسيات من الأمم المتحدة. خلال هذه الحقبة طفت بمظليينا كل ارجاء شبه الجزيرة: تسلقنا كل التلال واجتزنا كل الوديان وصعدنا إلى كل الجبال وردُنا كل مجارى السيول. كنت اريد أن يستوعب الضباط إلى الحد الأقصى طوبوغرافية الأرض،

(*) واضح أن من عادة شارون مخالفة التعليمات بشكل مستمر وفى كل المناسبات . وقد تم التحقيق معه لهذا السبب .(المؤلف).

لوقت الحاجة . وبمساعدة الطيران رتبنا مخابىء طعام وماء الطيارين الذين قد يجدون أنفسهم فى الصحراء بعد قفزهم بالمظلة. كنا، فى سباق مرير مع الوقت، حركةً دائمةً: نشاهد كل شىء ونسجل كل شىء ونشكل أكواما من السجلات الموضَّحة بخرائط ورسوم تخطيطية ولوحات وصور فوتوغرافية شاملة لشبه جزيرة سيناء. أنا شخصياً لم أكن مقتنعاً البتة بقدرة منظمة الأمم المتحدة على توفير حل ما. وبناء على هذا الاعتقاد فليس مايمنع من ان نضطر يوماً ما إلى الرجوع.

لم اهضم ابداً إخلاء سيناء، وخصوصاً لم أستطع استيعاب ترك قطاع غزة والقرى بناها بن جوريون فيه. فالارهاب المستوطن فى هذه المنطقة هو من المشاكل الكبرى التى ادعينا حلها بهذه الحرب. كان هدفنا الأول اجبار مصر على تحمل مسئولياتها بوضع حد للارهاب . وها المصريون يعودون إلى غزة! بكلام آخر، لم نفعل شيئاً.

فى نهاية سنوات عديدة من حرب ضروس تبعت حملة سيناء، ذروة هذه الحرب، غبطة حقيقية. ولكن مع عودة المصريين التى بدت أكيدة آنذاك، إلى قطاع غزة، بدا الافق من جديد مكفهراً. فمنذ ١٩٤٧ لم تكن حياتى غير عمل متواصل- والآن ايضاً، فى نهاية هذه المرحلة، لم أكن أعرف الراحة. فى اثناء النهار أعمل بسرعة لأنهى قبل انسحابنا المشروع الضخم القاضى بمسح طوبوغرافى كامل لصحراء سيناء.

ويحكى شارون عن غراميات بن جوريون فيقول:

أورنا بورات، إحدى فضلى ممثلات المسرح عندنا والمرأة المثيرة للاهتمام، لعبت مشهداً من إحدى مسرحياتها، وبدا بن جوريون مأخوذاً بالمعنى الحرفى للكلمة، وكان يفترسها بعينيه ويضرب بحركة تلقائية الكراسى المجاورة بايقاع ينمّ فعلاً عن انفعاله الشديد. وعندما اكملت الممثلة اداءها دعاها بن جوريون للجلوس قربه ليتحدث إليها. وفهمت فجأة، للمرة الأولى، ان بن جوريون كان ايضاً كائناً من لحم ودم . فهذا الرجل ا لكبير، المهتم بكل مشاكل العالم والكلَف بالفلسفة والعلوم، ومَن يشارك فى كل مناقشات علمى ا لاخلاق والسياسة العالميين، ويخوض كلياً معركة من أجل مستقبل الشعب اليهودى، ويواجه التهديدات العربية... هذا الرجل بان لى على حقيقته: كائناً بشرياً. ففى اثناء اداء اورنا بورات شاهدته يضرب بيده رجل الكرسى ، وقد ثبّت عينيه فيها، وفيها فقط، وهو يتحرق شهوة. فى ايامنا بات الجميع على علم بعلاقته الغرامية معها، وليس فى الأمر مايدعو إلى الاستغراب. ولكن فى تلك الأيام، عندما كنت شاباً، كانت مثل هذه الأسرار فى طى الكتمان؛ ذلك أن « أسرار الحياة » كانت فى أيام جيلنا تظل محجوبة يخفر. والحال ان أحد هذه الأسرار انكشف لى فى تلك الليلة بالذات.

سادساً : معارك المياه مع سوريا والأردن :

فى بداية العام ١٩٦٤، كانت القيادة العامة فى الشمال تجابه ثلاث مشاكل كبرى ، منها مشكلة لبنان. ومع أن منظمة التحرير الفلسطينية لم تكن قد ظهرت بعد إلى العلن فإنها بدأت تنظيم شبكاتها، وكانت بيروت على وشك أن تصبح مركزاً مهماً للارهاب. كانت الحكومة اللبنانية لاتزال متحدة آنذاك، لكنها كانت دائماً ضعيفة وبالتالى عاجزة عن مقاومة تغلغل المنظمات الارهابية الفلسطينية الأكثر تطرفاً.

وكانت المشكلة الثانية تتعلق بالحدود الاسرائيلية السورية. فمواقع الجيش السورى المحصنة بقوة فوق هضبة الجولان تسيطر على كل سهل الحولة الملىء بالكيبوتزات والقرى والتجمعات المدنية. وهذه الحدود المعقدة كانت تتجه إلى جانبى خط الفصل فى تعرجات ملتوية ومزاجية، مشكلة عشرات الجيوب التى كانت موضوع خصام ومطالبات . بعضها لاتتجاوز مساحته بضعة آرات (الآريساوى ١٠٠م٢)، وغيرها كانت أكبر، إنما كلها كانت تعد بالعشرات. كان الاسرائيليون يحاولون من جهتهم ان يحرثوا كل هذه الفدادين، غير أن السوريين كانوا عاقدى العزم على منعهم من ذلك، فكان المزارعون والعمال، وكذلك القرى والكيبوتزات ، هدفاً يومياً تقريباً لاسلحتهم الاوتوماتيكية ولمدافع المورتر (الهاون).

على رغم هذا التكيد المستمر كانت اسرائيل تتشبث بمطالبتها بالأراضى المتنازَع عليها. فرهان الصراع يتخطى فى نظرنا قطع الأرض القليلة المزروعة هذه: ففى تلك الحقبة كانت الأكثرية الكبرى من الاسرائيليين مقتنعة تماماً أن الشرط الأول لبقائنا بين جيراننا المعادين هو اتخاذ موقف متشدد يمنعنا من التنازل حتى عن شبر من أرضنا لأولئك الذين اقسموا على ابادتنا. وفى ظروف كهذه كان هذا العناد تحصيل حاصل للجميع فى اسرائيل. فإضافة إلى المخاطر الجسدية والخسائر البشرية الناجمة دائماً عن هذه الاشتباكات والمناوشات اليومية بالأسلحة الاوتوماتيكية أو مدافع المورتر كان هناك وزرها الثقيل على اقتصاد البلاد.

إذا كانت مشاكل الحدود بين اسرائيل وسوريا تحمل خصوصاً معنى مبدئياً فإن تحويل مياه الأردن كان بالنسبة الينا، فى المقابل ، مسألة حياة أو موت. فاسرائيل بلد ذو مناخ جاف، يكابد نقصاً مزمناً فى المياه باستثناء فصل قصير للامطار فى الشتاء. فبالإضافة إلى هذه الهطولات تتشكل أهم موارد المياه فى اسرائيل من نهر الأردن ومجارى مياه مختلفة وينابيع على امتداد السهل الساحلى ومياه جوفية ممتدة تحت هذا السهل حتى اليهودية والسامرة. وقبل ١٩٦٧ كان نهر الأردن يوفر ثلث حاجات اسرائيل من الماء. وكان المشروع العربى لتحويل مياه الأردن يهدد جذرياً منسوب النهر.

كان اثنان من روافد الأردن الثلاثة يجريان فى أرض عربية: الحاصبانى فى لبنان، وبانياس فى سوريا. والثالث هو نهر دان الذى كنا نسيطر عليه كلياً باستثناء بعض منابعه التى كان ينازعنا حولها السوريون.

على أنه كان يتعين الا تصبح سيادتها على هذه المنابع موضوع نزاع. ومن أجل ذلك كان لابد من احداث تغيير بسيط فى شكل هذه المنطقة الرائعة التى كان يقطنها سبط دان فى الأزمنة التوراتية. هنا تتفجر الينابيع الجوفية على سطح الأرض لتشكل حوضاً كبيراً يشير إلى ولادة نهر نهر دان. وكان السوريون يطالبون بالضفة الأكثر بعداً للحوض، ومن أجل تجنب أى جدال حول حق ملكية المياه قررنا أن نردم هذه الضفة وبالتالى أن نخفض حجم الحوض ليصبح داخل حدودنا بلا منازع.

بدأنا اذاً، أعمال الردم أمام أنظار السوريين الذين كانوا يتابعون من دباباتهم كل حركة من حركاتنا. ولكن فى بداية تشرين الثانى قرروا الانتقال إلى العمل قاصفين بالمدفعية جرافاتنا وشاحناتنا. وانبرى لهم الرد الاسرائيلى، ما ولَّد تراشقاً بالمدفعية والهاون والأسلحة الاوتوماتيكية، وهو تراشق أثار دهشتنا أنه لم يكن لصالحنا على الاطلاق.

قررت الحكومة الاسرائيلية منع تحويل مياه الأردن بالقوة. فابتداء بذاك اليوم نشأ توتر صامت ومستمر على امتداد الحدود الاسرائيلية السورية. ولم يبق إلا الشرارة التى ستفجر برميل البارود. وهذه الشرارة تكفل بها الاتحاد السوفيتى.

جولة شارون فى افريقيا:

كانت اسرائيل تنشىء علاقات وثيقة جداً مع افريقيا، فى اطار سياسة مسماة « الاستراتيجية الدائرية» وقوامها تطوير اتصالات وروابط من كل نوع مع البلدان خارج المدار العربى المحيط. لكن السفر إلى هذه البلدان يتطلب تحضيراً دقيقاً. وكان المصريون قد عادوا إلى سيناء، فلم يعد فى المستطاع التحليق فوقها. فضلاً عن ذلك، لم يكن من اليسير ايجاد طريق جوية لاتمر فى المجالات الجوية للبلدان العربية المجاورة .

حطت الطائرة عند الفجر فى مصوع فى بلاد الحبشة. كان ينتظرنا فى مطار المدينة فريق اسرائيلى لملء خزانات الوقود.

دخلنا المجال الجوى الاوغندى فوق مكان يُدعى موروتو واكملنا طريقنا نحو انتيبى. هناك وضعت سيارة بتصرفنا وبدأنا نرود البلاد من منابع النيل فى بحيرة فكتوريا حتى المحميات الطبيعية الرائعة، مروراً بشلالات موتشيف وبحيرة جورج. وبعد عدة أيام كرست للرحلات السياحية وجدنا أنفسنا من جديد فى موروتو، المكان الذى طرنا فوقه. هذه المدينة البدائية جداً مرتبطة على

نحو عجيب بتاريخ الصهيونية: ففى بداية القرن فكرت بريطانيا فى وقت ما فى أن تعرض هذه المنطقة على تيودور هرتزل كوطن للشعب اليهودى - وهى فكرة لم تلاق لحسن الحظ تأييداً عند الحركة الصهيونية آنذاك.

كانت العلاقات بين البلدين تتخطى مجرد التعاون التقنى أو الزراعى. فالمعروف أن هيلاسيلاسى يلقب بـ « أسد يهودا » ، يعتبرون أنفسهم متحدرين من الملك سليمان وملكة سبأ. وفى احاديثنا معهم كانوا جميعهم يُلمحون إلى هذه « السلالة » من المثقفين إلى عامة الشعب والفلاحين. فهذا التقليد مترسخ بعمق فى وجدانهم الوطنى.

سابعاً : مأساة ١٩٦٧ :

وفى ١٩ آيار (مايو) ١٩٦٧ خضع يو ثانت، الأمين العام للأمم المتحدة، للمطالب الناصرية بسحب قوات الأمم المتحدة من شبه جزيرة سيناء؛ وفى ٢٢ آيار (مايو) أعلن الرئيس اغلاق مضائق تيران أمام السفن الاسرائيلية - وهو عمل كانت اسرائيل قد اعلنت منذ وقت طويل أنه يشكل اعلانا للحرب. وفى ذلك التاريخ كان قرابة مائة الف جندى مصرى وأكثر من الف دبابة قد انتشروا فى سيناء. لكن الحكومة لم تكن قد اتخذت أى قرار واضح يتعلق برد فعلنا.

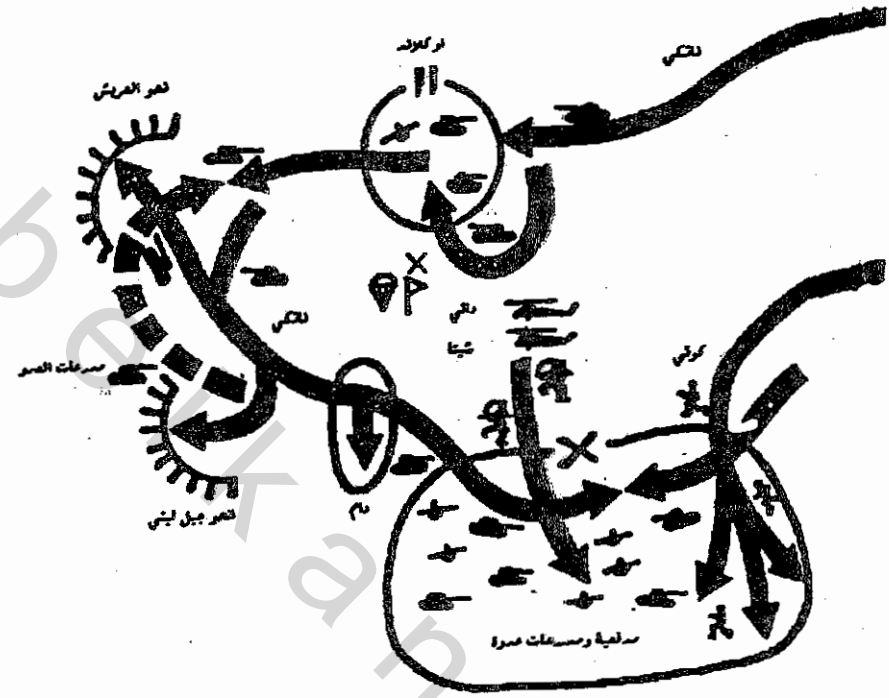
ثم كفرة
تشكي
نهر العريش
تشكي
كوفرة
سرادقات الصحو
تشكي
ثم
نهر جبل ليبي
سرادقات صحراء

ثم كاطف

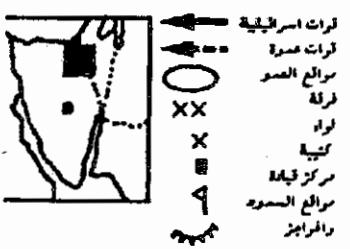
ثورات استرالية
ثورات صحراء
سواقع الصحو
فرقة
لواء
كتيبة
مركز قيادة
سواقع السموم
والفراغ

معركة ابو عجيلة
في حرب ١٩٦٧

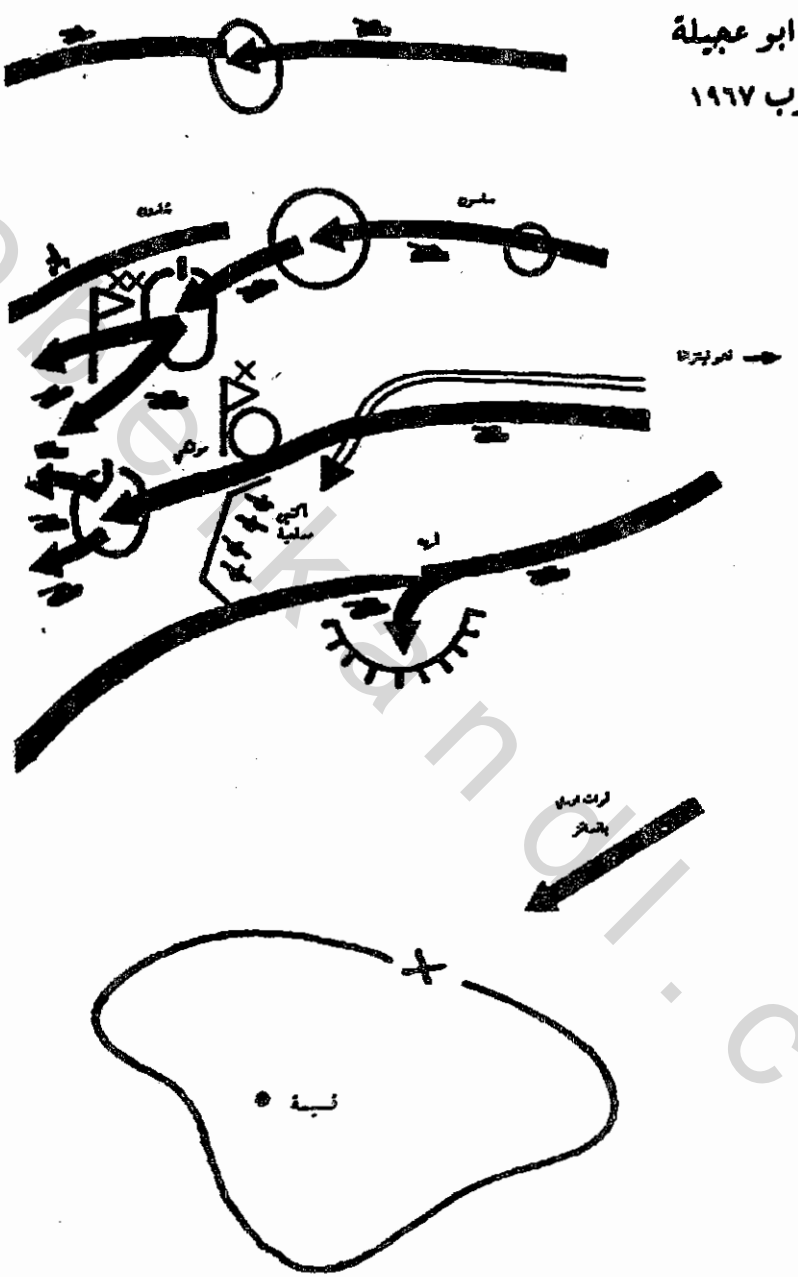

الحملة الصاعقة على سيناء - حزيران ١٩٦٧

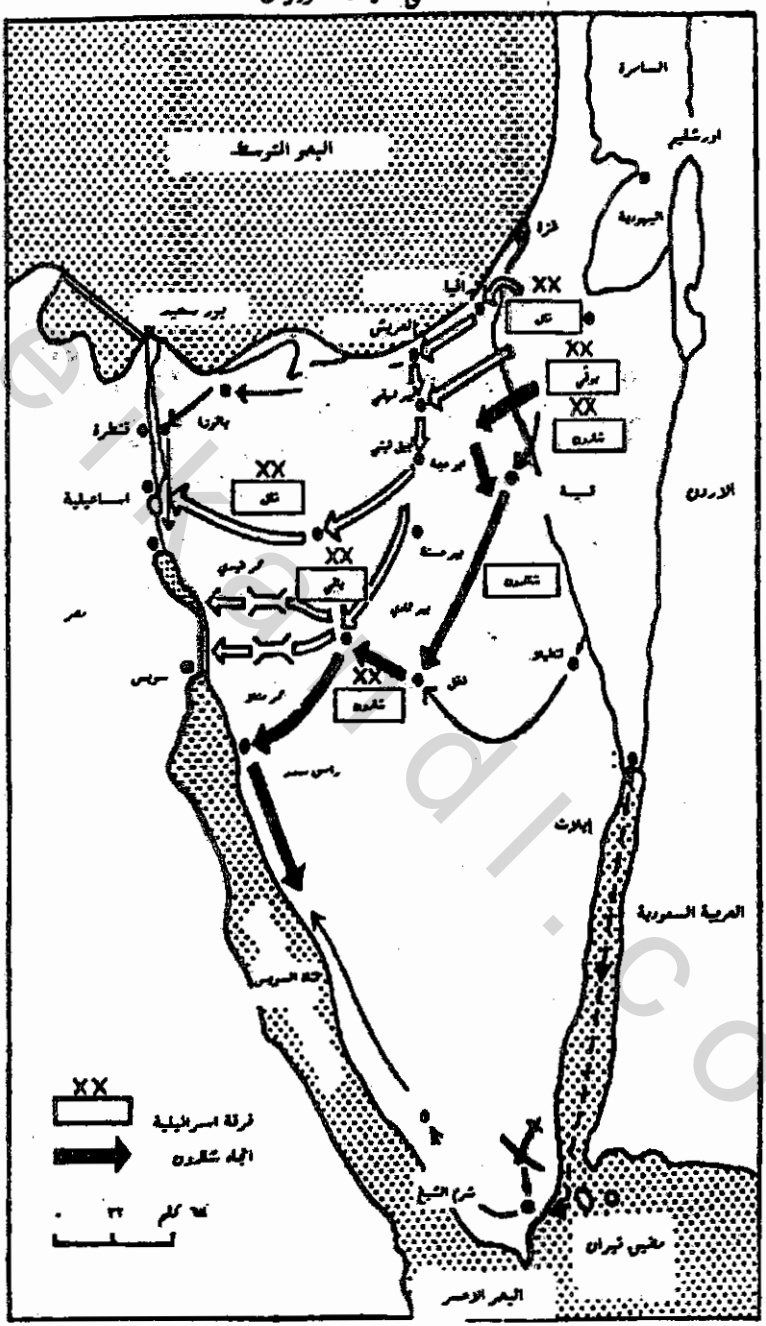

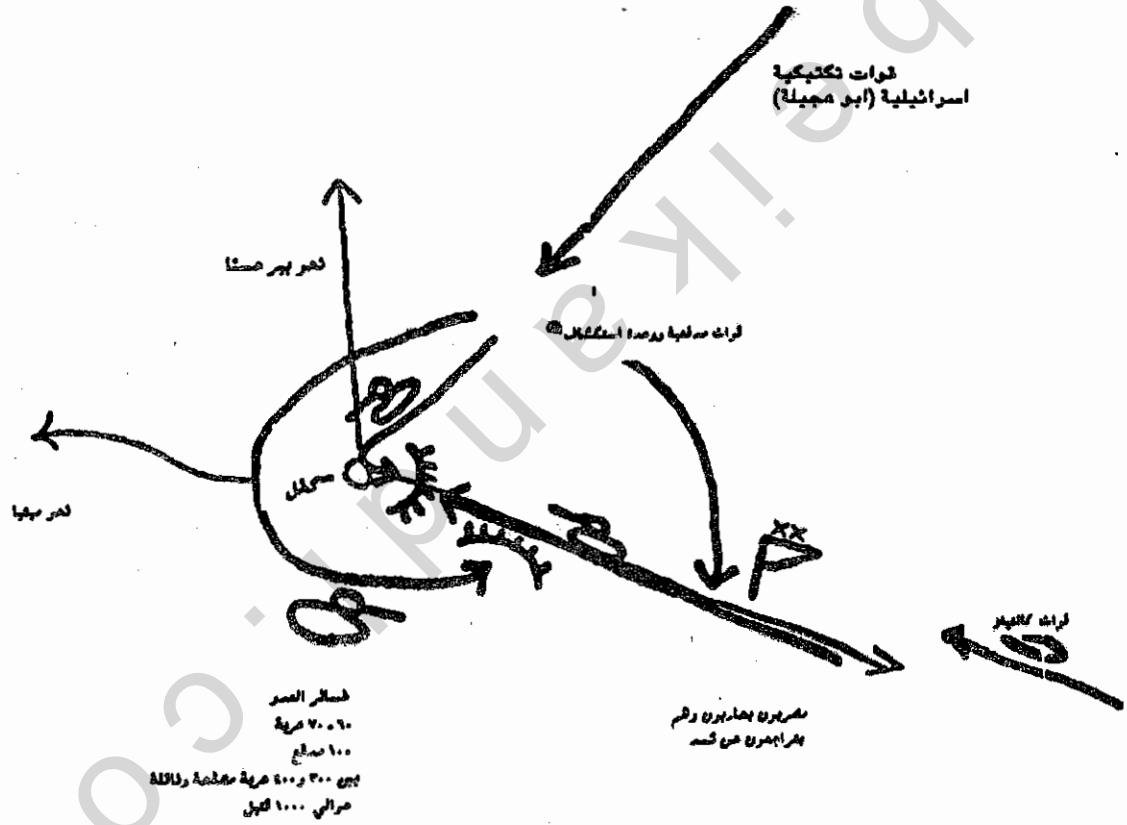

obeikandl.com

فى مواجهة هذه الحشود المصرية كانت اسرائيل تملك ثلاث فرق: فرقة تال، وفرقة يوفيه وفرقتى. وكانت خطتنا الشاملة تلحظ هجوماً عاماً من مختلف القوى فى صباح ٥ تموز (يوليو). كان على سلاح الطيران أن يدمر فى البداية تجمعات الطيران المصرى ومهابطه. وفى الساعة نفسها تنقض دبابات تال على رفح فى اتجاه العريش على الشاطىء. ومن جهتى اندفع بقواتى نحو ابو رجيله وقسيمة، على المحور الأوسط، أما فرقة يوفيه، الواقعة بيننا، فستجتاز رمول وادى حاردين المفترض فيها أنها غير قابة للاختراق، عازلة .

أن الهدف الأول لكل معركة فى الصحراء كان دائماً السيطرة على الطرق والدروب. وهكذا كانت الحال طوال ثلاثة آلاف سنة وهكذا هى الآن.

وفى أثناء حملة ١٩٥٦ هاجمت القوات الإسرائيلية من الجنوب واحتلت أولا قسيمة. غير أنها أصطدمت بمقاومة عنيفة فى أبى عجيلة: ثلاثة أيام من المعارك الدامية لم يتراجع المصريون فى نهايتها إلا لنفاذ إحتياطهم من ماء الشرب.

لاحظت فى الطريق عدداً من جنودنا متحلقين حول أسير مصرى. ولدى اقترابى شاهدت أحد جنودنا يضرب المصرى. **فحولته فوراً إلى المجلس العسكرى حيث حكم عليه بخمسة وثلاثين يوم حبس.** أن سلوكاً مماثلاً كان يجعلنى دائماً أخرج عن طورى. على الجندى أن

يحارب فى ميدان المعركة وبالتالى من يقتل عدوه. هذا هو تحديد الحرب بالتمام. لكنّ هذا العدو نفسه ما إن يصبح أسيراً حتى يجب تجنيبه أقل اذى. (*)

استعادة الأنفاس

لدى عودتى إلى سيناء كانت تنتظرنى مَهَمة مُهِمة وعاجلة: تجمع آلاف المصريين التائهين فى الصحراء والجاهدين بيأس لبلوغ القناة والعودة إلى ديارهم. مَهمة خطرة أيضاً. فهؤلاء الناجون يفتقرون إلى الطعام والماء والرؤساء. وبالإضافة إلى تعرضهم إلى شمس حزيران(يونيو) والرمال اللاهبة كانوا عرضة لكمائن بدو سيناء، الذين لم يكونوا يتوانون عن قتلهم لسرقة أسلحتهم. وفى صراع الهاربين مع القدر المميت كانوا قادرين على الإيذاء.

حاولنا أن نأسر أكبر عدد منهم لنحشدهم قرب البالوزا فى شمال سيناء حيث لا يموتون عطشاً ولا يتعرّضون لأذى البدو. وفى أمكنة تجمعهم كان الماء يوزع عليهم مع أن تقتينه كان عاماً يطال حتى جنودنا. فكنت ترى الجنود الإسرائيليين يقفون فى الصف مع الأسرى المصريين أمام الحنفيات (الصنابير) الشحيحة. كان من السهل ترك

(*) يدعى شارون طوال المذكرات أنه يتحلى بأخلاق المروءة العسكرية لكى يغطى على سلوكه البربرى فى الواقع وهذا ما ظهر جلياً من قتل الأسرى المصريين وأعمال الإبادة فى فلسطين (المؤلف).

المصريين يقلعون شوكهم بأيديهم ليعودوا إلى القناة. وكان ذلك سبيلاً أكيداً لتصفية قسم كبير من الناجين من الجيش المصرى، غير أننا كنا مجمعين تقريباً على رفض هذا الإحتمال لدواعى ضميرية، مع أن أيّاً منّا لم يكن ليجهل مصير عائلاتنا وجيراننا لو أن المصريين انتصروا علينا: كان الشعب اليهودى سيعرف حينئذ مذبحة جديدة.

من طبيعة الحرب أن يقتل الجندى عدوه. ولكن ما أن يصبح العدو تحت رحمة أسره حتى يغدو هذا الأخير مسؤولاً عن حياته ورفاهيته. عليه أن يعالجه إن كان جريحاً، مثلما يعالج جرحاه، وأن يعامله مثلما يأمل من العدو أن يعامل أسراه. هذه هى المبادىء التى سددت سلوكنا تجاه الناجين المصريين.

فى البدء فكرنا فى جميع أكبر عدد ممكن منهم لنبادلهم مقابل حفنة الجنود الإسرائيليين المأسورين. ولكن سرعان ما وجدنا أنهم أكثر من أن تستطيع العناية بهم، لذلك قررنا الإحتفاظ بالضباط فقط. أما الجنود العاديون فقد جُمعوا ونقلوا إلى مدينة القنطرة الواقعة على الضفة الشرقية للقناة التى اجتازوها على متن مراكب ارسلتها السلطات المصرية، لم يحصل إتفاق بهذا الشأن بين البلدين بل نوع من الموافقة الضمنية التى أتاحت لآلاف الجنود الفلاحين أن يعودوا إلى منازلهم سالمين، حتى ولو اجتاز بعضهم مائة وخمسين كيلوا مترا إلى مائتى كيلو متر فى الصحراء.

عندما علم السجناء أننا نعيد الجنود العاديين إلى بلادهم «اختفى» الضباط بسحر ساحر، كما لو أن شرائط الجيش المصرى تبخرت فجأة. وبما أن البزات الرسمية كانت ممزقة وسخة والسجناء لم يحلقوا ذقونهم منذ أسبوعين. كان يستحيل التمييز بين ضابط وجندى. أخيراً وجدنا علامة - علامة وحيدة - تتيح التمييز دون خطأ ممكن: كان الضباط يلبسون سراويل داخلية حريرية. أما رجالهم فسراويلهم قطنية خام. هذه التراتبية فى السراويل كانت تشكل فى نظرنا، نحن المعتادين على الديموقراطية، شيئاً مذهلاً ولّد فى صفوفنا طائفة من الدعابات والنكات. وهكذا فإن كل فريق من الناجين كان يؤمر أولاً بانزال البناطلين، فمن يرتدى سروالاً حريرياً يرسل إلى مخيمات السجناء، ومن يرتدى سروالاً قطنياً يأخذ وجهة القناة.

لذا كانت مَهمتنا الأولى تأمين سيطرة ميدانية فعلية. أنا أنحدر من عائلة يمكن وصفها بأنها «صهيونية براغماتية»(ذرائعية)، وهم أناس فهموا أنه فى هذا العالم غير الثابت الذى يسوده العنف لا يمكن المخاطرة بوجود الشعب اليهودى بالإستناد إلى «قصاصات ورق». فبقاؤنا لا يمكن أن يرتهن فقط بالثقة بحسن ارادة الغير؛ علينا أن نرسى هذه الثقة على «وقائع»، على إنشاء البلاد والدفاع عنها. واذكر اننى فى سنوات لاحقة، بين عامى ١٩٨٠ و ١٩٨١، عندما كنت اتفاوض مع المصريين، كان يتفق لى غالباً أن اتصل هاتفياً من القاهرة بأمى

للسؤال عن أحوالها. ومع علمها بأن المخابرة كانت مراقبة كانت تقول لى بلكنتها الروسية الباروزة« لا تصدقهم، لا تضع ثقتك بقطعة ورق !» هذا هو تماماً ما كنت اشعر به فى سنتى ١٩٦٧ و ١٩٦٨. فمهما كانت طبيعة الاتفاق الذى تفكر فى الحصول عليه ، ومهما كانت قيمته ، كنت عاقد العزم على فعل كل ما كان فى وسعى لإرساء وقائع من شأنها أن تؤمّن لنا سيطرة إستراتيجية.

كنت أعرف بالخبرة أن السبيل الوحيد لتأمين الدفاع على نحو دائم عن المناطق ذات الأهمية الإستراتيجية الكبيرة والواقعة تحت سيطرتنا هو الإستيطان فيها. فحدود البلاد رسمت دائماً وفق الوضع الجغرافى للقرى والمدن التى بنيت فيها؛ لذا كنت ادافع عن وجوب بقائنا اوفياء لهذا المبدأ.

وبقدر ماغيرت أحداث ١٩٦٧ بانوراما الصراع، فقد أدخلت اسرائيل فى طور جديد عبر عنه شارون بقوله :

« **كان أحساسنا جميعاً أننا تحررنا** من الحيل المعقود حول عنقنا قبل ٥ حزيران (يونيو) ١٩٦٧. قبلا كان الشعور السائد هو هشاشة هذا الشريط من الأرض الضيقة التى نعيش فوقها، وعدم ديمومة وجودنا ما دامت أعصابنا مشدودة من جراء الخطر المستمر للهجومات الإرهابية فضلاً عن شبح حرب حتمية » .

ثامناً : حرب الاستنزاف:

فى نهاية ١٩٦٩ كانت حرب الاستنزاف اخطر المشاكل الثلاث التى كانت على قيادة الجنوب ان تواجهها. وكان يليها فى الأهمية الحدود الأردنية بين البحر الميت وايلات. فمنذ حرب الأيام الستة كانت القوات السعودية معسكرة فى هذا القطاع، على امتداد وادى عربة، وكانت تتواطأ مع الإرهابيين المتسللين فى إستمرار إلى الأراضى الإسرائيلية. والمشكلة الثالثة - بالنسبة إلىَّ لم تكن هذه المشاكل تشكل سوى جبهة واحدة - كان قطاع غزة حيث كان نفوذ منظمة التحرير الفلسطينية يتزايد فى إستمرار ويتبلور بتصاعد سريع للعنف، لا سيما ضد السكان العرب فى القطاع. ومنذ تعيينى قائداً لمنطقة الجنوب العسكرى كانت بؤر العنف الثلاث، بالنسبة إلىَّ، تحدياً علىّ ان اجابهه.

لم تكن هذه الحرب المقنَّعة تهدد وجود إسرائيل نفسه، لأنها تجرى بعيداً من قلب البلاد الحيوى، الذى عرف للمرة الأولى حياة سوية. فالبلاجات وارصفة المقاهى كانت تعج بالناس الذين يتذوقون أخيراً هذا الترف النادر فى إسرائيل : السلام. ولكن من جهة أخرى كان جنودنا على امتداد القناة يواجهون الموت فى استمرار.

خط بارليف :

سيلاحظ القارىء أن **شارون بحقده قد قلل من أهمية خط بارليف لكى يقلل من شأن رئيسه من ناحية، ومن عظمة الإنجاز المصرى عام ١٩٧٣ من ناحية أخرى.** كان خط بارليف ، من منظور تاريخى، ثمرة الصدفة أكثر مما كان نتيجة خطة مُعدَّة. ففى نهاية حرب الأيام الستة توقف الجنود الإسرائيليون عند الضفة الشرقية لقناة السويس. وبعد اسبوع أو أثنين اضطروا إلى التخندق اتقاء لنيران المواقع المصرية المواجهة.

لم يحصل أول نقاش فى العمق حول الدفاع عن سيناء إلا عند نهاية العام ١٩٦٨ بعدما تكبدت قواتنا خسائر كبيرة على ضفة القناة. وتمخض الجدل عن قرار ليس فقط سنيقى حيث نحن بل سنبنى أيضاً أثنين وثلاثين موقعاً محصناً يكون كل منها نوعاً من القلعة المصغرة القادرة على الصمود فى وجه القذائف المدفعية الأفقية. وصرفت أموال طائلة لبناء الشبكة الدفاعية المعتمدة على نظام من السواتر الرملية العالية على إمتداد القناة، والغرف المحصنة تحت الأرض، ومزالق الدبابات، ومخازن التموين والتذخير، وطرقات الدورية، الخ. وكان المفروض بهذا المجمَّع أن يؤمِّن لنا السيطرة على الممر المائى.

هذا هو النظام بعينه الذى انبريت دائماً انتقده قبل تعيينى على رأس قيادة الجنوب العسكرية ، بل وبعد ذلك.

خلال السنوات الثلاث لحرب الإستنزاف لم يطلق المصريون مدافعهم بلا انقطاع، إذ لا جدوى من ذلك. فقنبلة واحدة تنفجر كل ساعة فى قلب التحصينات، حيث ينشغل جنودنا بإصلاح الأضرار وتحصين المواقع، كانت أكثر من كافية لشل حركتهم. وكانت هذه المبارزات المدفعية اليومية، بالإضافة إلى إطلاق المدفعية الثقيلة من حين إلى آخر وإلى الكمائن والغزوات ضد دورياتنا وعربات تموينا، تكلفنا أرواحاً غالية جداً.

ولكن فيما كانت لائحة القتلى تطول برزت إلى الوجود أمام أنظارنا حركة احتجاج شعبية ضد سياسة الحكومة. وبدأ كل شىء بسلسلة من الرسائل التى وجهها إلى رئيسة الوزراء جولدا مائير طلاب الصفوف النهائية فى بعض المدارس الثانوية، وإذ نشرت فى الصحف آثارت تحركات عميقة فى الرأى العام. كما لعبت على خشبة المسرح تمثيلية نقدية لاذعة عن حرب الإستنزاف، **عنوانها ملكة المغطس، لكن الرقابة منعتها لأنها تتسف معنويات الشعب».**

عندما اطلق المصريون حربهم الاستنزافية كانوا يراهنون على الحساسية المفرطة عند الاسرائيليين لخسارة أرواح بشرية، ويأملون فى تكبيدنا ما يكفى من خسائر تجعل الوضع لا يطاق فى نظر الشعب. وكنا على علم بما يراهنون عليه ولذلك فعلنا المستحيل لنبرهن

أن مصر هى أكثر عرضة للتجريح منا وأن قصفهم المتواصل سيرتد عليهم .

ادهشت الجميع موافقة الرئيس عبد الناصر على وقف اطلاق النار. ولم تمض ساعات قلائل حتى كشف النقاب عن سرها: فخلال الأشهر الأخيرة كان الروس يدفعون إلى الامام، خطوة خطوة، منصات إطلاق صواريخ سام٣، موسعين هكذا مداها فى إتجاه القناة. وكان نقل المنصات هذا قد شكل الهدف الأول للطيران المصرى الذى تحول إلى «مدفعية طائرة» محاولا أن يوقف تقدم المنصات (الأمر الذى كلفنا سقوط عدة طائرات). وفيما كان وقف إطلاق النار يدخل حيز التنفيذ كانت صواريخ سام ٣ وطواقمها تُنقل إلى الشرق. وبدا واضحا أن المصريين والروس قبلوا هذه الهدنة ليس بهدف التوصل إلى حل (كما اقتضت ذلك وزارة الخارجية الأميركية) بل كحيلة تسمح لهم بإعادة إنتشار صواريخ سام ٣ إلى الأمام من دون أن تتعرض - مؤقتا على الأقل - لهجمات الطيران الإسرائيلى. كان عملا يصعب مضاهاته على صعيد الإستخفاف وقلة الحياء.

ومن الملاحظ أن قبول مصر لمشروع روجرز فى يوليو ١٩٧٠ بينما كان الرئيس عبد الناصر خلال مفاوضات مع القادة السوفيت، قد فسر بطرق مختلفة ، فهو تارة يدل على أن مصر كانت تمهد لتسوية سياسية مع اسرائيل بعد أن أفهمتها حرب الاستنزاف بأن مصر لم

تمت وأنها قادرة علي إنزال الأضرار بالجيش المحتل. والطريف أن كلمة حرب الاستنزاف هى تسمية مصرية اقتبسها شارون مما يدل على اتحاد المعنى بين مصر واسرائيل فهى فى الحق استنزاف للقوة الاسرائيلية وليس للقوة المصرية ، أما الدلالة الأخرى لقبول مصر لمبادرة روجرز بينما كان عبد الناصر في موسكو فهو الضغط علي موسكو وإفهامها أن تحالفها مع مصر معرض لإعادة النظر . والدلالة الثالثة التى قدمتها بعض الدراسات في هذا الشأن هى أن مصر كانت تمهد لعلاقات مع واشنطن وأنها أدركت أن الاستقطاب السوفيتى الأمريكى في الصراع العربي الاسرائيلى قد عمل لصالح اسرائيل، وأن الرئيس السادات لم يجد صعوبة فيما بعد خاصة بعد حرب ١٩٧٣ فى تحويل مصر نحو الغرب وإنهاء معاهدة الصداقة مع موسكو عام ١٩٧٦.

تاسعاً : اسرائيل والمواجهة الفلسطينية الأردنية عام ١٩٧٠:

وفيما كنا نخوض صراعاً ضد الإرهاب كانت منظمة التحرير تُفرق الأردن تدريجيا فى ازمة جسيمة. ولم يكن فى الأمر ما يثير العجب بالنظر إلى دعم الملك حسين لزمر الإرهابيين فى جنوب المملكة القاحل. وسيكون عليه أن يدفع الثمن غاليا فى ١٩٧٠ عندما سيضطر إلى الصراع من اجل حياته ضد منظمة التحرير الفلسطينية.

ولاضطرار العاهل الأردنى إلى الانحناء امام ارادة الدول العربية الأخرى، وجد نفسه فى صيف ١٩٧٠ عالقا فى الفخ. وفى ٩ حزيران (يونيو) حاول رجال عرفات اغتياله. وفى الأشهر التالية أخذ التوتر يتفاقم بين الجيش الأردنى ومنظمة التحرير الفلسطينية ليبلغ ذروته فى الأول من سبتمبر (أيلول) عندما حاول الفلسطينيون مرة أخرى اغتيال الملك. وهذه المرة هاجم الأرهابيون موكبة فى قلب عمان. فنشبت معركة بين المهاجمين والمدافعين. ونجا الملك حسين بفضل برودة أعصابه فى أثناء المحاولة إذ اعاد حشر رجاله ليقوموا بهجوم مضاد.

فى ١٧ أيلول (سبتمبر) ضرب الملك ضربته الكبرى مقتحما المخيمات الفلسطينية فى شمال عاصمته. وقد أفلت زمام الأمور فسحق الجيش الأردنى بلا شفقة الوحدات المقاتلة فى منظمة التحرير، قاذفاً من دباباته ومدافعه ورشاشاته المؤلمة حمم نار جهنم. استولى الرعب المجنون على رجال عرفات فهربوا طلبا للنجاة، ودخل معظمهم سوريا. واجتاز عدة مئات منهم الحدود هربا إلى الأراضى الإسرائيلية. وتلقت قواتنا الأمر بتسهيل دخولهم والقاء القبض عليهم، وحُظِّر عليها ارغامهم على العودة إلى الأردن، وأكثر من ذلك قتلهم حتى ولو كانوا اقدموا على عمليات قتل عديدة فى إسرائيل.

لم يرد السوريون أن يكونوا شاهد زور على المجزرة المرتكبة ضد الفلسطينين، فهددوا الملك حسين فى ١٨ ايلول (سبتمبر) ؛ وفى اليوم التالى انتشرت العساكر السورية على طول الحدود الأردنية ؛ وفى صبيحة ٢٠ الجارى دخلت الأردن ارتالٌ من الدبابات السورية فى إتجاه مدينة اربد وغيرها من مراكز القوة العسكرية الفلسطينية.

لم تكن هذه الأحداث تجرى فى فراغ سياسى. فقتل الفلسطينين على يد الجيش الأردنى والتوتر المتصاعد بين المملكة الهاشمية وسوريا كانا قد ولدا سلسلة من التدابير والتدابير المضادة أولا عند الحكومة الأمريكية التى تقيم علاقات وثيقة مع الملك حسين ثم عند موسكو التى كانت تدعم فى آن واحد سوريا ومنظمة التحرير التى أصبح وجودها نفسه مهددا.

كانت إسرائيل، فى رأيى، معرضة لخطرين متمّيزين: الأول فورى، والآخر طويل المدى . فإذا تُرك السوريون أولا يهزمون جيش الملك حسين تصبح الأردن دولة فلسطينية - وهى ما كانته بالفعل من كل وجهات النظر، باستثناء اسمها. ففلسطين (أو أرض إسرائيل) كانت تمتد فى الماضى إلى جانبى نهر الأردن، لكن البريطانيين قسموا فى ١٩٢٢ البلاد إلى قسمين ليقدموا القسم المعروف انذاك بعبر الأردن إلى حلفائهم، العائلة الملكية الهاشمية الآتية من المملكة العربية السعودية. وفى ١٩٧٠، كان ٧٠ إلى ٨٠ فى المائة من الشعب

الأردنى مؤلفا من فلسطينيين؛ وكانت الشخصيات الأكثر بروزاً فى حياة الأردن السياسية والثقافية فلسطينية الأصل؛ وكذا الأمر بالنسبة إلى قوات البرلمان الأردنى وإلى الوزراء الأكثر أهمية وحتى إلى معظم رؤساء الحكومات فى عمان. فلو أنزلت منظمة التحرير الفلسطينية الملك حسين عن عرشه لاصبح الأردن رسميا كيانا سياسيا فلسطينيا.

عاشراً: شكوك العبور المصرى فى اسرائيل:

لم يكن من شأن ملاحظاتنا - ملاحظاتى الخاصة وملاحظات ضباط آخرين من قيادتى العامة - إلا أن تؤدى إلى نتيجة وحيدة : أن المصريين يستعدون جدياً لعبور القناة . ولهذا لم أشك فى جدية نوايا الرئيس أنور السادات عندما وعد فى العام ١٩٧٢ ، وهو يلقى خطابه التقليدى فى رمضان ، قائلا : «سأباركم السنة المقبلة فى سيناء» . (كان السادات قد خلف فى رئاسة الجمهورية الرئيس عبدالناصر الذى وافاه الأجل قبل سنتين) . **وعلى عكس معظم الإسرائيليين اعتبرت العرب دائما جديين كثيرا ، ينتهى بهم الأمر اجمالا إلى تحقيق ما يقصدون عمله** . صحيح أن عنصر الوقت عندهم لا يخضع للمنطق الغربى ، لكنهم فى نهاية المطاف يترجمون أعمالهم إلى أفعال . وفى الحالة الحاضرة لم أكن أشك لحظة فى أنهم سيهاجمون عندما يرون الوقت مناسبا لذلك .

لكن هذا الرأى لم يكن يلقى قبولا عندنا ، فبعد حرب الأيام الستة **ساد الاعتقاد فى اسرائيل أن العرب عاجزون عن خوض حرب حديثة** ، وأيضا ان التفوق الاجتماعى والتكنولوجى والصناعى فى اسرائيل كان بيِّنا بحيث لا يترك لهم أى امل فى امكانية ردم الهوة . **ألم تعلن جولدا مائير نفسها ان « مجرد فكرة ان يستطيع الجيش المصرى عبور القناة هو اهانة للعقل !» ؟ من جهتى، لم ابخس المصريين قط قدرهم ، وجاءت خبرتى على الجبهة تدعم هذا الرأى .**

اهانة أم لا للعقل ، كنا نتابع استعداداتنا الخاصة فيما المصريون يتدربون.

علاقة السياسة بالعسكرية

كنت مزمعا الآن أن أصبح سياسيا محنكا . وإذا كانت المفاوضات لانشاء الليكود نوعا من الدراسة الممهدة لدعوتى السياسية الجديدة فإن إدارة الحملة الانتخابية الوطنية كانت بالتأكيد جامعتى السياسية . فلقد تعلمت خصوصا ، على حسابى ، أن السياسة ابعد من أن تكون وظيفة براتب بلا عمل لاناس آتين من آفاق أخرى ، وخصوصا لمن جاء من عالم العسكر . فكثير من قدماء الضباط المحترمين الاسرائيليين يجربون حظهم فى السياسة ، لكنهم يعودون عامة عن قرارهم بسرعة. والآن بتُّ اعرف لماذا .

الحياة العسكرية معركة دائمة ، مثلها فى ذلك مثل السياسة . ولكن على رغم كل صعوباتها وما تخبئه أحيانا من مرارة إلا أنها تخضع لبعض القواعد والمبادىء . فى المقابل ، لا تعرف السياسة أى قاعدة ، كما أنها تجهل الاحساس بالتزام الحدود واحترام التراتبية . وعندما يدخل الضابط السابق هذه الحلبة يكون عادة قد عرف انتصارات باهرة وانكسارات مؤلمة ، وعاش ساعات مثيرة وعانى ارهاقات عميقة ، وعرف احساسا مسكرا من الثقة بالنفس ولحظات «ملهمة» ، كما عرف الخوف الكريه والرعب الفظيع، وكذلك يكون قد اتخذ قرارات حاسمة وتولى مسئوليات تتعلق بها حياته وحياة رفاقه .

ومع ذلك فإن هذا الإنسان نفسه هو من يدخل إلى عالم السياسة ليكتشف أنه هنا لا يملك غير فم ليتكلم ويد لينتخب تماما مثل جاره على هذه الطاولة أو ذلك الكرسى . وهذا الجار قد لا يكون عرف أو عاش حدثا موجبا العبرة أو مأساويا . فهو يجهل قمم الوجود ولُجّاته . وهو لم يطرح ايا من اعماله على محك النقد ، ولم يكن عليه أن يتخذ قرارات مصيرية تتوقف عليها حياة الغير . وهذا الرجل - ويا للعجب ! - له أيضا فم ليتكلم ويد ليتنخب .

أحدى عشر: العبور العظيم ١٩٧٣:(*)

كان الجميع منشغلين فى القاعة الكبرى بتحليل كتلة من المعلومات . وعلى رغم التقارير المتناقضة احيانا كان هناك شىء واضح: فى هذه اللحظة بالذات يجرى المصريون هجوما واسع النطاق على طول القناة. كانت مراكز المراقبة الواقفة على طول الجبهة تفيد عن اطلاق مدفعية ثقيلة وغارات جوية وزوارق إنزال عديدة ترسو على ضفتنا. وكنا لا نزال منكبين على هذه التقارير عندما أعلمنا أن السوريين يهاجمون بعنف وأن دباباتهم تنقض على هضبة الجولان. كانت الساعة الثانية بعد الظهر وبضع دقائق فى يوم هذا العيد الكبير الذى كان يجب أن يكون تحديداً نهار هدوء وخشوع. لقد تركت

(*) يوم الغفران هو يوم ٦ أكتوبر من كل عام فى التاريخ اليهودى- المؤلف .

جبهة سيناء في ٢٤ تشرين الاول (اكتوبر)
عندما أوقفت القوات الاسرائيلية تقدمها

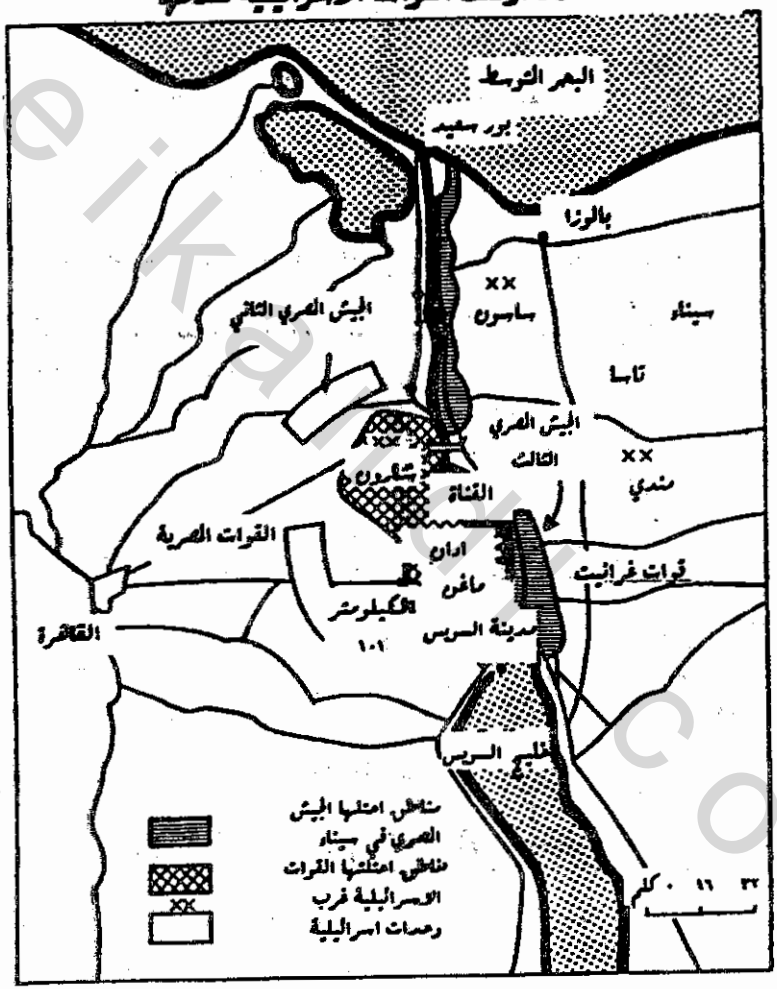

اسرائيل تُفاجأ بطريقة أو بأخرى . والحرب انفجرت على جبهتين. وللمرة الأولى منذ ١٩٤٨ كان اعداؤنا هم الذين اخذو المبادرة .

فى مواجهة قواتنا هذه نشر المصريون خمس فرق مشاة وثلاث فرق مؤللة وفرقتين مدرعتين . ويبلغ عدد دباباتهم الكلى أكثر من ألف واربعمائة دبابة . وقبل أن تصل القناة قواتى وفرقة الاحتياط التى يقودها ابراهام أدان ، يتعين على ماندلر أن يخوض اذاً معركة دفاعية ضد عدو يفوقه عددا على نحو كبير .

وكنت قد تلقيت معلومات أكثر عن مدى الهجوم المصرى وخطورة الوضع على خط القناة ، لكننى كنت آنذاك بعيداً من الظن بأن عددا كبيرا من رجالى لن يعودوا معنا بعد انتهاء الحرب قرابة اسبوعين ونصف بعد اليوم .

وجدت فى المكان كتلة من المعلومات المتوافرة ، وهى فى معظمها مشوشة بل متناقضة . لم يكن أحد على علم بما كان يجرى حقا على الجبهة ، ولم نجد من سبيل لتحديد الموقع الذى انطلق منه هجومهم الرئيسى - هذا إذا كان حصل فعلا . وفى غياب صورة واضحة كيف يُحدد تكتيك لهجوم مضاد ، وما هى المواقع التى يتعين علينا احتلالها؟.

حاولت أن أفهم ما كان يجرى حولى فعلمت بعض الأشياء المثبطة للعزم . وأولها أن الطيران لم يكن على قدر المقام بالضبط ، إذا صح

القول .. فبعد وقف إطلاق النار فى ١٩٧٠ نقل المصريون صواريخ أرض جو إلى القناة . وقد تركناهم يفعلون ، واليوم ندفع فاتورة غلطنا، وهى باهظة الثمن ! ولم تُشر وحدات الدبابات على طول القناة ، كما كانت تلحظ الخطة . فى المقابل ، كان قرابة مائتين من دباباتنا ، من أصل ثلاثمائة دبابة لفرقتنا فى سيناء ، على بعد مائة كيلو متر تقريبا من القناة ، فلم تستطع من هناك الرد فورا على عبور المصريين القناة.

ومنذ الساعات الأولى لبعد ظهر يوم أمس كان الناجون من الحامية لا يزالون يطلقون استغاثات يائسة.

استجابة لهذه الاستغاثات أرسلت فصائل دبابات من قوات الطليعة لمساعدتهم ، بعد أن قامت وحدات صغيرة منهم بجهود يائسة منذ أمس لمجابهة المهاجمين . ولدى تقدم الدبابات نحو القناة جوبهت بنيران جهنمية من الدبابات المصرية ومن الصواريخ المضادة للدبابات المثبتة فوق السواتر الحاجزة فى الدفاعات المصرية مقابل ضفتنا ، وحتى تلك التى نجحت فى التخلص من القذائف والصواريخ وقعت فى كمين وحدات مسلحة بالـ آر. بى. جى. وبصواريخ ساغر المضادة للدروع ، التى كانت تنتظرها فى جوار التحصينات . غير أن بعضها نجحت مع ذلك فى مقاومة العدو فى شق طريقها حتى خط بارليف.

من مآسى تلك الليلة الأكثر هولا مأساة الاحتياطيين الذين عبثا توسلوا أن نخلصهم من فخ التحصينات - أقول عبثا لأن طواقم

الدبابات كانوا يحملون اوامر صريحة جدا : عدم إخلاء المدافعين بل الاكتفاء بمساعدتهم ومحاولة فك الطوق عن المحاصرين منهم . ونجحت بعض الدبابات فى إخلاء الجرحى ، وبعضها الآخر انقض على الخطوط المصرية فى جهد لا جدوى منه لصد العدو . وطواقمها التى منيت بخسائر رهيبة حاربوا ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا ، كذلك عرف المصير نفسه أولئك الذين انطلقوا فى الموجة الثانية من الهجوم.

كانت القيادة العامة للجنوب ، بممارستها هذا التكتيك المسمى «اطفاء الحرائق» ، تتحدى كل قواعد العقيدة الحديثة لمعارك الدبابات. فبدلا من أن تطرح فى المعركة أكبر عدد ممكن من هذه القبضات الفولاذية كانت تضمنُّ بها باستخدامها بالنقاطة ، وبدلا من استثمار القدرة الكامنة فى مدرعاتها بمناورات وعمليات مفاجئة أطلقتها ضد أهداف ثابتة عبر طرق وصول معروفة ، ما أتاح للمصريين انتظارها بقدم ثابتة لتعمل فيها تحطيما على هواها . وفى هذه الظروف كانت جهود الطواقم ، مع ابدائها شجاعة تفوق طاقة البشر ، تبلغ حد الجنون وبالتالى لم تكن مجدية إذ قتلوا جميعهم تقريبا . ففى اليوم الأول خسرنا ثلثى الثلاثمائة دبابة المتوفرة فى الخطوط الأولى .

هل من المعقول أن تكون القيادة العامة غير عارفة بالوضع الميدانى ؟ هذه الفكرة أخذت تفرض نفسها على شيئا فشيئا .

وكنت من حين إلى آخر أوقف احدى دباباتنا أو عرباتنا المارة أمام مركز المراقبة لأتحدث إلى الضباط . وذهلت للتعبير الغريب والمرتسم على وجوههم : لم يكن خوفاً بقدر ما كان ذهولا . ففجأة حدث لهم ما لم يعرفوه قط من قبل ، هم المحاربون الذين تربوا على الغلبة ، وإن تكن انتصاراتهم غير سهلة دائما . وها هم الآن تحت وقع الصدمة : المصريون يعبرون القناة تحت أعيننا ويتقدمون فيما نحن نتراجع منقهقرين - كيف أمكن ذلك ؟

لكننى قلت للجنود قبل أن أغادر المكان : «انصحكم بالتزام الحذر. فالوضع يبدو هادئا ، لكن كل شيء قد يتغير فى لحظة» عند قولى هذا الكلام لم أكن أفكر فى احتمال حدوث حرب بل فى الفترات الهادئة التى كانت تسبق وقف النار وكان يتخللها بين وقت وآخر اطلاق قذائف غير منتظرة ومميتة .

كان المصريون قد احرزوا نجاحا ذا قيمة ، عبروا القناة وصدوا هجوماتنا المضادة . فلابد أن يكونوا واقعين تحت نشوة نجاحاتهم الأولى . فى المقابل ، كانت معنويات رجالنا المحاصرين فى مخابئهم تحت الأرض أو المتقهقرين منهارة نوعا ما .

اتيح لى أن اتحدث إلى آمنون رشف، المقدم الشاب الذى كان يقود لواء الدبابات التى كانت فى الطليعة وتكبدت خسائر جسيمة. بعد الليلة الرهيبة التى مرت عليه كان تعبا حتى الموت، لكنه حافظ

على برودة اعصابه وكان قادرا على وصف اختباراته مع المشاة المصريين بكل تفاصيلها. وقد قدر أن ١٤ دبابة، وربما عشرين، كانت لاتزال صالحة للعمل من أصل مائة دبابة تضمها وحدته..

كذلك حاولت الاتصال بحاميات التحصينات لاعرف وضعهم وهل هم قادرون على الخروج بوسائلهم الخاصة. وقد كرر جهاز ارسال حصن هيزايون، المطوق قرب جسر الفردان، رقم شيفرتى مرارا عديدة: « اربعون، اربعون، تعرَّفنا إلى صوتك. نحن نعلم.. نعلم انك ستسحبنا من هنا. رحماكم، ارسلوا الينا العون». كان مانسمعه دفقا مشوَّشا من كلمات وتضرعات صادرة عن احتياطى قُتل كل رؤسائه. واستمر هذا الصوت يترجَّانا هكذا طوال الأيام الثلاثة التالية حتى أُخرس جهاز البث نفسه؛ فحامية هيزايون قتل جميع أفرادها أو أُسروا.

الوضع لايطاق . فى حصن هيزايون قُتل الضباط وجرح بعض المحاربين الآخرين . وحصن بوركان مقابل الأسماعيلية كان مطوَّقا. لكن قائده مائير وايزال، النقيب الاحتياطى ، كان ينقل إلينا معلومات واضحة ومتماسكة عن تحركات المصريين. وحصن ماتزمِر، فى أعلى الطرف الشمالى للبحيرة المالحة الكبرى ، كان صامتا، أما لاكيكَن الواقع على ضفاف البحيرة فى اتجاه الجنوب فلم يكن قد هوجم بعد فأمرت رجاله بأن يغادروا المكان تحت جنح الظلام.

قلت: « لايستهدف المصريون تل أبيب وليسوا يملكون الوسائل لذلك. هدفهم هو القناة وخط الكثبان: ثمانية إلى عشرة كيلو مترات فى سيناء. وهم لايستطيعون السماح لانفسهم بالابتعاد خارج مظلة حماية صواريخهم أرض جو».

وكانت فكرة القيادة تبدو كما يلى : بما أنه افترض أن ادان قد قطّع الجيش الثانى المصرى إربا، سأتمكن أنا من فعل الشىء نفسه بالجيش الثالث الذى لايدرى حتى الآن ماحل بالجيش الثانى.

عندما تلقيت أمر التقدم نحو الجنوب اتصلت فوراً بغونن. لم أتلعثم وأنا أقول له إن مايطلب منى فعله هو خطأ فادح قد تكون نتائجه بمثابة كارثة، قلت له: « ادان لم يحرز أى نجاح، ولست أرى أى نجاح يمكننا استثماره ». ثم اعلمته بالتلال التى نحتلّها وحددت الإجراءات التى نتخذها لإيقاف تقدُّم المصريين. وقلت له: « ان حظوظ الاستيلاء حتى على جسر مصرى واحد هى عمليا لاشىء». ونصحته هذه المرة أيضاً بأن يأتى إلى الجبهة ليطّلع على الوضع إذا كان لايثق بكلامى.

جوابا على كلامى وبخنى اغونن حسب الأصول وهو يصرخ عبر الجهاز: إذا لم اخضع للأوامر سأعفى من قيادتى.

تفسير شارون لهزائم الجيش الإسرائيلى

اليوم الثامن من تشرين الأول (أكتوبر) كان يوماً أسود لجيشنا آذى قواتنا فى الصميم. لم نحصد فى اليومين الأولين من الحرب سوى هزائم، ولكن كان لايزال من السهل نسبيا أن نتذرع خلالهما بظروف مخففة: معلومات استخباراتية غير كافية وغير دقيقة، تقديرات مغلوطة من وزير الدفاع موشيه دايان، أخطاء مجلس الوزراء. غير أن أحداث ٨ أكتوبر لم يكن مسئولا عنها سوى الجيش نفسه.

لقد أنقلب ظهر المجن للجيش الاسرائيلى نتيجة أخطاء تكتيكية فادحة، بالإضافة إلى رضى ذاتى عند قادته تحول تدريجا بعد ١٩٦٧ إلى الصَّلف . فبعد حرب الأيام الستة وانتصاراته الباهرة بات الكثيرون من كبار الضباط مقتنعين بأن الدبابة هى السلاح المطلق. ألم يُشاهد المشاة العرب ينهزمون هاربين كالأرانب أمام ارتال الدبابات؟ هل يعود الفضل فى الهزيمة العربية لتكتيك كبار ضباطنا أم لاداء قواتنا؟ هذا السؤال لم يحظ بكبير اهتمام ما دامت الدبابات قادرة على سحق العدو وتأمين النصر.

على ضوء هذا المفهوم أصيب الجيش الاسرائيلى بعد ١٩٦٧ بما يشبه « هوس الدبابات » المَرَضِىّ . فاهملت أجزاء الجيش الأخرى: المشاة، القوات المحمولة، المدفعية. وأُنزلت من محمل الجد عقائد قتالية ثابتة مثل حاصل القوات / الجهد المركَّز، كما أنّ جنرالاتنا

وزَّعوا الأدوار مرة تغنى عن سواها: على الدبابات الاسرائيلية ان تنقض وعلى المشاة العرب أن يهربوا فى حركة كبيرة من الخوف المرعب. إن أخطاء غونن، كما حللها ادان فى ما بعد، يُعزى إلى واقع أنه لم يكلف نفسه عناء القيام بتقويم الوضع ووثق تماما بحسه. وكان حدسه « مبنيا على اختباراته السابقة مع المصريين الذين كان يكن لهم احتقارا كبيرا.

يقول شارون : فالجنود المصريون الذين واجهونا فى ذلك اليوم كانوا، ربما، أول مشاة فى العصر الحديث مجهزين ومدربين ليقاوموا الدبابات بل ليصلوها نارا قاتلة بأسلحة مصممة خصيصا لذلك. فدبابات ادان من طراز سنتوريون وباتون أصيبت من بعيد بوابل من صواريخ ساغر وغيرها من الأسلحة المضادة للدروع.

كان يوم الثامن من تشرين الأول (أكتوبر) كارثة حقيقية وكابوسا لرجال الدبابات. اطلقنا فى المعركة احدى أشهر وحداتنا فلم يكتف المصريون بصدها بل عمدوا إلى نتف ريشها.

ومن الواضح أن شارون يصور الثغرة على أنها عرفت بالصدفة وسبب هذا الموقف أنه لايريد أن يسلم بفضل الولايات المتحدة في مساندة اسرائيل في كشفها، حيث يقول :

عند هبوط المساء كنا قد تأكدنا من وجود « ثغرة» مفتوحة بين الجيش المصرى الثانى فى الشمال والجيش الثالث فى الجنوب. وكانت

هذه الثغرة فرصة مثالية يجب عدم تفويتها. والمصريون لم يلاحظوا تغلغل وحدتنا الاستطلاعية؛ وكانت الطريق المؤدية إلى القناة، المفتوحة على مصراعيها ، تومىء إلينا على مايبدو.

وكانت المعلومات التى أبلغت إلينا تقول إن « الثغرة » بين الجيشين الثانى والثالث لاتزال مفتوحة، مايرهن على مايبدو أن المصريين لم يكتشفوا حتى الآن وجودنا . فى شمال هذه الثغرة طريقان من الشرق إلى الغرب كنت انشأتها فى أثناء الأعمال الكبرى عام ١٩٧٠، احداهما- اسميناها « كافيش» بلغة الشيفرة- تصل تاسا بضفة البحيرة المرة الكبرى. وعلى بعد ثمانية كيلو مترات شرقى القناة تمتد الثانية - « طرطور» - فى موازاة اكافيش وإلى الشمال منها، وقد أُنشئت خصيصا لقطر جسر الأنابيب إلى القناة، وهو جسر فولاذى يزن قرابة ستمائة طن. وتنتهى هذه الطرق فوق الفناء المحاط بجدران والذى كنت اعدته فى آيار (مايو) كمكان تجمُّع فى اثناء عبور القناة .

بموجب الخطة التى شرحتها لضباط الفرقة علينا أن ننطلق مساء ونخوض المعركة الرئيسية فى أثناء الليل. فيهاجم لواء دبابات طوبيا ربيب ميسورى من الشرق فى مايشبه الهجوم الجبهوى الذى ينتظره المصريون . لكن هذا الهجوم سيكون فى الواقع لإلهاء المصريين وجذب انتباههم وقواتهم. فى الوقت نفسه يتقدم لواء امنون رشف فى

خط معقوف نحو الجنوب الغربى فيدخل الفسحة الحرة بين الجيشين المصريين ثم يلتف شمالاً ليهاجم القاعدة المصرية من الخلف. وسيكون على اللواء، فى هذه المرحلة، أن يحقق ثلاث مهمات: حماية الفناء فى مكان الإنزال، دفع المصريين إلى الشمال، وفتح طرطور واكافيش من الغرب إلى الشرق - أى مهاجمة القوات المصرية فيهما من الخلف. وبعد أن يتحرر الطريقان يتقدم لواء مظليى دانى مات نحو الفناء مع القوارب ويجتاز القناة. وما ان يُقام رأس الجسر حتى تعمد قوات الهندسة إلى التجسير بين الضفتين.

ويصف شارون نتائج معركة الدبابات فى ١٩٧٣/١٠/١٦ قائلا:

وإذ دنوت شاهدت أجساد الجنود المصريين والاسرائيليين مختلطة فى وضعها الأخير قبل الموت: قفزوا سوية من الهياكل الفولاذية الضخمة وهى تحترق، وسوية قتلوا. ولن يستطيع لسان ابدا أن يصف هول هذا المشهد، ولا رسام أن يصور ماحدث. وفى هذه الليلة نفسها سقط قرابة ثلاثمائة من رجالنا وجُرح مئات آخرون. وكانت خسائر المصريين أكثر فداحة أيضاً.

والآن هاهى مصر تمتد أمام انظارنا مباشرة نحن الواقفين على بعد مئتى متر من خط الماء أمام الفتحة المحدّثة فى السواتر، **مأخوذين بالاشجار والنباتات الوافرة، فى ضفتنا صحراء قاحلة ورمال وغبار. وهذه الضفة التى يشير إليها هى أيضاً الضفة الشرقية المصرية**

للقناة. ومن جهتهم أشجار نخيل وبساتين مخضوضرة.. بدا لنا أننا نشاهد الفردوس.(*)

لقد وصلنا الآن إلى المرحلة الحاسمة من المعركة. وكان علينا أن نقرر: نستثمر عبور القناة أو لا؟ وعبثا انتظرت أن يأتى غونن أو بارليف إلى الفناء ليطلعا بنفسيهما على الوضع. لو جاء أحدهما لكان أول شىء لاحظه أننا لم نكن لامعزولين ولامطوَّقين؛ وان الممر، حتى وان قل عرضه عن أربعة كيلو مترات، هو حقا ممرٌّ يلبِّى حاجاتنا. ولاقتنع بعد ذلك أن توسيع هذا الممرّ هو مهمة أصعب من أن تقوم بها فرقة واحدة عليها فى الوقت نفسه أن تدعم رأس الجسر فى الضفة الغربية. ولكن على بعد كيلو مترات عدة خلفنا، هناك فرقة سليمة تماما- فرقة ادان- تنتظر .

١٨ تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٧٣منذ عدة أيام نحن فى «افريقيا» على الضفة الغربية لقناة السويس . أُعطى المصريون الوقت ليستفيقوا من صدمتهم بعد عبور قواتنا القناة- وهى عملية وصفها أنور السادات فى البدء قائلاً « إنها مناورة تلفزيونية » كان المصريون قد أهملوا فى البداية قطاع العبور من دون أن يشكوا فى نتائج اختراقنا. لكنهم ماعتموا أن وعوا وشوك الخطر الذى كان يترصدهم: تطويق فرقهم وتشتيتها . ولذا كانوا يصبون على الجسر المرتجل حمم مدافعهم وكل

(*) هذا جزء من شعور الاسرائيليين بالحسد تجاه مصر وخيراتها (المؤلف).

مايملكون من قوة نارية . وكانت القذائف تمزق الرمال محدثة ضجة مخنوقة. ومن وقت إلى آخر كانت تنفجر مركبة فى الخضم المتواصل للرجال والدبابات الذين كانوا ينتشرون فى الجنوب والشمال خلف الخطوط المصرية . وكانت القذائف تولول فوق رؤوسهم ملقية وابلاً من قنابل النابالم.

كنا نحارب منذ يوم الغفران، أى منذ قرابة أسبوعين، ولم يذق أى منا طعم النوم الحقيقى. وكان الرجال في أثناء الهدوء النسبى يحاولون أن يستسلموا للنعاس ويأخذوا ساعة واحدة أو اثنتين وهم يرقدون فوق محركات الدبابات الحامية. وكنتُ قد أمضيت الليل بطوله فى مراكزنا المتقدمة، سايراً اغوار قطاع الاسماعيلية على ضوء النجوم وراصداً أقل اشارة تحرّك عند المصريين وهكذا غدوت عاجزاً عن فتح عينى على رغم نار الجحيم والقصف.

لم أكن أقبل تدخُّل رؤسائى فى قرارات تكتيكية قبل ان يروا ماأرى. فلو فعلوا ذلك ثم رفضوا وجهة نظرى لكنت انسجمت مع قرارهم. ولكن بما انهم لم يأتوا إلى الميدان فإنى لم أكن أستطيع قبول تدخلهم هذا. وإذاً كان علىّ أن أرفض تنفيذ أمر كنت أعرف أنه خاطىء، وكان علىّ أن أقبل المثول أمام محكمة عسكرية ، بجرم العصيان.

هذا التصريح أثار عاصفة حقيقية. هوجمت من كل الجهات بتهمة عصيان الأوامر. وأكثر من ذلك، كنت أجسد التمرد. واتسم

الجدل حول هذا الموضوع بالانفعالية الشديدة حتى أن لجنة اغرانات المكلفة بالتحقيق فى الحرب عالجت فورا تهمة العصيان بينما كان المطلوب التحقيق فى ظروف الأيام الثلاثة الأولى .

أوضحت حيثيات لجنة التحقيق اجتهادات القضاء العسكرى. وقد ورد فيها انه من النادر أن يكون المرؤوس مقتنعا فى اثناء المعركة أن رئيسه ما كان ليعطى أمرا ما لو عرف الوقائع السائدة ميدانيا. ولكن ان حدث ذلك يحق للمرؤوس اللجوء إلى كل إجراء متفق عليه من أجل تغيير هذا الأمر. أما فى مايتعلق بالاخلال بالنظام، فإن الضابط الذى يقبل بالمثول أمام محكمة عسكرية بدلا من أن يطيع أمرا معطى يعتبره خاطئاً إنما يستجيب للأصول العسكرية. وخلص التقرير إلى القول: « فى رأينا أن فكرة الجنرال شارون، كما عرضها، متطابقة مع أصول النظام العسكرى! ».

دخل وقف اطلاق النار حيز التنفيذ فى مساء ٢٢ تشرين الأول (أكتوبر) (مع أن متابعة المعارك فى الجنوب اضطرت مجلس الأمن إلى اتخاذ قرارا اضافى بعد يومين). وهكذا حل الصمت فجأة بعد ست عشرة يوما من الجحيم.

لقد شاهدت هذه المرة الكثير من المذابح التى يفوق هولها كل ماشاهدته فى الحروب الأخرى. وفى هذه اللحظة على الأقل كان من الصعب على أن اتخيل كيف يمكننا أن ننسى هذه المآسى.

ولعلّ سبب المأساة التى نعيشها يكمن هنا - ألفان وستمائة قتيل، يالها من فاجعة ابُتلى بها شعب بلغ عدده عام ١٩٤٨ ستمائة ألف يهودى، إنّما الأكثر مأساوية هو أن يقع ألفان وستمائة قتيل فى حين فقدنا كل مرجع وأحبطت طموحاتنا . لابد من طرح بعض الأسئلة الجوهرية الآن وقد تمكنّا أخيرا من تنفس الصعداء لأننا استطعنا، فى نهاية المطاف، قهر العدوّ: ماهو مستقبلنا؟ ماهى مثلنا العليا وحوافزنا؟ ماهو هدفنا القومى؟.

ولكن عواقب الحرب كانت لاتزال تضغط على نفسى. ففى عام ١٩٧٤ نشرت لجنة اغرانات النتائج التى توصلت إليها **مستنكرة بشدة عدم استعداد اسرائيل للحرب** وردّ الجيش غير الملائم على الهجوم المصرى المفاجىء. وأقصى كل من صموئيل غونِن ودايفيد اليعازار من مهامهما، إضافة إلى رئيس المخابرات وغيرهم من الضباط ذوى الشأن. وأجادت اللجنة فى تحليل أسباب فشلنا، لكنّ عواقب انتصارنا خلّفت فىّ مزيداً من القلق. **فالحرب أنجبت وهما خطيراً فى رأيى** . فى ١٤ تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٧٣ ، اقامت الولايات المتحدة الأمريكية جسرا جوياً من طائرات غالكسى س - ٥ لتنقل لنا عتاداً حربيا. وتركت هذه العملية فى النفوس أثراً معنوياً بالغاً، فهى برهان قاطع على الصداقة والإخلاص اللذين تبديهما الولايات المتحدة تجاهنا، ورسالة صريحة موجّهة إلى الاتحاد السوفيتى مفادها أن

دعمه حلفاءَه العرب لن يمرّ مرور الكرام. غير أن قيمة هذا الخط الجوى النفسية غلبت على طابعه العسكرى. ومع ذلك، بدا الجميع مقتنعاً بأن جيشنا هو فى حاجة ماسّة إلى عتاد الحرب وان اسرائيل نجت من الكارثة بفضل الولايات المتحدة . والحال ان هذا لم يكن هو الواقع، لحسن الحظ. وهو بذلك يقلل من شأن المساعدة العسكرية الأمريكية التى انقذت اسرائيل.

على الجبهة ، سمعنا موشيه دايان يعلن فى الكنيست أن الذخيرة التى كنا نستلمها ليلا كنا نستخدمها فى صباح اليوم التالى. وعرف كل من حضر ميدان المعركة استبعاد حصول مثل هذا الأمر . بعد الحرب. تعمّقت فى مسألة التموين والإدارة العسكرية، فتبين لى أننا على مدى أسبوعين ونصف من القتال، أى خلال الفترة التى استغرقها النزاع، لم تستخدم قواتنا إلا ٢٥ فى المئة من الأسلحة الخفيفة، و٥٥ فى ا لمئة من احتياط قذائف المدافع و٤٨ فى المئة من مخزون قنابل المدفعية. لم ينقصنا إلا ذخيرة المدافع الميدانية من عيار ١٧ ملم، غير أننا لم نكن نملك سوى عدد ضئيل من قطع المدفعية هذه. ولربما ساور القلق قادتنا العسكريين لأن المخازن العسكرية كانت فعلاً فارغة؛وهى لم تفرغ إلا لأن المكنة اللوجستية كانت تسير على خير مايرام ! فمنذ بدء الهجوم راحت مواكب التموين المثقلة بالذخائر والمعدات المختلفة فى مستودعات مصلحة الإدارة العسكرية تؤم مراكز التجمع المهيأة ورحبات الذخائر والعتاد فى الخطوط الأمامية. بتعبير آخر، كان

محتوى المخازن والمستودعات موجوداً حيث يجب أن يكون : على الجبهة.

بعد اعلان وقف اطلاق النار تجنبت التحدث فى هذا الموضوع خلال زياراتى المتكررة للجنود والعسكريين ورجال الصحافة الأمريكيين. فالوقت لم يحن بعد. كنت شاكراً للأمريكيين، لكننى كنت قلقا جداً لأننا دأبنا على ايلاء هذا الخط الجوى أهمية كبرى، كما لو أننا كنّا ندين له بالنصر الذى أحرزته أسلحتنا. فمن يسمعهم يصدق أن اسرائيل دولة عاجزة عن الدفاع عن نفسها بوسائلها الخاصة وأنها تعهد بهذه المهمة إلى حليفتها الجبارة. كان هذا الرأى يفسد مفهوم استقلالنا نفسه ويترك أثراً يضرّ بالجالية اليهودية فى الولايات المتحدة.

ثانى عشر: شارون والقضية الفلسطينية بعد ١٩٧٣:

(١) القدس

والسؤال المطروح هو التالى : كيف الحفاظ على وضع القدس كعاصمة الشعب اليهودى الأبدية؟ أو كيف نحافظ على أمنها ونوفر غالبية يهودية وسيادة يهودية خلال الخمسين أو المئة سنة المقبلة؟.

شهد التاريخ، منذ العصور التوراتية حتى أيامنا هذه، استمرارية اليهود فى القدس. ففى ١٨٤٠ كان المجتمع اليهودى يشكل المجموعة العرقية الساحقة، وفقا لأول إحصاء حديث لسكان المدينة. وفى ١٨٦٠ راح عدد اليهود يتزايد تدريجا حتى فاق عدد المسلمين والمسيحيين مجتمعين. وفى سنة ١٨٩٠ شكل اليهود ٦٠ فى المئة من مجموع سكان القدس. وأيام حرب الاستقلال ذهب سكان حى اليهود ضحية المذابح، منهم من وقع فى الأسر ومنهم من أقصى بعيداً. وفرض حظر الدخول إلى الأراضى اليهودية المقدسة، أما حى اليهود القديم فقد هُدِم من الأساس. وبعد مرور عشرين عاما فتحت حرب ١٩٦٧ أمام اليهود مجال العودة إلى المدينة القديمة. غير أن النصر الذى حققته أسلحتنا غير تركيبة السكان فى القدس، مستمينا بسبل غير متوقعة.

ومع الوجود الاسرائيلى فى اليهودية والسامرة اثر حرب الأيام الستة سرعان ماتحولت القدس إلى بقعة استقطبت أنظار عرب اليهودية والسامرة . ففرص العمل التى توفرها القدس، والخدمات الاجتماعية والبلدية التى تقدمها، ومدارسها ومستشفياتها امتصت دفقاً مستمراً من سكان المدن والضيع والقرى العربية وفى أقل من عشر سنوات تضاعف عدد عرب القدس فبلغ مائة وثلاثين الف شخص بعد أن كان خمسا وستين الفا.

(٢) مشروع شارون لاستيطان الضفة

كنت أدرك تماما أن لولا غوش ايمونيم والروح الرائدة الجديدة التى حشدتها هذه الحركة لبقى مشروع الوجود اليهودى فى اليهودية والسامرة حبراً على ورق. فهل ماحدث مجرد ظاهرة عابرة أم تيار كتب له الديمومة والانتشار؟ ما من أحد يستطيع الإجابة على هذا السؤال. على كل حال، كنت أشعر بأننا نعيش لحظات تاريخية وفرصة لايجدر التفريط فيها.

بعد ١٩تشرين الثانى (نوفمبر) ١٩٧٧، برز عامل آخر ساهم فى تسريع عجلة تطبيق هذا المشروع. فقد شهد هذا النهار وصول أنور السادات إلى مطار بن غوريون. فبدأت محادثات بين مصر واسرائيل افضت بعد سنة ونصف إلى توقيع اتفاقية سلام بين البلدين.

لم ألمس فى مبادراتنا ومشاريعنا فى (اليهودية والسامرة) يقصد الضفة الغربية أى تأثير على مفاوضات السلام.

لاتشكل المستوطنات عثرة فى وجه السلام. فأنا أؤمن الإيمان كله بوجوب إقامة هذه المستوطنات اليوم بالذات، مادام الجميع (من مصريين واسرائيليين وأميريكيين) ماضين فى مسيرة السلام.

خلال السنوات الأربع التى تلت أفلحت فى بناء أربع وستين مستوطنة فى اليهودية والسامرة . وكان البعض منها مجرد ركائز

نعتمد عليها، قوامها عدد من الخيم أو الأكواخ، أما البعض الآخر فكان عبارة عن مستوطنات متينة. وبقى العمال يعملون من دون كهرباء أو ماء، فعرفوا بداية صعبة فى ظروف حياتية بدائية. وكل مرة رأيت فيها أما أو أبا يغسل طفله فى الخارج فى جو بارد، كنت أحس بقشعريرة تسرى فى جسدى. لكن العيش فى محيط مواقع توراتية مثل شكيم او شيلوح أو بيت إيل، احتضنت بين حناياها ذكريات روحية وتاريخية، شكل فى نظر العمال أهمية خاصة ترجمت فرحا مستمراً وعزما ثابتا.

فى الفترة عينها، افتتحت فى الخليل ستاً وخمسين مستوطنة. فمنذ سنين والجليل لم يشهد بناء أى قرية يهودية، فى حين راح العرب يتزايدون بسرعة ويشغلون أراضى تملكها الدولة.

لم أعدل عن مواقفى وقناعاتى بان سياسة الاستيطان ضرورية لأمننا القومى، حاضرا ومستقبلا . ولم أكن اخشى بالتالى محاربة خصومى ومواجهتهم فى نقاشات علنية، ولا حتى تلقى شتائمهم . غير أنه صعب على تحمل الاتهام الذى يجعلنى شخصياً مسئولاً عن القرارات الحكومية المتنازع فيها.

(٣) الاستيطان الشارونى

من بين المسائل التى شكلت موضع جدال محتدم بيننا: سياسة المستوطنات . فقيما كنت أسعى بكد إلى الاسراع فى إنجاز المشروع، فضل بيجن أن يسير العمل على وتيرة معتدلة، يدفعه إلى ذلك أسباب

سياسية وشخصية شتى. فحاولت جاهدا إفهامه أن ضمان أمننا القومى أولاً يخولنا التصرف بحرية مطلقة لانتهاج سياسة استيطان. ولايشكل الأمن فى نظرى كلمة تقال أو مفهوماً مجرداً، فهو لطالما اقترن بإقامة القرى، والهضاب ، والمواقع الاستراتيجية - ولطالما كان رهن عمل دؤوب ، وزراعة ، وصناعة . فى اختصار، الأمن هو تأصل الرجال والنساء فى أرض الوطن . أما ثقتى بالألفاظ القانونية فكانت محدودة. وأنا ماكنت لأركن بالتأكيد إلى ضمانات ومعاهدات دولية لتحقيق أمننا القومى.

لكن السنوات التى أمضيتها فى الحكم جعلتنى أدرك أهمية الاتفاقات الخطية والأسباب الكامنة وراء أهميتها - تلقنت هذا وأنا لدى مناحم بيجن. فبفضله تمعنت فى إدراك التيار الصهيونى السياسى المضاد للصهيونية الذرائعية التى ولدت فيها وترعرعت فى محيطها. وأيقنت أخيراً أن إنجازاتنا كانت وليدة تزاوج متناغم بين هاتين العقيدتين . وفهمت أيضاً أن الاتفاقات القانونية عاجزة عن تحقيق مانصبو إ ليه مالم تستجب للضروريات الجوهرية. غير إنى كونت اليوم نظرة أوضح عن تفاعل هذين العاملين وتكاملهما.

بإيجاز، ليس للأوراق والوثائق أهمية فى نظرى إذا لم تدعمها وتبررها حقيقة ملموسة ، أما بيجن ، فكان بطبعه يميل إلى سياسة المعاهدات والاتفاقات.

ثالث عشر: ضرب المفاعل العراقى ١٩٨١ :

لسنوات خلت تتتبع اسرائيل بقلق الجهود التى يبذلها العراق لحيازة الأسلحة النووية. ولاعتبارات جمّة ومناقشات مطوّلة جرت فى تشرين الأول (أكتوبر) من تلك السنة ، قررت الحكومة تدمير المفاعل النووى العراقى قبل احتدام نشاطه. وكان من المقرر القيام بالعملية فى الأيام المقبلة. ولكن من المؤكد أن هذه العملية ستضع السادات فى موضع حرج. لأن هجومنا قبل القمة سيحول دون مشاركته فيها. أما ذاك الذى يتبعها بقليل فيوحى بوجود تواطؤ بين مصر واسرائيل. وبمعنى آخر، سيقع السادات ضحية تهجمات جديدة سيوجهها العالم العربى نتيجة علاقاته مع اسرائيل.

حُدّد أخيراً موعد انعقاد القمة فى ٤ حزيران (يونيو) ١٩٨١، أى قبل ثلاثة أيام فقط من التاريخ المقرر لتنفيذ العملية. وجرت المحادثات الرسمية والاحتفالات فى أحد الفنادق التى بنيناها حديثا. وكان مزاج السادات صافيا حتى أنه اقترح أن يعود الطهاة والخدم وملاك إدارة الفندق إلى معاودة العمل فيه بعد جلاء قواتنا من سيناء. وفى حضور مراسلى الصحافة من كافة أنحاء العالم.

تعيش اسرائيل، منذ إقامتها، فى محيط من البلدان المعادية لوجودها. وبسبب حالة العداء المستمرة كنت اعتبر دائماً أن بعض أعمال جيراننا غير المقبولة لدى اسرائيل، يجب أن يُنظر إليها على أنها « خطوط حمراء». وحيازة الدول العربية للأسلحة النووية خط من هذه الخطوط. ولم أتمكن يوما من فهم الإسرائيليين الذين يدعون إلى «توازن الرعب» فى الشرق الأوسط. يقول أنصار هذه المقولة مايلى: إذا كانت اسرائيل والدول العربية تملك أسلحة نووية فلن يسمح أى من الفريقين لنفسه بالهجوم، وهكذا سيتمكنان من خفض قواتهما التقليدية وبالتالى موازنتهما العسكرية.

فى أشهر ١٩٨٠ الأولى، تسارعت وتيرة بناء المفاعل النووى أوزيراك، فى حين أُعلن رسمياً نبأ تزويد فرنسا العراق بمادة الأورانيوم المستعملة فى صناعة الأسلحة النووية. كما أبرم صدام حسين، من ضمن برنامجه النووى، اتفاقات مع نيجيريا والبرتغال حول شراء كميات هائلة من الأورانيوم الخام، مكمّلاً بذلك المشتريات الفرنسية. أما مشاكل استخراج البلوتونيوم من سبائك الأوراتيوم المستهلكة فوُجد لها حل ضمن اتفاق مع ايطاليا التى تتعهَّد بتزويد العراق التكنولوجيا المتطورة اللازمة. وهكذا اجتمعت كافة العناصر المُستخدمة فى صنع القنابل النووية.

فى هذا السياق بدأت فى نيسان (ابريل) ١٩٨٠ حملة مدبرة تهدف إلى إقناع أعضاء الحكومة بضرورة تدمير المفاعل النووى العراقى، لتخريبه حتى يكف عنا شر خطره وأن يتم تدميره عبر هجوم جوى فورى .

تطرق عازر وايزمن، الذى كان قدّم استقالته من الحكومة قبل سنة، إلى هذه العملية. وقال لى : « إنها تنطوى على مخاطر جمّة لم تُمعن النظر فيها». وهو يرى فى اختصار وجوب نسيان هذه المسألة. كنت استشف من كل كلمة تخرج من فمه خطراً يحدق بحياة الطيارين وأشعر بها تنسف كافة فرص نجاح العملية. وفى الختام أجبته بهدوء:«أظن أنك ترتكب خطأ فادحا ياعازر بالتحدث عن مثل هذه الأمور».

على رغم معارضة حزب العمل اتخذ بيجن مع غالبية أعضاء مجلس الوزراء قرارا لصالح العملية. فحدد تاريخا جديدا هو ٧ حزيران (يونيو) ١٩٨١، أى بعد مرور ثلاثة أيام على قمة السادات – بيجن المرتقبة. وكنا تعرف أن السابع من حزيران يقع فيه نهار أحد، اليوم الوحيد من الأسبوع الذى لايكون فيه التقنيون والخبراء الأجانب فى مكان المفاعل النووى .

لم تصدر عن بغداد أى رد فعل اثر تدمير المفاعل النووى العراقى. أما سوريا والأردن والمملكة العربية السعودية فبدت فى حيرة

من أمرها. وإذ خفى عن مسئوليها حقيقة ماحدث لزموا بدورهم صمتاً حذراً. وفيما كانت حكومات المنطقة والشرق الأوسط لاتزال تدرس التقارير حول الغارة الاسرائيلية، وتسعى جاهدة إلى صياغة مواقفها، قرر حزب العمل الاسرائيلى، من جهته، ادانة القصف رسميا، واصفا اياه بالخطأ الفادح وبالمناورة الانتخابية . أما بيجن، الذى ثار لِمَا أُلقى فى وجهه من اتهامات. فاقتصر رده على سؤال طرحه على كل مزدرٍ ومحتقر : « أتعتقدون أننى أرسلت شبانا يهودا ليكونوا عرضة للخطر أو للأسر الذى هو اسوأ من الموت؟ أتعتقدون أننى أرسلت شبابنا ليخاطروا بأنفسهم من أجل انتخابات ».

رابع عشر: لقاء النميرى وقضية الفلاشا :

يقول شارون : كانت لى محادثات سرية مع رئيس السودان ، جعفر النميرى، للاطلاع على مشاكل القارة السوداء الاستراتيجية ، يدفعنى إلى ذلك، رغبتى فى بسط « سياسة محيط اسرائيل » التقليدية على افريقيا. (نظم هذا اللقاء يعقوب نمرودى، وهو صديق من أصدقائى القدامى، كان قد خدم لسنوات طوال فى دوائر الاستخبارات العسكرية الاسرائيلية، ليصبح فى ما بعد رجل أعمال على صعيد دولى. تمثل حلم نمرودى باستخدام التعاون الاقتصادى لاستحداث مجتمع صالح بين اسرائيل والبلدان العربية، معززا بذلك السلام) . التقيت بالنميرى لأول مرة فى أيلول (سبتمبر) ١٩٨١ ، بعد اغتيال السادات على يد مجموعة من المسلمين المتزمتين.

وخلال حديث لى مع الرئيس السودانى، شارك فيه كل من يعقوب نمرودى وعدنان خاشقجى (وهو رجل اعمال سعودى كان قد نظم هذا اللقاء بمساعدة نمرودى)، اعترتنى الدهشة عندما وجدت النميرى طيب المعشر شديد التهذيب وبرهن الرئيس السودانى عن معرفة وطيدة بمشاكل القارة الافريقية ، كما كان يتمتع بنظرة ثاقبة إليها.

باشرنا العمل بجولة أفق واسعة النطاق تناولت الوضع السياسى فى افريقيا، فقدم الرئيس السودانى عرضاً شاملاً عن الوضع السائد حاليا فى بلاده وعلى الحدود.

كان اقتناع النميرى يحاكى اقتناعى فى أن العمل التخريبى الذى يقوم به الليبيون بغية زعزعة حكومة التشاد والسيطرة على هذا البلد لايشكل سوى مرحلة من استراتيجية موسكو الرامية إلى بسط هيمنة الاتحاد السوفيتى على افريقيا الوسطى، من ليبيا حتى التشاد ومن جمهورية أفريقيا الوسطى (التى نجح الليبيون فى الدخول إليها قبل بضعة أشهر) حتى الكونغو - برازافيل الواقع تحت سيطرة الاتحاد السوفيتى . وأشار النميرى، الذى أعرب عن قلقه البالغ نتيجة هذه الحركة التخريبية الواسعة النطاق، إلى قدرات الجيش السودانى فى مواجهة هذه التهديدات. وكنا نحن، من جهتنا، نتتبع عن كثب النشاط الليبى . كانت ليبيا القذافى أكثر الدول العربية تشددا فى كرهها لاسرائيل. وأصبح القذافى، بفضل ضخامة رساميله وروابطه الوثيقة

بموسكو، الدعم الأساسى الذى يرتكز عليه الارهاب الدولى، موفرا للارهابيين تدريبا مكثفا، ومزودا اياهم اسلحة ، ومانحا اياهم مساعدة لوجستية. وكانت معارضتنا المشتركة لـ « العقيد الفائز» سببا من الأسباب الكامنة وراء لقائى بالنميرى .

وتضمن جدول أعمالنا نقطة أخرى من اقتراح مضيفنا الخاشقجى. وكان الخاشقجى على اتصال بابن شاه ايران، المنفى، آنذاك فى المغرب. وكان الشاب رضا بهلوى قد وضع، مع عدد كبير من القادة العسكريين الايرانيين، مشروعا يهدف إلى تحرير بلاده. بدأ فريقه تنفيذ المراحل الأولى من تجنيد القوات الايرانية التى ستشكل الفتيل الذى سيضرم انتفاضة الشعب فى وجه حكم آية الله الخمينى. ويقضى المشروع الأساسى بتدريب تلك القوات فى السودان التى تبعد عن ايران مسافة تكفى لتبدد المخاوف كلها من قيام عملية ضد نشاط ليس من الصعب على الخمينى أن يحدد غرضه. ويفترض هذا المشروع أن على المملكة العربية السعودية تمويل هذه القوات وأن على اسرائيل تجهيزها وتزويدها بالسلاح. وبعد الاصغاء الى تفاصيل اقتراح الخاشقجى وايضاح بعض المسائل التى يتطرق إليها هذا المشروع، تقرر معاودة الاجتماع فى تموز (يوليو) فى الأسكندرية لاستئناف النقاش. غير أن هذا اللقاء لم يتم قط، فاسرائيل فى تلك الفترة كانت منغمسة حتى أذنيها فى لبنان.

فى ذلك اليوم دارت مناقشاتنا ايضا حول موضوع آخر كان يتعلق بوجه خاص بالسودان واسرائيل . تتبعت حكومتنا هذا الموضوع بانتباه مؤلم منذ أربع سنوات تقريباً، أما فى نظرى، فكان أهم المواضيع المُعالجة. فمن بين عشرات الالاف الهاربين من جبال أثيوبيا إلى شرق السودان كان هناك سيل مستمر من الفلاشا أو اليهود الاثيوبيين. وكان الفلاشا مضطهدين منفيين حتى بين هؤلاء البؤساء المشردين الذين يموتون جوعا، الهاربين من الحرب الأهلية التى تشهدها أثيوبيا والمجاعة التى تعانيها. ولكن خلافا لسائر الهاربين كان فى وسع الفلاشا أن يحلموا بمستقبل أكثر رأفة، آملين أولا الخروج من المعسكرات السودانية المريعة. فمنذ ١٩٧٧ ونحن نسهّل لهم المرور سراً وبأعداد ضئيلة إلى اسرائيل. واتسمت هذه العملية بالدقة والخطورة، إذا ما أخذنا فى عين الاعتبار العداوة القصوى التى تكنها الحكومة الاثيوبية لاسرائيل، وروابط السودان الإسلامية والعربية .

وعندما تطرقت إلى الموضوع مع النميرى طلبت منه صراحة القيام باللازم حتى يلقى اليهود الهاربون معاملة انسانية. فتساءلت هل هو مستعد ليسمح لهم بالرحيل جواً من الخرطوم؟ كانت المرة الأولى التى يُفتح فيها المجال أمام اسرائيل لطرح المشكلة على هذا الصعيد. ولم أكون أى فكرة عن اجابة النميرى. فواقع قيام عملية سرية غاية

فى التعقيد لنقل عدد هائل من هؤلاء الفلاشا إلى اسرائيل فى الساعة عينها، كان يعزز مخاوفى أكثر فأكثر . فالتدابير كلها والتنظيمات المرتبطة بهذه العملية تحظر تغيير جدول أعمالها. وبتعبير اخر، يتواصل سير العملية على رغم انعقاد هذا اللقاء ومخاطر حلول طارىء قد يضعنا فى موقف حرج جداً.

خامس عشر: عملية سلام الجليل ومذابح صبرا وشاتيلا:

يروى شارون أن اسرائيل التزمت بوقف اطلاق النار مع منظمة التحرير على ألا تهاجمها قوات المنظمة من لبنان . ولكن شارون كان يستعجل موافقة واشنطن ومجلس الوزراء الاسرائيلى على خطة لاجتياح لبنان وطرد المقاومة الفلسطينية منها وفى ذلك يقول:

ويواصل بيجين موضحا أن التفسير الاسرائيلى مختلف . فوقف اطلاق النار، فى نظرنا، يعنى وضع حدّ كلىّ للأعمال الارهابية. وفى قبولنا تطبيقه على أرض اسرائيل فحسب نكون قد ضحينا بأرواح اليهود وقادتهم المنتشرين خارج حدودنا، فى كافة أنحاء العالم. لهذا السبب طالبنا وقفاً كلياً لاطلاق النار. ويتابع بيجين أن للارهابيين تفسيرهم الخاص. (يطلق بيجين على الارهابيين كلمة منوفاليم Menouvalim ، والتى تعطى ترجمتها التقريبية إلي اللغة العربية صفة

منظمة التحرير الفلسطينية في لبنان.

«المصدر» الارشاب الدولي.

من عام ١٩٦٨ الى ١٩٨٥، تم إعداد ٣٠٠٠ ارهابي في معسكرات منظمة التحرير الفلسطينية في لبنان

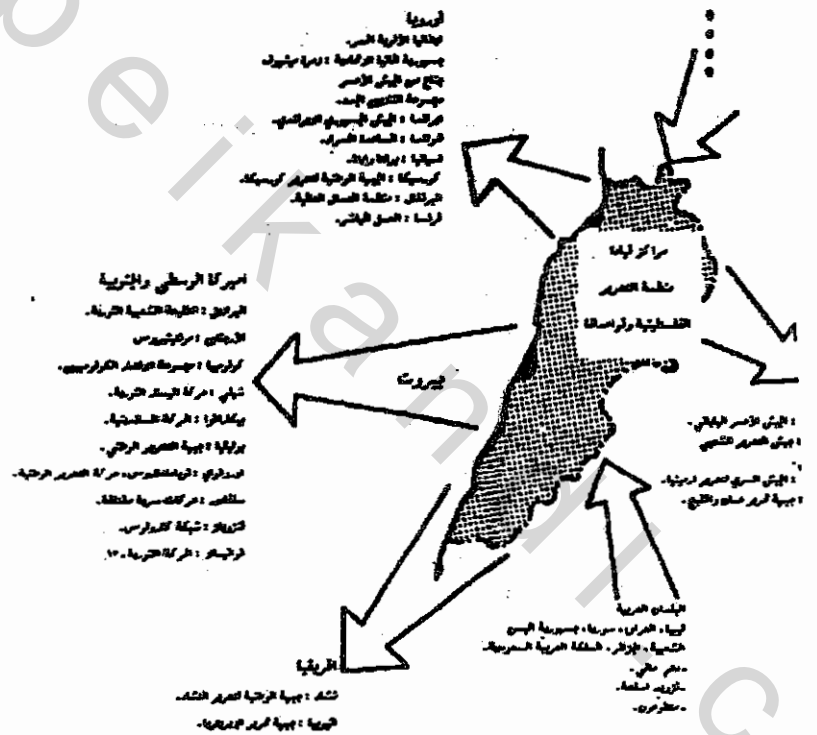

أعمال اعتداءات منظمة التحرير الفلسطينية من ١٩٦٨ الى ١٩٨٥ (قبل معركة السلام) في الخارج.

الجنسية	عدد الهجمات	عدد القتلى في الخارج
عربي	٣٢٦	٢٥٨
أجنبي	٢٦٦	٦٥
	٦٠	٢٠١

الجنسية	عدد الهجمات	عدد القتلى في الخارج
عربي	٢٧٩٥	٢٧٩
أجنبي	٢٧٩٥	٢٧٩

الجنسية	في الجمهورية والمقاطعات المحررة	في اسرائيل	
عربي	٩٠٤١	٩٥١	٦٨٩
أجنبي	٢٢٢١	٢٤٢٢	٢٢٢١

obeikandl.com

« الوغد » أو « الخسيس » أو «الحقير». فهؤلاء يقولون بأنهم سيواصلون شن هجوماتهم على امتداد الأراضى التى يصفونها «الوطن المحتل».

ترى كيف للمرء، وإن تجلد بإرادة صلبة، أن يعيش فى ظل تهديد مماثل صادر عن عدو عازم على تنفيذه؟ هل انتظر الأميريكيون أول صاروخ سوفيتى من كوبا؟ لا، فالرئيس كيندى كان مستعداً للمخاطرة بانفجار نووى حين طرحت هذه المسألة. أما نحن، فالصواريخ والمدفعية وسائر أنواع الأسلحة تنتشر أمام عتبة دارنا.

ثم استشهد بيجين ببيان منظمة التحرير الفلسطينية وفيه تعلن أنها ستواصل شنّ هجوماتها على الأراضى الاسرائيلية.

وقال بيجين: « فى هذا البيان يعلن الفلسطينيون الحرب على شعب اسرائيل، مجاهرين بعزمهم على نشر البؤس وقتل الرجال والنساء والأطفال، فى أرض اسرائيل قاطبة.. ولو واجهت أمة أخرى غير أمتنا مثل هذه التهديدات لتحركت ومابقيت مكتوفة الأيدى».

فى ختام هذا الاجتماع المهم اعتمدت الحكومة القرار الآتى : « لن تقبل اسرائيل بأى طريقة هذا التفسير الاعتباطى (لوقف اطلاق النار) الذى أعطته المنظمات الارهابية والذى يهدد مباشرة أرواح الاسرائيليين واليهود من رجال ونساء وأطفالَ من خلال هذا القرار،

اعتمدت الحكومة الاسرائيلية قرارا بمبدأ الرد على كل عمل ارهابى فى مكان ارتكابه.

تفاقم الوضع حتى أصبحت أدنى شرارة ارهابية قادرة على التسبب بتفجيره . فذهبت إلى الولايات المتحدة فى هذا الجو السائد للقاء هيغ وكاسبار واينبرغر. كان من المفترض مناقشة سلسلة مشاكل لكن هدفى الأول تمثل بالتأكد من أن واشنطن قد فهمت نوايانا فهما واضحا. يدفعنى إلى ذلك سببان: أولا، كنت أعرف أن الأمريكيين سيسارعون للضغط على منظمة التحرير الفلسطينية حتى توقف أعمالها الارهابية، وذلك حالما يطلعون رسمياً على نوايانا. وفى حال توصل إصرارنا إلى التأثير على الأمريكيين ستتوفر فرصة إيجاد تسوية ما لحل النزاع عبر سبل تختلف عن سبل الحرب والأسلحة. ثانيا، لم أكن أرغب فى المفاجآت بيننا وبين حلفائنا.

خلال غداء عمل فى البنتاجون قلت لواينبرغر اننا نعى تماما دقة الموقف لكن صبرنا بدأ ينفذ ولم يعد فى وسعنا العيش والارهاب يهددنا فى استمرار. فإذا ما وقع أى حادث سنتحرك « لإزالة البنية التحتية الارهابية فى لبنان ».

فى اليوم عينه اجتمعت بهيغ وفيليب حبيب ونقلت إليهم الرسالة ذاتها وبألفاظ أكثر صراحة أيضا. قلت لهما إن معظم المنظمات الارهابية فى العالم لهى مرتبطة بمنظمة التحرير الفلسطينية المقيمة

فى لبنان. لم نعد نقوى على تحمل الوضع. فعلى رغم المأزق الذى سنقع فيه لامناص لنا من طردهم من هناك. وأضفت نحن لانريد الحرب ولانحبذ فكرة شنها، « خصوصا ضد السوريين». غير أننا نود فى الوقت نفسه تجنيبكم المفاجآت ». وكرر وكرر حبيب غير مرة مواقفه، وهى أن الاعتداءات على الاسرائيليين واليهود فى أوروبا لم تدخل فى نطاق اتفاق وقف اطلاق النار. وهذه المرة أيضاً رفضت مجاراته فى تفسيره واجبته: بما أن الاعتداءات تنظم فى لبنان والتعليمات بتنفيذ الاعتداءات تصدر من لبنان، فلن نقبل بهذا النوع من التمييز. فتصاعدت وتيرة الكلام. وكرر على مسمعى كل من هيغ وحبيب أنه فى حال شن اسرائيل « تحركا يتجاوز الحد » فى غياب أى « تحد معترف به عالمياً، سيترتب على الولايات المتحدة من جراء ذلك نتائج وخيمة . فسألته : « كم يهوديا تريدون أن يقتل حتى يصبح التحدى واضحا؟ واحد ؟ اثنان، خمسة ، ستة ؟... من جهتنا ، ان الإجابة على هذا السؤال هى فى منتهى الوضوح ».

لم آت إلى واشنطن سعيا وراء اذن أمريكى لما قررنا القيام به، جئت إلى واشنطن لإفهام الأمريكيين ودياً، بصفتهم حلفاء، أين نحن على وجه التحديد من المسألة. أما هيغ، فأوضح لى موقفه بألفاظ صاعقة فى صراحتها. وعندما غادرت واشنطن أصر على اعطاء كلامه مزيدا من الأهمية عبر توجيه رسالة إلى بيجين يدعونا فيها إلى

« ضبط النفس كلياً » فجاءت إجابة بيجين مختصرة شخصيته: «حضرة الوزير ، لم يلد الذى سيحصل على موافقتى حتى أشهد قتل اليهود على يد عدو متعطش للدماء» . كانت هذه إجابة ملؤها الفخر والاصرار.

كانت مشكلة لبنان شائكة، لكنها لم ترد وحدها فى جدول أعمال محادثاتى مع هيغ. بدأنا محادثاتنا بجولة أفق واسعة تناولت الوضع القائم فى الخليج الفارسى وانتشار الأصولية الشيعية التى أثارت قلق واشنطن البالغ. كما تطرقنا إلى مسألة « لافى »، الطائرة الحربية المصممة فى اسرائيل والتى تشكل موضوع تعاون اسرائيلى - أمريكى محتمل.

ابدى كاسبار واينبرغر اعتراضات حيال هذا الموضوع، غير اننا كنا مصممين على تصنيع طائرة استنادا إلى تجربتنا فى حرب الغفران التى واجهنا خلالها مشاكل فى منتهى التعقيد فيما يتعلق بالأسلحة المضادة للطائرات. كنا مقتنعين بقدرتنا على صنع أفضل طائرة «درجة ثانية» فى العالم. أولينا هذه المسألة أهمية خاصة بسبب عدد طائراتنا الضئيل نسبياً وإجراءات البيع وما يرافقها دائما من مماحكات. كنا مقتنعين أيضا بأهمية « مشروع رائد » يجعلنا نبلغ أعلى مستويات التكنولوجيا ويساهم فى تشجيع صناعاتنا المتطورة كما يخولنا بيع مختلف أنواع الأنظمة - كإلكترونيات الطيران - وذلك بعد إدخالها فى طائراتنا واختبارها خلال العمليات .

إضافة إلى هذه الأسباب كان لهذه المسألة جوانب أخرى. فأنا رأيت دائما فى الطائرات الحربية سلاحا سياسيا. فالتهديد أو الضغط الدبلوماسى يبدأ دائما بفرض حظر على الطائرات الحربية وقد عانت اسرائيل من هذه الحقيقة سنوات طويلة ، شأنها شأن عدد من الدول الصديقة، فنحن شهدنا الحظر البريطانى ثم الفرنسى ثم الأمريكى الذى دام قرابة العشرين عاما. خلال ١٩٦٥ باعنا الرئيس جونسون، لأول مرة، طائرات حربية أمريكية . ومنذ ذلك الحين أخذنا نعانى الازعاج والمراجعات والتأجيل كلما كدرنا حلفاءنا. لعبت دائما الطائرات الحربية دور السوط، ولشدة أهميتها الحيوية بالنسبة إلينا شكلت سوطاً فعالا على نحو خاص.

ارتكز جوهر المحادثات على التكنولوجيا الاسرائيلية. ومع أن غرض زيارتى اقتصر على التعاون التكنولوجى، فقد أردت درس مسائل أخرى.

من المسائل التى اوليتها اولوية امكانية ان تأخذ بوخارست مكان فيينا كمحطة ترانزيت لمرور اليهود المغادرين الاتحاد السوفيتى. وكانت فيينا قد شكلت عائقا كان يبدو ممكنا إزالته فى حال غيرنا نقطة العبور. فكثير من اليهود السوفيت قدموا ملفات هجرة لموافاة أفراد عائلاتهم فى اسرائيل، لكنهم فى أغلب الأحيان كانوا، ما أن يصلو النمسا، حتى يفضلوا الذهاب مباشرة إلى الولايات المتحدة. وقد نجم

عن هذه الظاهرة تأثير سلبى على عملية الهجرة وضرر لاحق باسرائيل نفسها التى كانت تشاهد هكذا آلاف المواطنين القادرين يرفضون الذهاب إليها هى التى انشئت لتكون وطن يهود الشتات .

كانت هذه مسألة معقدة. بيد أننا لانستطيع إلقاء اللوم على المهاجرين فهم يعيشون منذ أجيال فى الاتحاد السوفيتى فى ظل نظام يصعب العيش فيه على كل انسان، وخصوصا على اليهود الذين دمر إرثهم الثقافى تدميراً كلياً. لقد كانت معرفتهم باليهودية تقتصر فى وجه عام على معلومات ضئيلة، أما اسرائيل فكادوا يجهلون عنها كل شىء لولا الانباء القليلة التى كانوا يقرءونها فى الصحيفة السوفيتية «البرافدا» . ومع أنهم لم يتأكدوا من الأخبار التى كانوا يقرأونها، ظلوا مقتنعين بأن اسرائيل مكان مريع. فلاعجب، فى ظل هذه الظروف، إن أبدوا فتورا تجاه فكرة العيش فيها .

اقترح أحد الحلول المطروحة استقدام اليهود السوفيت مباشرة من مكان الترانزيت إلى اسرائيل . فبهذه الطريقة سيتمكنون على الأقل من مشاهدة بلدهم بأم أعينهم قبل أن يختاروا المكان الذى ينوون العيش فيه. وإذا ما أصروا لاحقا على التوجه إلى الولايات المتحدة يبقى المجال أمامهم مفتوحاً دائما لمغادرة اسرائيل . غير أن شعوراً انتابنى بأن سوادهم الأعظم سيفضل البقاء هنا .

ناقشت هذه المسألة مع الرومانيين ، كما تطرقنا إلى مسائل أخرى قد تشكل فى نظرهم مثار اهتمامهم، كإقامة وضع تجارى فى الغرب يعود عليهم بإفادة أكبر. وقبل مغادرة البلاد أعربت إلى وزير الدفاع عن رغبتى فى العودة مجددا إلى رومانيا لزيارة الأماكن التى لم أشاهدها هذه المرة. فأكد لى مبتسما اننى لن افوت فى المستقبل القريب زيارتها مجددا. فقلت فى نفسى إنه قد يكون مصيبا فى توقعه.

عملية سلام الجليل :

الجمعة فى ٤ حزيران (يونيو)، فيما كنت استجم أو افاوض فى بوخارست اجتمعت الحكومة الاسرائيلية لاتخاذ قرار الرد على الاعتداء الذى استهدف شلومو أرغوف/ أُعلِم الوزراء بأن الاعتداء معزوّ إلى مجموعة أبو نضال وهى إحدى المنظمات الارهابية الفلسطينية . وتواترت الاعتداءات التى استهدفت سلكنا الدبلوماسى فى الخارج. فإذا بيبجين يعلن فى اجتماع الحكومة : « ليس من المقبول أن يفلت من العقاب هؤلاء الأوغاد الذى يحاولون اغتيال دبلوماسيينا . لدينا فى العالم عشرات السفراء. أنتظر مصرع ممثلينا فى رومانيا أو أثينا حيث يسهل القتل أكثر مما يسهل فى لندن؟».

لم يشكل الاعتداء على أرغوف (السفير الاسرائيلى فى لندن) سوى الشرارة التى كان عليها ان تشعل فتيل الحرب. فسبب الحرب

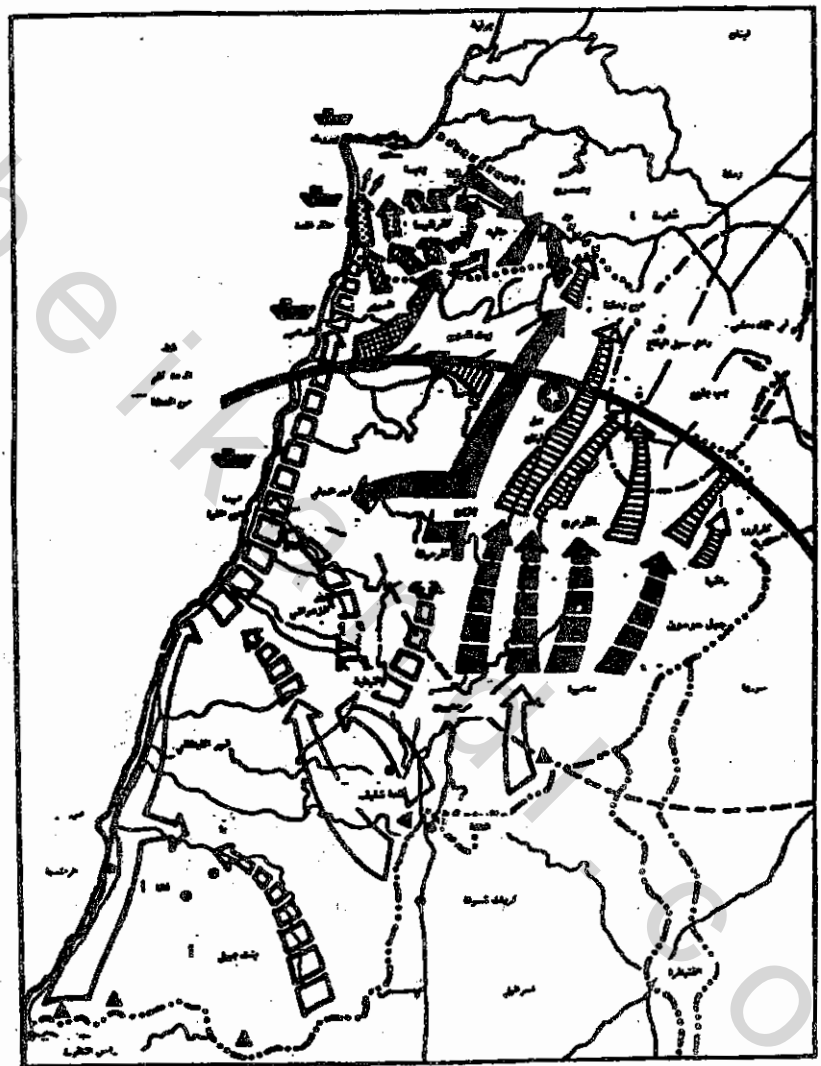

obeikandl.com

الرئيسى كان يكمن فى سلسلة طويلة من الجرائم التى ارتكبتها منظمة التحرير الفلسطينية (والتى بلغ عددها مائتين وتسعين جريمة، أما هذا الاعتداء الأخير فليس إلا الأحدث تاريخا) . ويكمن هذا السبب أيضاً فى زيادة عدد البطاريات الطويلة المدى فى جنوب لبنان . (جرى هذا كله خلال الأشهر الأحد عشر التى أُعلن فيها وقف اطلاق النار المزعوم). فى ١٦ آيار(مايو) ١٩٨٢ كانت الحكومة الاسرائيلية قد اتخذت قرارا مبدئيا بالقيام بعمل ما حيال هذا الوضع الذى لم يعد يحتمل، إنما مع تحديد أن ليس من شأن أى حادث أن يؤدى تلقائيا إلى الرد فى مثل تلك الأجواء كان رئيس الوزراء قد اقترح آنذاك شن غارات على أهداف الارهابيين العسكرية فى جنوب لبنان ومحيط بيروت، لا اجتياح لبنان. ففى تلك المرحلة كانت الحرب لاتزال تعتبر غير حتمية. لكن الحكومة عرفت ان تلك الهجومات الجوية كانت تترك القرار فى يد عرفات. فإذا امتنع عن الرد لن نعبر الحدود، أضف إلى ذلك أنه قد تدفع حالة الطوارىء بالأمريكيين إلى البحث عن حل. ولكن، فى حال أخذت منظمة التحرير الفلسطينية تقصف قرى الشمال سننفذ عملية « سلام الجليل» ردا عليها.

بالنظر إلى خبرتنا بمنظمة التحرير الفلسطينية، كان عدد الذين ساورتهم الشكوك فى خيار عرفات ضئيلا . وفى اجتماع مجلس الوزراء أعلن بيجين مايلى : « أيها السادة، فى مايتعلق بعمليتنا ، علينا

أن نكون على أتم استعداد بعد هذا الاعتداء». وظهر ذلك اليوم وافقت الحكومة بالإجماع على الهجوم الجوى. وبعد فترة وجيزة قصف هدفان عسكريان فى ضواحى بيروت وتسعة آخرون فى الجنوب. وقرابة الساعة الخامسة والنصف، بدأت المدافع وقاذفات الصواريخ بقصف مدن الجليل وقراه. هكذا ابلغنا الارهابيون بوضوح قرارهم. صبيحة اليوم التالى، كان تساقط القنابل والقذائف مستمرا بغزارة عندما هبطت طائرة البوينج ٧٠٧ بعد الظهر، فى بوخارست ، لتعيدنا إلى اسرائيل . وفوق البحر المتوسط تلقى الطيارون تعليمات بالابتعاد عن الشواطئ السورية تفاديا لملاقاة طائرات الميج. فانحرفنا غربا وحلقنا فوق جزيرة كريت، ثم عدنا شرقا فى اتجاه شواطئ اسرائيل. واستقبلنى فى مطار بن جوريون أحد موظفى وزارة الدفاع المكلف اطلاعى على الوضع، قبل صدور عرض معمق لهيئة الأركان فى تل أبيب . واتسع لى الوقت حتى التاسعة مساء لأصل إلى القدس واشارك فى اجتماع مجلس الوزراء الذى عقد فى مقر رئيس الوزراء.

افتتح بيجين الجلسة معلنا أنه عرض على الحكومة قرارا يتعلق بعملية سلام الجليل . ثم استدار نحوى قائلاً: « حضرة وزير الدفاع، تفضلوا واشرحوا الخطة، وكأن الحكومة تسمعها لأول مرة. لقد سبق لنا أن اطلعنا عليها، ولكن علينا معرفة كافة التفاصيل بما أنه يتعين علينا الفصل فيها».

عرضت اذاً الخطة - مكرراً فى الواقع ماسبق لى أن قلته لمجلس الوزراء فى ١٦ آيار (مايو): يتمثل هدف العملية بإقصاء الارهابيين عن مرمى مدافع الحدود الشمالية أى مسافة أربعين كيلو مترا. يتطلب هذا طرد الارهابيين المحتمين خلف الخطوط السورية فى البقاع. نحن لاننوى صراحة التعدى على السوريين. ولكن سنقوم بذلك فى حال هجومنا . وحتى نحمل القوات السورية على الانسحاب سيتقدم الجيش صوب البقاع الغربى، آملين من السوريين الانسحاب تفاديا لوقوع اشتباكات مع قواتنا.

عندما سألت نائب رئيس مجلس الوزراء، سيمحا أرليخ، عما إذا كانت العملية تشمل بيروت، أجبته: « بيروت ليست جزءا من المخطط.. فالعملية لاترمى إلى احتلال بيروت وإنما إلى اقصاء الارهابيين حتى مسافة أربعين كيلو متراً».

تدخل بيجين عند هذه النقطة ليوضح أن الحكومة ستلاحق الوضع فى استمرار. وفى حال فرض احتلال بيروت نفسه، سيكون القرار عندئذ عائدا لمجلس الوزراء . فنحن لن نترك العملية وشأنها، كما حصل أيام الحكومات السابقة. وتابع قائلا: مانقترح القيام به اليوم يتمثل بطرد هؤلاء الأوغاد إلى مابعد الأربعين كيلو مترا وتدمير أسلحتهم. ستسمح لنا هذه العملية بإحلال

الهدوء التام نهائيا فى الشمال. وفى هذا الإطار، سيبقى احتمال دخول بيروت مفتوحا.

عندما طلب بيجين لاحقا من الحكومة الموافقة على العملية كما عُرضت، التمس وزير الدولة اسحق موداعى الكلام. وبعد أن جال بطرفه على كافة الحضور، استهل كلمته بالتذكير بأنه سبق لأعضاء هذه الحكومة أن قرروا فى الواقع إطلاق هذه العملية قبل عشر سنوات، عندما وعدنا قرى الشمال وبلداته بأننا لن ندعها هدفا لمدافع منظمة التحرير الفلسطينية . وإذا ما أردنا حاليا الوفاء بوعدنا، لايمكننا إلا أن نطلق هذه العملية الواسعة النطاق وعندما أفضى موداعى بكلامه إلى نهايته اضاف وزير الطاقة اسحق برمن أنه خلال اجتماع البارحة أشار غير وزير إلى أن القرار المؤيد لتنفيذ عملية الاقتصاص يعنى فعليا أننا كنا متفقين على هذه العملية الواسعة النطاق. وأضاف برمن أن هذه النظرة إلى الأمور صحيحة وأن هذا الاقتراح لايحمل أى جديد، ونحن لم نعرضه على الحكومة فجأة. فكل من عارض هذه العملية حظى بمتسع من الوقت حتى يناقشها فى العمق. هذه العملية ليست وليدة اللحظة الأخيرة ولانعرضها على المجلس حتى يوافق عليها « بآمين». بل على العكس ، فكل من لم يلمس فى العملية أى منطق - وهو كان أحد هؤلاء - قال ماعنده حولها.

صوت المجلس فى نهاية الجلسة واعتمد القرار بأربعة عشر صوتا مؤيدا مقابل امتناعين عن التصويت . ولم يصوت أحد ضده. وإضافة إلى الخطة العسكرية التى اعتمدها مجلس الوزراء كما قدمت، قرر هذا المجلس « عدم الهجوم على الجيش السورى إلا إذا هجم على قواتنا». كما أشار إلى أن « اسرائيل تصبو إلى قيام معاهدة سلام توقعها مع لبنان فى المستقل ».

فى ختام اجتماع مجلس الوزراء الذى عقد فى ٨ حزيران (يونيو)، فوضت الحكومة بيجن نقل النقاط التالية إلى الرئيس الأسد عبر وساطة فيليب حبيب:

أ - لانريد الحرب مع سوريا،

ب - نرجو منكم اصدار أمر إلى جيشكم يقضى بعدم اطلاق النار على رجالنا. فجنودنا لن يهجموا على جنودكم إذا لم يلحق بهم أذى.

جـ - اطلبوا من جيشكم الانسحاب من الجنوب فى اتجاه الشمال حيث كان معسكرا قبل اطلاق حملتنا.

د - اطلبوا من الارهابيين التراجع مسافة خمسة وعشرين كيلو متراً فى تجاه الشمال (مما سيقصيهم عن الحدود مسافة اربعين كيلو مترا) . وفى حال نفذت هذه النقاط سنعتبر المرحلة العسكرية من العملية منتهية ، ويمكن البدء بالمرحلة السياسية.

عهد بهذه الرسالة إلى حبيب فى مستهل أمسية ٨ يونيو (حزيران) وتم تسليمها فورا إلى الرئيس الأسد عبر سفارة الولايات المتحدة فى دمشق ولكن لدى مناقشتنا مواصفات الرسالة المثلى الكفيلة باقناع السوريين بالعدول عن مواجهة عسكرية ، كانت دمشق تتحرك فى اتجاه معاكس. ففى اليوم ذاته ادخل السوريون الى البقاع ست منصات اطلاق صواريخ سام - ٦ لوضعها جنوب المنصات الموجودةمنذ فترة إضافة إلى ذلك، أقلعت ذلك اليوم المقاتلات السورية لأول مرة لشن هجوم على قواتنا المرابطة فى محيط صيدا. وافادتنا الاستخبارات أن الاحتياط الاستراتيجى السورى المتمثل بالفرقة المدرعة الثالثة البلغ عدد دباباتها مائتين وخمسين دبابة، هو على استعداد لعبور الحدود اللبنانية فورا.

وفى اجتماع الحكومة الذى عقد صباح ذلك اليوم اعلن بيجن ان وزير الشئون الخارجية ووزير الدفاع وهو شخصيا اتفقوا على ان تعلن الحكومة وقفا لاطلاق النار يسرى مفعوله ظهرا. واعطى رئيس هيئة الأركان موافقته على هذا القرار.

أضاف رئيس الوزراء أن اسرائيل لم نفاوض أحداً، لا الأمر يكين، ولا السوريين ولا هؤلاء الأوغاد الارهابيين . سوف يوقف جيش الدفاع الاسرائيلى ظهرا كل عمل، مع سريان مفعول وقف اطلاق النار من طرف واحد.

خلال الجلسة التى تلت درس مجلس الوزراء وقف اطلاق النار المقترح وعبر بوضوح عن مضمونه. وفى الختام، حدد بيجن وقف اطلاق النار بألفاظ صريحة: « اذا اطلق الارهابيون النار على الجيش الاسرائيلى ، فالجيش الاسرائيلى سوف يسحقهم. وإذا أطلق السوريون النار على الجنود الاسرائيليين، فسوف يلقون مصيرا مماثلاً. ونقل رئيس الوزراء إلى الحكومة انه اجتمع فى الساعات الأولى من الصباح مع فيليب حبيب ليعلمه بأننا على وشك إعلان وقف اطلاق النار. وسينقل حبيب فورا إلى الرئيس الأسد هذه الرسالة التى تحذره ايضاً من إدخال مزيد من الصواريخ أرض - جو وتنذره بأن جيشه سوف يتحمل كامل المسئولية إذا ما هاجمنا. وكان من المنتظر ان يصلنا رد الرئيس الاسد ظهرا.

اخراج المقاومة من بيروت :

تقدمت القوات الاسرائيلية لاحتلال بيروت من محاور متعددة، ولكن شارون كان يخشى ألا تستمر العمليات حتى نهايتها وهى طرد الفلسطينيين من لبنان. ويروى اتصال القوات الأسرائيلية بالقوات المسيحية فى بداية المذابح فيقول :

شهدت بعبدا أول اتصال بين وحداتنا والقوات المسيحية . تم ذلك من دون أن تضطرّ القوات الإسرائيلية (المتقدمة على طول الخط الضيق المتعرّج فى المنطقة الجبلية الواقعة تحت سيطرة السوريين فى

شرق بيروت) إلى القتال . وبفضل هذا الالتحام أصبحت بيروت مدينة مقطوعة من الآن فصاعدا . والقوات السورية الموجودة بها أضحت منفصلة عن سائر الوحدات التى كانت تسيطر على طريق بيروت – دمشق وشمال البقاع . إضافة إلى ذلك ، لم يعد فى استطاعة وحدات منظمة التحرير الفلسطينية المختبئة فى العاصمة اللبنانية أن تأمل القيام بتعزيزات أو الحصول على امدادات فالمدينة أصبحت حالياً محاصرة ، على الأقل نظرياً .

فى الواقع ، لا يتعدّى عرض الرواق الذى قطع طريق بيروت – دمشق وفتح المجال أمام ضمّ القوات الإسرائيلية إلى القوات المسيحيّة الخمسمئة متر ، فهو إذاً لا يوفّر سوى مركز ضعيف يتعذّر الدفاع عنه عمليا . وكانت سيطرتنا على هذه الطريق ضيقة النطاق حتى اننا أوقفنا ناقلة الجند فى بعبدا بالقرب من القصر الرئاسى ، مما أثار حفيظة الأميريكيين الذين اعتبروا هذا التصرّف علامة تعجرف . وراحت منظمة التحرير الفلسطينية ، بعد أن أدركت الخطر الذى يهددها ، تنّظم بزخم كبير ارسال الامدادات . وسرعان ما أمّ المواقعَ السوريةَ فى شرق الممرّ ، متطوّعون قدموا من سوريا وليبيا والعراق ، وحتى من إيران ، ولكنهم عازمون على الدخول إلى بيروت للانضمام إلى مواقع منظمة التحرير الفلسطينية فى الشطر الغربى من العاصمة اللبنانية .

لذا ، كان لا بدّ من توسيع موقعنا على الطريق وتعزيز الحاجز القائم بين هؤلاء المتطوّعين وقوات منظمة التحرير الفلسطينية فى المدينة . امّا ما أثار قلقا بالغا فكان وجود السوريين . فى البدء تملّك الوهن وحداتهم المرابطة من حولنا ، تماما كجيش مُنى بالهزيمة . غير أنهم كانوا متمسّكين بالأرض المطلّة على الجوار . فكانت استراحة قصيرة تكفى لتجعلهم ينتصبون مجدّدا . وشهدت تلك المرحلة عمليات تسلّل واعتداءات قام بها ارهابيّون من الجبال . فأيقنتُ آنذاك ان ادنى مبادرة سورية سوف تزيد من خطورة وضعنا .

وبرزت مشكلة سياسية خطيرة . فبعد وقف إطلاق النار بدأ فيليب حبيب بالضغط لفكّ اشتباك القوات . وفى ١٥ حزيران (يونيو) طرح المسألة خلال لقاء عقد فى مسكن الكولونيل جونى عبدو ، رئيس المخابرات فى الجيش اللبنانى . كانت اليرزة ، التى اتخذ منها العقيد عبدو مكاناً لإقامته ، حيًا من الفيلات الفخمة الواقعة فى شرق بعبدا ، تستطيع منه مشاهدة مقرّ وزارة الدفاع والقصر الرئاسى المنتصب على النهضة فى الأسفل مباشرةً . انقطع التيّار الكهربائى فى المنزل ، فأضأنا الشموع للاستنارة . وقامت بحراسة جوار المسكن وحدات من الجيش اللبنانى والميلشيات اللبنانية التى لازمت صمتا مطبقا . وأوضحوا لى ان مواقع السوريين تقع على بعد مئتين وخمسين مترا من المنزل . ولذلك قُطع التيار الكهربائى وخيّم سكوت تام على المكان .

ما ان وصل حبيب حتى بدأنا أوّل مناقشة جديّة حول التطوّرات العتيدة ، ومن بين المواضيع التى طرحها المبعوث الأميركى وردت مسألة فكّ اشتباك القوات . فهو مقتنع بضرورة تراجعها مسافة خمسة كيلو مترات لتنفصل عن السوريين وقوّات منظمة التحرير فلسطينية ، وهو يرى أن هذا التراجع من شأنه أن يزيد فرصة تثبيت وقف إطلاق النار. إضافة إلى ذلك ، سوف يحصل على ما يقدّمه إلى منظمة التحرير فلسطينية خلال المفاوضات الوشيكة الحصول . ولكنى عرفت خير معرفة معنى فك الاشتباك الحقيقى : «كان يهدف إلى اقصائنا عن طريق بيروت – دمشق ، وفى المقابل يسمح للسوريين ومنظمة التحرير الفلسطينية بتأمين قوّاتهما . وبتعبير آخر ، سيؤدى فك الاشتباك هذا ، إلى رفع الحصار الذى انجزناه بمهارة وإلى تبديد النجاح الذى كان فى متناول أيدينا ، ألا وهو رحيل القوّات السورية ومنظمة التحرير الفلسطينية عن لبنان ، يتبعه جلاء قوّاتنا .

وبالطبع ، لم اتلكأ فى إجابة حبيب اننا لا نستطيع قبول فك اشتباك القوات الموجودة غير أننى أدركت فى تلك الليلة أننا نواجه خطراً حقيقياً كنت أجهل إلى أى حدّ يمكن للطلب الأميركى أن يكون ملحًا ، لكننى كنت أرى مداه . فإذا لم نحكم قبضتنا على قسم من طريق بيروت – دمشق يفوق عرضه بضع مئات من الأمتار الواقعة حالياً تحت سيطرتنا ، قد نجد أنفسنا مجبرين على التراجع فيما

يروح السوريين والفلسطينيون يعززون مواقعهم فى بيروت التى تشهد دفقاً جديداً من القوات والامدادات للاستقرار فيها نهائيا .

لذا أصدرت أمرا إلى الجيش ليبذل ما فى وسعه لتحسين مواقعه على هذه الطريق ، وليعمل جاهداً حتى يتقدم شرقاً من دون التسبّب باشتباكات مسلّحة فحدّدت قائلاً : «علينا احترام وقف إطلاق النار والتقدّم فقط فى اتجاه الأماكن الحيوية التى يمكننا الاستيلاء عليها من دون خرق هذا الاتفاق» ، لكننى كنت أنوى تأمين أفضل موقع متيسّر فى إطار هذه التوجُّهات .

فى ١٨ حزيران (يونيو) اتضح لنا أن تكتيك الزحف التدريجى لم يعد كافيا . فوقف إطلاق النار لم يطبّق قطّ فى جنوب بيروت وشرقها ولا فى الهضاب ولا فى جوار بعبدا ، والسوريون يرسلون حاليا قوّات جديدة تستمر فى إطلاق النار على مواقعنا ، يؤازرها ارهابيون قدموا من كافة أنحاء العالم . وبسبب مرابطة القوات الاسرائيلية اعترانى تخوف من أن تصحو منظمة التحرير الفلسطينية من الصدمة التى أصابتها وأن تسرع فى تحصين نفسها استعداداً لمعركة طويلة . وفى حال استئناف المعارك سيكون السوريّون فى موقع يخوّلهم الهجوم على ممرّنا فى طريق بيروت - دمشق والسيطرة عليه . لذا أصدرت أمرا الى الجيش فى ١٨ حزيران (يونيو) بالاستعداد للهجوم شرقا ، على طول الطريق ، فى اتجاه عاليه . ومن الطبيعى أن يصادق مجلس

الوزراء على مثل هذه العملية قبل تنفيذها ، ولهذه الغاية كان لابدّ من انتظار عودة رئيس الوزراء من الولايات المتحدة فى ٢٤ حزيران (يونيو) .

وفى ٢٤ حزيران (يونيو) شرحت أمام مجلس الوزراء بالتفصيل موقعنا على طريق بيروت – دمشق ، وعرضت وجهات نظرى فى ما يتعلق بالضروريّات التكتيكية التى يمليها الوضع . بعد ذلك طلبت من المجلس الموافقة على شنّ هجوم يرسّخ وجودنا فى هذا المكان . وبعد مناقشة تناولت الوضع بأكمله ، قَبِل المجلس التحليل الذى قدّمته ووافق بالاجماع على العملية الموصى بها .

بدأ الهجوم فى اليوم نفسه . وعندما انتهت المعركة بعد مرور ما يقلّ عن اليوم سيطرت القوات الاسرائيلية على قرابة عشرين كيلو مترا من طريق بيروت – دمشق. فاستحالت الإيجابيّة السياسيّة المترتبّة على التحام قواتنا بالقوات المسيحيّة حقيقة على الأرض لا تقبل الردّ. وتمركزت القوات الاسرائيلية فى وسط البلاد الاستراتيجى ، فاصلة القوات السورية فى بيروت عن سائر نظيراتها المرابطة خارج العاصمة، ومحبطة كل أمل بوصول أى نجدة خارجية تحلم بها منظمة التحرير الفلسطينية . أمّا موقعنا الحالى فسيخوّلنا التمسّك بأهدافنا خلال المفاوضات القائمة منذ أسبوعين – مفاوضات كشفت عن تباين مثير للقلق بين وجهات نظر الأميركيّة والاسرائيلية .

سبق لهذه الخلافات أن ظهرت فى ١٥ حزيران (يونيو) عندما التقيت بحبيب فى مسكن الكولونيل جونى عبدو ، مع أنّ نقطة الانطلاق اتسّمت بوضوح كبير : لضمان أمننا الدائم على حدودنا الشمالية علينا أوّلا ترحيل كافة القوات الأجنبية كالمنظمات الارهابية والسوريين ، وبالطبع الاسرائيليين .

ولكن لدى التأكد على هذه النقطة قال حبيب : «لا يمكن لانسحاب القوات الأجنبيّة أن يكون متوازيا» فسألته : «ما معنى متوازيا ؟» أجابنى: – «للسوريين مصالح أمن فى لبنان» فأصررت قائلا : «عن أى مصالح أمن تتكلم ؟ هل سبق للبنانيين أن هاجموا سوريا ؟ هل سبق للبنان أن هدّد سوريا ؟ هل سبق لسوريا أن عانت أعمالا ارهابية كان مصدرها أرض لبنان ؟» كانت الإجابة على كافة هذه الأسئلة معروفة مسبقا . غير أن موقف الاميركيين كان على أى حال نذير شؤم: فالطريق التى سيسلكها الأميركّيون ، بصرف النظر عن ما هيّتها، لن تكون طريقنا .

أمّا نوايا حبيب فى ما يتعلّق بمنظمة التحرير الفلسطينية فما كانت لترضينى هى الأخرى . فقد اقترح نزع السلاح من رجالها وجعلها منظمة «سياسية» ، وذلك عوضا عن طردها . وبعد مضى أسبوع ، استأنفنا مناقشة هذه النقطة فى منزل الكولونيل جونى عبدو، على ضوء الشموع كالعادة . وهناك سألنى حبيب : «من يتعيّن عليه

الرحيل: أهُم العشرة آلاف (ارهابى) أم قادتهم فحسب ؟» أجبته : «على الارهابيين جميعا أن يرحلوا . فنحن يستحيل علينا قبول وجود ارهابى مسلّح» . وقال حبيب حول مسألة نزع السلاح ، التى يأمل ايجاد حل لها : «أشاطرك رأيك فى هذا الموضوع» . غير أنى لم أكن على استعداد للتنازل عن هذه النقطة . لأن المسألة لا تتعلّق بنزع السلاح وإنما برحيل منظمة التحرير الفلسطينية . فقلت : «عليهم أن يرحلوا والا سيصار الى تصفيتهم . فنحن لم يعد فى استطاعتنا تقبّل عدم رحيلهم . وفى وسعنا تصفيتهم من دون الدخول إلى بيروت» .

حبيب : «أنا اعرف الخريطة. كثير من الناس وكثير من الشيعة يعيشون (فى بيروت)» .

شارون : «أظن أنه من المستحيل الحصول على ما تطلبه »

وسرعان ما فهمت أن هذه الأقوال تخبّىء تصوّرا وافق عليه كل من حبيب وغيره من العاملين فى وزارة الشئون الخارجية كموريس درايبر ونيك فاليوتيز وسام لويس ، سفير الولايات المتحدة فى اسرائيل. يرتكز هذا التصوّر على استخدام لبنان كوسيلة لحل مشاكل الشرق الأوسط الاخرى - وشهدت تلك الفترة وضع مشروع ريغن (من دون أن يكون وصلنا علم بذلك) القاضى بتسوية شاملة لمشكلة «الضفّة الغربيّة» مع الاردنيين والفلسطينيين . وفى نهاية المطاف ، سوف

يستخدم لبنان لحمل الفلسطينيين إلى طاولة المفاوضات . إضافة إلى ذلك ، رأى ، حبيب ، بعد الهزيمة التى مُنى بها الجيش السورىّ ، أنه قد يستطيع أن يقّرب الرئيس الأسد من المعسكر الأميركى فى حال دافع عن موقف دمشق ، ووفّر وضع لبنان المتقلّب أمام حبيب ، الذى لعب دور الوسيط بين كافة الفرقاء الموجودين على الساحة ، فرصة تحقيق أهداف متنوعةٌ كان يتطلّع إليها .

مّرت الأسابيع والأميركيّون يواصلون مناوراتهم المعقدة التى لم تكن سوى مضيعة للوقت - لأن حكومة بيجن تمسّكت بنظرتها الخاصة إلى الموضوع . وفى كل لقاء عقدته مع الأميركيين كنت أتطرّق فى استمرار إلى المسألة عينها : نحن فى لبنان أمام دولة تمزّقها الحرب منذ سنين وأمام بلد يعانى مشاكل فى منتهى التعقيد بحيث إذا ما توصّلنا إلى حلّها نكون قد حققنا انتصاراً بارزاً . كنت أتحدّث خصوصا عن حل دائم لمشكلة الأمن على حدودنا الشمالية ، وعن إدخال لبنان فى مثلث اقليمى تكون اسرائيل ومصر ضلعيه - مثلث يدور فى فلك الولايات المتحدة السياسى وفى فلك العالم الحرّ عموما. فى تلك الفترة بدت هذه الامكانية متاحة فعليّا . كنت آنذاك مقتنعا تماما ، كما لا ازال حتى هذا اليوم ، بقابليّة تحقيقها ، فهى فى متناول اليد . غير أن فيليب حبيب وزملاءه كانوا قد اتخذوا اتجاها مغايرا كليّا .

ففى الوقت الذى بلغ فيه الصراع مع الأميركيين ذروته خاصم حزب العمل وسائر أحزاب اليسار حكومة بيجن خلال الأسبوع الأخير من حزيران (يونيو) . فالتلميحات التى ظهرت قبل اسبوعين منذرة بقيام معارضة سياسية فى وجه حرب لبنان عرفت ازدهار الآن فى ظلّ مسعى واسع النطاق وموحّد - لم يشهد له تاريخ اسرائيل أى نظير - يرمى إلى القضاء على الوحدة التقليدية القائمة حول مشاكل الأمن القومية ، وتحريف هذه المشاكل عبر صراعات سياسية. فهذا الوحش الذى رفع رأسه صبيحة تدمير المفاعل النووى العراقى ، انتصب حاليا على امتداد قامته .

اتهم حزب العمّال الحكومة بتجاوز التزامها القاضى باقصاء السوريين والارهابيين الى ما وراء خط الاربعين كيلو مترا من الحدود الاسرائيلية ، لا إلى مسافة أبعد . ويؤكد حزب العمل أن الحكومة بتصرّفها على هذا النحو قد نكثت بوعدها بلا خفر . فى ٢٧ حزيران (يونيو) ردّ بيجن على هذه الاتهامات ، خلال اجتماع الحكومة الذى دام ساعات طويلة ، وأعلن أنه لم يرجع فى كلامه. فهذا ما قاله تماما. لكن الخطأ يتمثّل فى اتهام المعارضة الذى زعم أن الحكومة ، وخصوصا عضوين من اعضائها ، يستغلان الشعب . ما من انسان يستغلّ الآخر ... الحكومة ولا بيجن ولا شارون . فى ما بعد قام بعرض موجز للأحداث الجارية مذكّرا أن جيش الدفاع الاسرائيلى قد توقف

عن اطلاق النار منذ نهار الجمعة ١١ حزيران (يونيو) . لكّن الحكومة قّررت الردّ على كلّ اعتداء . فلو توقف العدوّ آنذاك عن اطلاق النار لخيّم الهدوء الآن على كافة الجبهات ، ولتناولنا الصراع حاليا من جانبه السياسى ، ولما زحف الجيش الاسرائيلى على بيروت ، ما كان سيجنّبنا وقوع اشتباك مسلّح مع السوريين .

وتابع بيجن كلامه : فى هذا التطور من الأحداث كانت اسرائيل ستطالب باتفاق سياسى . لكّن العدوّ ، كما تعلمون ، استمر فى اطلاق النار ونحن فى الردّ عليه. فى ما بعد ، كان لابدّ من أن يتقدّم أحد الفريقين لإجبار الآخر على التراجع ، ولا يمكن إلا أن يهّنىء نفسه لتراجع المعسكر الآخر ، لا معسكره .

لهذا السبب كانت هذه الاتهامات الدنيئة باستغلال الشعب ، تفقده صوابه وكأنهم يأخذون علينا خداع الشعب بغية اراقة دم العدو ودم جنودنا ، ويعتبر بيجن أن لا داعى للإفصاح عن الشعور الذى انتابه عندما ورده نبأ سقوط جنودنا فى المعارك . لا ، لم تكن هذه الاتهامات شتيمة حقيرة فحسب ، وانّما مصدر عذاب تكابده كل حكومة شرعية وديمقراطية . ومع ذلك لوقف كافة المعارك والشروع فى المسيرة السياسيّة لإحلال الأمن والسلام فى الجليل ، لكّن الارهابيين جاهروا علنا بمواصلة القتال ، وهذا ما فعلوه أما ما حدث بعدئذ فكان مطابقا لمقرّرات الحكومة . فى حين لم ندع أى

خطوة رهن المصادفات ، على غرار ما حصل فى الحروب السابقة ، كما نعلم جميعا .

فى الجلسة عينها ناقش مجلس الوزراء مطوّلا الخطوة التى يجب اتخاذها لإخراج منظمة التحرير الفلسطينية من بيروت . فقلت آنذاك: تكمن مشكلتنا فى إيجاد سبيل كفيل بطرد الارهابيين من بيروت من دون إيقاع عدد كبير من الضحايا (بين صفوف القوّات الاسرائيلية) ، كما يجب ألاّ يغيب عن بالنا اننا نواجه مشكلة الرأى العام . وما دامت المفاوضات التى يديرها الأميريكون تراوح مكانها (منذ إعلان أول وقف لإطلاق النّار، قبل أسبوعين) ، لم يتبقَّ أمامنا سوى ثلاثة خيارات ملموسة :

أ - الدخول إلى بيروت وتصفية الارهابيين ،

ب - إخضاع الضاحية الجنوبية ، التى احتلتها منظمة التحرير الفلسطينية ورحل عنها عدد كبير من سكانها ، لقصف مكثّف وإجبار رجال السيد عرفات على قبول شروطنا .

جـ - سيطرة جيش الدفاع الاسرائيلى على الأراضى المكشوفة المحيطة بالضاحيتين اللتين تشكّلان خطرا جسيما وتقعان تحت احتلال الارهابيين ، وبهذا الشكل ، نظهر بوضوح أننّا لا نكتفى بالكلام فحسب بل نحن عازمون على التنفيذ . وقد لا يعطى قصف مواقع

منظمة التحرير الفلسطينيّة النتائج المرجوّة لكنه سيعمل سريعا على إفهام العدو أنه إذا ما استمرّ فى رفضه اخلاء الأماكن ، سوف يصار الى تصفيته .

فى معرض المناقشة المضنية التى تلت عرضى هذا ، شدّد بيجن على اهمية عامل الوقت – (ذلك الوقت الذى لم نعد نملك متسعاً منه ، على حدّ قوله.) فقد استخدمت الولايات المتحدة حق النقض فى وجه قرار الأمم المتحدة الدّاعى إلى رحيلنا من لبنان . غير أن هذا لا يعطينا سوى استراحة بضعة أيّام . فالوزراء الذين كانوا يعارضون احتلال ضواحى بيروت كانوا يخشون ، فى الواقع ، حرب الاستنزاف . وإذا لم نتحرك ، سوف تتحرّك منظمة التحرير الفلسطينيّة . وهذا ما لن يقوى الشعب على احتماله.

وتابع بيجن قوله : لا يزال فى بيروت سبع آلاف مجرم ، وطالما هم باقون فيها لن تجدى أعمالنا نفعا. علينا إرغام هولاء الأوغاد على الخروج من المدينة. فإذا سيطرنا على المطار وتقدّمنا مسافة كيلو متر ونصف كيلو متر سنتمكّن فعليّا من الضغط عليهم ، وفقا لتقديراتنا – وعلينا اليوم بالذّات حسم هذه النقطة .

اقترحت مع بيجن ووزير الشئون الخارجية اسحق شامير ورفول ايتان خطة تقضى بالدخول إلى المطار وباحتلال الأراضى المحيطة بالضواحى .

عـارض هذه الخطة بشـدّة كـثـيـر من الوزراء ، نذكـر منهم : موردخاى زيبورى واسحق برمان وزبولون هامر. كانوا يعلمون ان عاملى شاشات التلفزة فى العالم أجمع يبثون كل يوم صورا ملؤها المأساة تمثّل الجيش الاسرائيلى وقد حاصر المدينة . وكانوا يدركون ، على غرار سائر الوزراء ، ان تلك الافلام لن تُظهر أبدا الأسباب الفعلية الكامنة وراء اشتراكنا فى الحرب، ألا وهى السنوات الطويلة التى عانينا خلالها ارهابا كان مصدره لبنان ، ومساعى منظمة التحرير الفلسطينية الرامية الى تدمير شمال اسرائيل ، وقوّة مدفعيّتها وصواريخها المتعاظمة، والفشل المرير الذى منى به الوسطاء الأميركيون. من أجل هذا، قلق هؤلاء الوزراء على سمعة اسرائيل فى العالم وتخوّفوا من أن تسىء مبادرات جيشنا الجديدة الى هذه السمعة وأن تلحق مثل هذه العملية بجيش الدفاع الاسرائيلى خسائر جديدة . لهذه الأسباب عارض الوزراء هذه العملية وطلبوا من الحكومة الاعتماد كليا على العمل السياسى .

وبعد نقاش مطوّل وشاق تبنّت الحكومة فى نهاية المطاف قرارا يؤيّد العمل الدبلوماسى الذى لابدّ من انتظار نتائجه . وكان القرار يلزم اسرائيل باحترام وقف اطلاق النار . ويدعو الجيش اللبنانى إلى دخول بيروت الغربيّة كما يقضى بأن تسلّم المنظمّات الخمس عشرة الخاضعة لمنظمة التحرير الفلسطينيّة اسلحتها الى الجيش وأن يرحل عن بيروت كافّة أعضاء هذه المنظمات ، اضافة إلى القوات السورية

المقيمة فيها، على أن يتمّ ذلك تحت اشرافنا وبتعهّد منّا بعدم التعرّض لهم. وعندما تتوحّد بيروت سنباشر المفاوضات حالا لتحديد طريقة جلاء كافة الجيوش الغربية وضمان سلامة لبنان ووحدة أراضيه وسلامه. وورد فى ختام القرار تحذير مفاده الآتى : فى حال خُرق وقف اطلاق النار الحالى ستلتئم الحكومة الاسرائيليّة لتقدّر منهج العمل .

بعض مضى ثلاثة أيّام ، عرض فيليب حبيب فى ٣٠ حزيران (يونيو) اقتراحا امريكيا تضمّن تسع نقاط للتسوية شاملة، وقلّما اختلف هذا الاقتراح عن اقتراحاتنا المطروحة ، باستثناء جانب له مدلول كبير تمثّل بالسماح لـ «منظمة التحرير الفلسطينية السياسيّة» بالبقاء فى بيروت ! كنّا مستعدّين لقبول كافّة نقاط المبادرة الأمريكية ، ما عدا هذه النقطة التى رفضناها رفضا قاطعا. فى موازاة ذلك ، دعونا الامريكيين إلى انهاء المفاوضات فى أسرع وقت ممكن. فمنظمة التحرير الفلسطينيّة لا تفكّر حتّى فى احتمال الرحيل، كما نعلم جميعا.

فى الواقع، لهذه المنظمّة بواعث تدفعها إلى البقاء بدلا من الرحيل. كانت تعى تماما ، على غرارنا، ان حبيب لم يكن يبدى أى عجلة لحلّ النزع سريعا، لأسباب خاصّة به. وعزّز تصلّب هذه المنظمة

غياب أى ضغط فعلىّ. أضف إلى ذلك ، انّه كلّما طال حصار بيروت ثقلت فى اسرائيل وطأة الضغط الذى كان يتخذ مظاهرات فى الشوارع، واعتداءات على وسائل الاعلام والاعلان ، وانتقادات تلقى فى وجه الكنيست . وفى حال نجم هذا الضغط جزئيا عن مواطنين آمنوا بصدق، ولكن بسذاجة ، بأننا نستطيع وضع حدّ للمعارك من دون تسوية مشكلة وجود منظمة التحرير الفلسطينيّة فى بيروت، فإنّ حزب العمل هو الذى مارس خصوصاً هذا الضغط، يشاركه فى ذلك فريق شالوم أخشهاف أو («السلام الآن») . وراح حزب العمل يعمل بزخم بقدر ما كان يعتبر أن الموقف خطر عليه . فقد اعترف رئيس الحزب شخصيا بأنّه «خلافا لتخوّفاتنا السابقة، كانت هذه الحرب نصرا كبيرا. فهى كادت تبلغ معظم أهدافها الرئيسية ، وفى غضون أيام سيتمّ توقيع اتفاقية سلام بين اسرائيل ولبنان ، وهذه وقائع لا يمكن تجاهلها . فهذا سيمثل اتفاقية السلام الثانية التى ستعقد «بينهما» . وسينجحون فى ارسال السيد عرفات وارهابيّيه إلى جهنّم وشرذمة «منظمة التحرير الفلسطينية» (يعود الضمير الى الليكود ، وهذا ما اراد المؤلف التشديد عليه) . كان رئيس حزب العمل يشير الينا بالضمير الغائب ، وكأن هذه الحرب التى اضرمت للزود عن حدودنا وكمّ فم الارهاب مسألة تخص الليكود وحده لا اسرائيل، وكأنّ اتفاقية السلام مع لبنان هى من مصلحة الليكود الشخصيّة لا من مصلحة اسرائيل .

لم يكن عرفات واصدقاؤه فى حاجة الى من يفهمهم كم هى حيويّة تلك الخلافات السياسية الداخلية فى اسرائيل من أجل ديمومتهم. فالوثائق التى عثرت عليها قوّاتنا فى بيروت ، بعد اقصاء منظمة التحرير الفلسطينيّة ، تتقن التعبير عن هذا الموضوع. فقد صرّح رئيس منظمة التحرير الفلسطينيّة خلال اجتماع عثرنا على بروتوكول جلسته بالآتى : «المهم هو تغذية المظاهرات على امتداد اسرائيل. لهذه الغاية ، علينا تعبئة كافّة مواردنا. فمظاهرة تل أبيب ستكون من دون جدوى إذا لم تتكرّر. وتقول وثيقة اخرى من الوثائق: طلب حاييم برليف مقاضاة شارون. فهؤلاء يودّون الانسحاب ومحاكمة شارون. و«انشاء الله» ، تضغط هذه الأمور على الحكومة الاسرائيليّة». وتقول وثيقة ثالثة : «أملنا الوحيد معلّق على هذه المظاهرات فى تل - أبيب».

ووردت فى ملفات منظمة التحرير الفلسطينيّة التى تمّ العثور عليها فى بيروت محاضر عن المحادثات التى دارت بين أبا ايبان وشيمون بيريز والدبلوماسيين المصريين ، حيث هاجم قائد حزب العمل حكومة بيجن بعنف. وسمحت هذه التقارير لمنظمة التحرير الفلسطينيّة بأن تتبع الصراعات السياسيّة فى اسرائيل وتستمدّ الشجاعة من هذه الانشقاقات التى تمزّق الحكومة الاسرائيلية.

من خلال تتبّع عرفات لمنحنى الضغط الممارس على الحكومة الاسرائيلية من الداخل والخارج، توفرّت أمامه كافّة الأسباب التى تحمله على الاعتقاد بأنه، كلّما مرّ الوقت زادت فاعلية تأثيره. لكنّ لمنظمة التحرير الفلسطينية ايضاً أسبابها الشخصيّة الفضلى حتى تصمد أطول وقت ممكن. وكان عرفات يعرف ان لبنان هو أفضل ورقة رابحة وربمّا فرصته الأخيرة للبقاء كقوة عسكرية قادرة على مهاجمة اسرائيل. ويعتقد عرفات أنه فى خسارته لبنان ستنتهى منظمة التحرير الفلسطينيّة كحركة مستقلّة . وأدرك رؤساء هذه المنظمة ان اسرائيل لن تتمكّن من البقاء نهائيا فى لبنان وهى على كلّ لا تريد ذلك. وفى حال استطاعت هذه المنظمة أن تبقى فى لبنان ستصبح، مع الوقت، قادرة على اعادة بناء قوّتها السابقة.

ولم تكن منظمّة التحرير الفلسطينيّة فى لبنان «دولة داخل الدولة» فحسب فهمى شكلت دولة بكل معنى الكلمة، وأنشأت هيئات حكومية كثيرة: من محاكم وشرطة واصلاحيّات ونظام مالى ونظام المساعدة الاجتماعية والادارة والجيش وميليشيا الاحتياط، كل هذا فى غياب حكومة مركزية فعلية فى بيروت. وبفضل الفوضى التى سادت جنوب لبنان، سيطرت هذه المنظمة على هذه المنطقة وقامت بجباية الضرائب، وتولّت ادارة الاعمال وفرضت رسوم عبور على الطرقات واخضعت كافة ميادين العمل فى مناطق سيطرتها لمراقبتها، مستميلة

السكّان عبر العلاقات التجارية والتهويل والترهيب. فقد انشأت منظمة التحرير الفلسطينيّة فى لبنان مركزا عالمياً للارهاب كان يأوى ويعدّ ويدرّب ويحمى الحركات الارهابية التابعة لافريقيا واميركا الوسطى، من شبه الجزيرة الهندية حتى آسيا الصغرى، فضلاً عن زمرة بادر ماينهوف والألوية الحمر فى الجيش الايرلندى السرى والجيش الأحمر اليابانى.

عندما بدأت عملية سلام الجليل كانت دولة منظمة التحرير الفلسطينية تعمل لتحويل وحداتها الارهابيّة الى جيش نظامى، يتألف من دبابات ومدفعيّة وشبكات ارتباط. وبنَتْ تحت المنازل فى مدن اللاجئين ومخيماتهم ملاجىء واتفاقاً تربط بين مختلف القطاعات. وخلال سنوات الحرب شهدت هذه الشبكات تطوّرا ملحوظا، حتى كادت ان تؤلف تحت الأرض مدنا حقيقية. أمّا فى الشواطىء الصخرية وعلى قمم الجبال فقد حفرت منظمة التحرير الفلسطينية تحصينات واعدّت ترسانات اسلحة هائلة ومستودعات تجهيزات. ووفّرت جبال لبنان الصخرية التى تندر فيها الدروب، ومزروعات السهل الكثيفة، المركز الأمثل لقيام حرب دفاعية. ففى استطاعة جيش تمّ تدريبه على أكمل وجه أن يجعلنا ندفع غاليا أدنى محاولة اجتياح. وفى غضون ذلك، تستطيع الصواريخ والمدفعيّة البعيدة المدى شلّ دورة الحياة فى شمال اسرائيل. كانت منظمة التحرير الفلسطينيّة على قاب قوسين أو

أدنى من تحقيق أهدافها عندما غيّرت عمليّة سلام الجليل الوضع : أهداف ستتوارى من أمامها إذا ما أُجبرت على الخروج من لبنان. فراحت تنتظر متحليّة بالصبر، وقد أدركت أن الوقت يعمل لصالحها.

فى اسرائيل عرف الجميع أن الوقت حليف منظمة التحرير الفلسطينيّة. لكن ذلك لم يجعلنى اعتقد بضرورة دخول جيش الدفاع الاسرائيلى إلى بيروت الغربية بعد الأخذ فى عين الاعتبار كافة المشاكل والخسائر التى ستتكبدها من جراء هذه العملية. أصر خصوصا على شن هجومات جوية وقصف مراكز قيادة منظمة التحرير الفلسطينية ومواقعها فى ضواحى بيروت بالمدفعية الثقيلة . كنت أعلم أن رؤساء منظمة التحرير الفلسطينية لن يرحلوا طالما لم يقتنعوا بعد بخطر ابادتهم. لذا كان لابد من ممارسة ماتيسر من ضغوطات لإجبار قادة منظمة التحرير الفلسطينية على اتخاذ قرار. لكن الحكومة لم تقبل اقتراحى وآثرت فرض حصار، نقوم بتضييقه شيئاً فشيئاً، مقرنة التقدم العسكرى المدروس بقطع التيار الكهربائى والمياه وبسائر مظاهر الحرب النفسية كتوزيع المناشير واطلاق صفارات الانذار لإيهام الناس بوقوع غارات جوية .

فى منتصف تموز (يوليو) تفاقم خطر الضغط الداخلى والخارجى، فى حين كنا لانزال مرابطين قبالة بيروت. وعلى رغم

المناقشات لم تسفر مفاوضات حبيب، التى بدأت منذ أسابيع، عن نتائج. وأعلن بيجن فى جلسة مجلس الوزراء التى عقدت فى ١٨ تموز (يوليو) مايلى : « استنادا إلى المناقشات التى دارت مع صديقنا المدير العام لوزارة الشئون الخارجية ورئيس المخابرات فى الجيش وبعد الأخذ بعين الاعتبار محادثات الجنرال تامير (مستشار الأمن القومى)، التى قامت فى بيروت مع فيليب حبيب، استطيع القول لمجلس الوزراء (....) إن فيليب حبيب سيطرد الارهابيين تماما كما أقصى الصواريخ من البقاع، « بالفاعلية عينها والنتائج ذاتها». (فاوض حبيب طوال عشرة أشهر من دون أن يفلح فى زحزحة الصواريخ من مكانها). وتابع بيجن قائلا : « لذا ، علينا التفكير فى عملية عسكرية».

وعندما افضى بيجن بحديثه إلى نهايته أخذت أنا لأقول : « ليس عندى مايضاف إلى تقديرات رئيس مجلس الوزراء فى ما يتعلق بمفاوضات الأمريكيين التى اعتبرها، من جهتى ، مجرد مخرج فحسب. وكل من سينتظر احراز أى تقدم على هذه الجبهة سيذهب انتظاره أدراج الرياح. علينا أن نتحرك . لذا اقترح عملية تعزل أولاً أحياء الضاحية الواقعة تحت سيطرة منظمة التحرير الفلسطينية ، كصبرا وشاتيلا والفاكهانى، عن سائر المدينة. وعندما يتحقق هذا الفصل ستتمكن قواتنا من احتلال ميدان الخيل ومنطقة حرج بيروت، الواقعة شرق هذه المدينة ».

خلال النقاش الذى تلا رأى رئيس المخابرات العسكرية يهوشع ساغى أن قادة منظمة التحرير الفلسطينية لم يأخذوا بعد على محمل الجد الخطر العسكرى الذى يهدد المدينة ولا أبدوا نية فى ارخاء قبضتهم عن بيروت الغربية . فالتخلى عن بيروت الغربية يعنى، فى نظرهم، انهيار الثورة الفلسطينية التى كلفتهم ثمانى عشرة سنة من الجهود.

رفض كثير من الوزراء فكرة اقامة حرب شوارع فى بيروت، وذلك على رغم الضرورة الجلية والحيوية لإنهاء الوضع القائم. وصرح وزير الداخلية، الدكتور يوسف بورغ، قائلا : « أفضل الهجوم الجوى على تعريض حياة جنودنا لمخاطر السير على الأقدام.. لا أقبل الاقتراح المطروح.. أنا بعيد من المواقف اللا إنسانية، لكنى أفضل أن أقنعهم عبر اللجوء إلى قطع الماء والكهرباء والوقود بين الفينة والفينة بدلا من اضرام حرب شوارع». غير أن رئيس الوزراء عرض الوضع فى اطار أوضح وقال : « إيها السادة، ستحل بنا مصيبة إذا مابقينا على أبواب بيروت كما هى الحال الآن. (....) هل منا من يحقد على المدنيين؟ لكننى أسائل نفسى إلى أين سيقودنا التفكير القائم على مؤاثرة عدم التحرك بدلا من إسقاط عدد ضئيل من المدنيين. فإذا لم ندخل بيروت سيكون النصر من نصيب منظمة التحرير الفلسطينية. عندها سيتمكن عرفات من التأكيد أن منظمة التحرير الفلسطينية هى فى أحسن

أحوالها وتحتل مركزا جيدا ومسلحة خير تسليح . (....) أيها السادة، نحن على منعطف قد يؤول بنا إلى أزمة قومية. فالشعب لن يتحمل بعد تعبئة الجيش، أسابيع وشهوراً، من دون جدوى، ولا تحديد الخدمة العسكرية ولا رؤية شبابنا يسقطون ضحية قصف العدو. « لايحق لنا الانغماس في حرب سكونية، من دون أن نحرك ساكنا حتى تكون الغلبة لأسلحتنا».

اعربت عن موقفي الشخصي بإصرار كبير. فمن مصلحتنا القصوى أن نحول دون اعادة ارساء بنية تحتية تابعة لمنظمة التحرير الفلسطينية في لبنان تقوم بتهديد أمن اسرائيل. فالسؤال المطروح لمعرفة ما إذا كانت هذه البنية التحتية سيتم بناؤها من جديد أم لا لهو رهن المستجدات التي ستشهدها بيروت. ولذا علينا المضي قدما والقضاء عليها. وفي نهاية الجلسة، صوت المجتمعون وقررت الحكومة اعتماد الخطة المقترحة. وفي موازاة ذلك كُلفت لجنة وزارية بتحديد تاريخ تنفيذ الخطة. لكنَّ فريقا من ثمانية وزراء اقترح أن يعرض الجيش خلال الأربع والعشرين ساعة المقبلة اقتراحات بديلة.

في هذه الأيام الحاسمة كان من الواضح أن عددا من الوزراء واصلوا عملهم وسعوا جاهدين إلى ترك الأمور تسير على هواها. فالحكومة راضية الرضا كله مادامت الأحداث جارية بصورة طبيعية.

لكن هذه الحرب لم تلق ترحيبا شعبيا. فقد احتدت تهجمات وسائل الاعلام والاعلان، وتعالت أصوات المتظاهرين فى الشوارع. فى اختصار، واصبح الوضع يتعثر يوما بعد يوم. إلا أن النار لم تكن قد وجهت بعد إلى الحكومة فهى كانت تستهدف رجلين هما مناحم بيجن وأنا. ولكن بدلا من التكاتف لردع هذه الاتهامات. سعى بعض الوزراء إلى التملص بلباقة والتزام الحياد.

فى أواخر شهر تموز (يوليو) فهمت بوضوح أن الحكومة ستواجه صعوبات جمة لتحقيق المتوجب عليها. ففى الماضى شهدت غير مرة أوضاعاً مماثلة : حين ضغط الأمريكيون والروس علينا فى ١٩٥٦ ، حين برهنت الحكومة عن عجزها على التحرك ثم خلال فترة الترقب التى سبقت حرب الأيام الستة بعد هذه الحرب نفسها استطاع البعض أن يقول إن اسرائيل اظهرت تبصرا ثاقبا عندما هاجمت فى الوقت المناسب. لكن التبصر لم يكن له دخل فى تلك القصة. فالحكومة كانت آنذاك عاجزة عن التجلد بالعزم الكفيل بإنجاز مايفترض انجازه، وهى حقيقة ادركتها خير ادراك. وكنت قد لمست الفتور عينه خلال الأيام الأولى من حرب الغفران . واليوم ، فى لبنان، حين بلغت الحرب أصعب مراحلها، أصبحت هذه الحكومة مرتعا لظاهرة مماثلة : فأصابها الضعف وعانت فقدان الثقة والتصميم ؛ وهكذا بقينا، بيجن وأنا، نرزح وحدنا تحت وطأة العبء.

عندما كنت أفكر فى مايجرى داخل الحكومة ، غالبا ما كنت أفضى بمكنونات قلبى إلى مرافقى أوديد شامير، الذى سألته ذات مرة: « أيمكنك أن تتصور إلى ماسيؤول بنا الأمر فى حال هاجمنا العراقيون، مثلا، أو السوريون ، أو الأردنيون، أو تجرأ المصريون على ادخال قواتهم إلى سيناء؟ كيف ستتصرف حينئذ هذه الحكومة مادامت عاجزة عن مواجهة المشاكل الحالية التى ليست بالسهلة وإنما ليست بالمستعصية . ماذا سيفعلون آنذاك؟ وماذا سيحدث فى هذا البلد؟ »

كنت أفكر أيضاً فى الكسندر هيغ الذى قدم استقالته من منصب وزير الشئون الخارجية، منذ فترة وجيزة، لأنه لم يتمكن من تقبل السياسة التى انتهجتها حكومته لتحل الأزمة . **فهيغ أبدى رفضا قاطعا لعملية سلام الجليل . رفضا أعرب عنه مطولاً عندما اجتمعت به فى واشنطن**، فى آيار (مايو)، كما وجه إلى بيجن كتابا يتناول الموضوع عينه ولكن عندما بدأت الحرب فهم جيدا مداخلها ومخارجها، وربما أفضل من حكومتنا . فقد أسر هيغ إلى بيجن الذى زار العاصمة الأمريكية فى منتصف حزيران (يونيو) : عندما نطلق عملية ما علينا الانتهاء منها بأسرع مايمكن (حين سمع بيجن ماقاله هيغ وجه إلى رسالة من واشنطن وتعليمات تقضى بالاستعداد للدخول إلى بيروت، مع أن بيجن اعتقد مثلى بضرورة ترك الجزء الأكبر من عمليتنا فى العاصمة اللبنانية بين ايدى القوات اللبنانية، على أن يكتفى جيش

الدفاع الاسرائيلى بدور المؤازر فحسب . لدى استلامى هذه الرسالة، نقلتها إلى مجلس الوزراء فى ٢٠ حزيران (يونيو) . وكان هيغ قد أكد فى حضرة رئيسه أن وحدة الضغط الاسرائيلى كفيل بخلق وضع قادر على إنهاء المعارك .

أدرك هيغ طبيعة الجو السائد ولم يخنه حدسه حين قال بضرورة إنهاء الأزمة سريعا، عبر ممارسة ضغوطات محكمة ومتواصلة . فعندما وجه اللوم إلينا الأمريكيون ووسائل الاعلام والاعلان والمظاهرات التى نظمها حزب العمل، بلغت الحرب أقسى مراحلها وبرزت ضرورةإيجاد سبيل لطرد منظمة التحرير الفلسطينية فى بيروت، كما بدأ الاجتماع الذى كان يخيم فى الحكومة يتلاشى .

فى تلك اللحظة عينها بدأ الاتحاد الوطنى يتفكك، لحظة لم يعد من سبيل أمامنا إلا اتخاذ المهمة تماما . وقلت فى نفسى أن الأمر يذكرنى بمن وقع فريسة نار العدو وهو يقطع الأسلاك الشائكة وقد علق بين اسنانها الحادة. انها اللحظة التى تظهر فيها حقيقة كل قائد أو رئيس . والحكومات مدعوة إلى مواجهة اللحظات الحاسمة عينها، على صعيد مختلف، وفى ميدان عمل مغاير، لكن القرارات المتخذة هى من النوع ذاته. وفى اللحظة عينها- تلك اللحظة الحرجة - هى غريزتك التى تقول لك إما أن تلازم مكانك مسمراً أرضاً وإما أن

تتقهقر. ولكن يتوجب عليك ، فى الحقيقة، اتخاذ التدابير التى تخولك إنهاء الوضع سريعا. أما غالبية أعضاء هذه الحكومة فكانوا عاجزين عن اتخاذ القرار والنهوض بمثل هذه المسئولية .

كان مجلس الوزراء يتحرك على نحو متقطع، ويضيق الخناق حول عنق منظمة التحرير الفلسطينية ، فى بيروت الغربية ، ولكنه شهد صراعات داخلية نسفت الدعائم التى قامت عليها وحدة الحكومة. فى تلك الفترة راحت المساعى الدبلوماسية تماطل فى الحل من دون أن تؤدى إلى نتائج. فى حين أعلنت منظمة التحرير الفلسطينية نقاطها الاحدى عشرة التى طالبت بدخول قوة متعددة الجنسيات إلى بيروت لتفصل بين وحداتها والقوات الاسرائيلية ، وذلك قبل اخلاء الأماكن. ويقول الناطقون باسم منظمة التحرير الفلسطينية أنها سوف ترحل عن بيروت، شرط أن يتراجع الجيش الاسرائيلى مسافة بضعة كيلو مترات تشكل منطقة عازلة ترابط فيها تلك القوة المتعددة الجنسيات.

بدا هذا المشروع معقولا فى نظر الأمريكيين، ولكنى لم أر فيه سوى محاولة يائسة تقوم بها منظمة التحرير الفلسطينية حتى تتمسك بمواقعها فى العاصمة اللبنانية. فنحن نعلم أن قيادة هذه المنظمة لم تأخذ بعد قرارا بمغادرة بيروت ؛ أضف إلى ذلك أن قوات هذه المنظمة لم تكن تعلم إلى أين تذهب فى حال قرر السيد عرفات فى نهاية

المطاف الرحيل عن العاصمة اللبنانية . أما الأمريكيون فراحوا يعملون بكد ليقنعوا البلدان العربية بفتح أبوابها أمام رجال منظمة التحرير الفلسطينية . كان المعنى الذى انطوت عليه هذه المساعى فى منتهى الوضوح : اقتنع السيد عرفات وكل من شاكله انهم بفضل هذه القوة المتعددة الجنسيات سيجدون وسائل متعددة لملازمة مكانهم. وكانوا يعرفون أن اسرائيل لن تتمكن من الضغط عليهم، بفضل وجود الجنود الأمريكيين أو الفرنسيين أو الايطاليين الذين لن يستخدموا أبدا لاخراجهم من بيروت. وخلال الجلسة التى عقدتها الحكومة فى الأول من آب (أغسطس) ، أعلن بيجن أن الفلسطينيين لاينوون المغادرة. وفى حال تم ارسال قوة متعددة الجنسيات لتفصل بين قواتنا، « لن يرحل هؤلاء الأوغاد عن بيروت أبدا».

احتدمت جلسة الأول من آب (أغسطس)، كسائر النقاشات التى شهدتها الوزارة فى تلك الفترة. فكنا نناقش بحماسة درجة القوة المفترض استخدامها ونسائل أنفسنا : ترى أيتعين علينا التحلى بالصبر وانتظار حل دبلوماسى أم ممارسة ضغط حقيقى والاسراع لوضع منظمة التحرير الفلسطينية فى موضع حرج؟ شكل الخيار القائم على الهجوم الجوى مدار بحث مناقشاتنا ، فقد سبق لنا أن قصفنا مواقع منظمة التحرير الفلسطينية قصفا عنيفا ونعتقد، انا وبيجن وكثير غيرنا ، بضرورة المضى فى هذا الاتجاه لكن بعض الوزراء ابدوا

معارضة شديدة فى وجه استخدام الطيران، وراحت وطأة الضغط الذى مارسه الأمريكيون على هذا الموضوع تثقل أكثر فأكثر. فقد اعتمد حزب العمل قرارا يعارض القصف المجدد. أما بيجن الذى شاطرنى رأيى ، فأكد على ضرورة اللجوء إلى الطيران حتى نحول دون ادخال قواتنا إلى بيروت. ولكن، فى حال لم نجد سبيلا غير اقتحام بيروت، على جيش الدفاع الاسرائيلى أن يقوم بالمهمة . وقال بيجن أنه متى بلغنا هذه المرحلة سنتخذ قرارا فى هذا الاتجاه وأضاف : لايقولن أحد أننا لن ندخل بيروت. فمثل هذا التوكيد سيلحق بنا اضرارا جسيمة بقدر ماسيمعن فى إيهام منظمة التحرير الفلسطينية بأنه لايزال فى وسعها التمسك بمواقعها فى بيروت، أما الوقت بالنسبة الينا فهو ثمين جدا . فى الواقع، اعتقدت منظمة التحرير الفلسطينية أن جيشنا بدأ يتفكك. وعلم رؤساء هذه المنظمة بأن عميدا فى الجيش آثر تقديم استقالته على دخول بيروت الغربية. كما تناهت إلى مسامعهم تصاريخ المعارضة. فراح هذا كله يزيد من معنوياتهم.

حاليا، اقترح بيجن الكشف عن نوايانا أمام الفرقاء المعنيين، لاسيما الأمريكيين ، الذين رأوا فى وقف اطلاق النار مايسهل وساطة حبيب. واعلن رئيس الوزراء أنه علينا وقف اطلاق النار ولكن يجب أن يكون مطلقا ومتبادلا: « سنقول للأمريكيين أننا نقبل به شرط ألا يخرق مرة جديدة وإلا لن يصار إلى وقف جديد لاطلاق النار حتى

يرحل هؤلاء الأوغاد عن بيروت». وبتعبير آخر، سنتخذ كافة التدابير المتاحة أمامنا إذا أصاب جنودنا أى ضرر . وفى نهاية المطاف، اتفق مجلس الوزراء على الآتى : « فى حال خرق الارهابيون وقف اطلاق النار، سيرد جيش الدفاع الاسرائيلى براً وبحراً وجواً ».

لم يمضى زمن طويل على هذا التصريح حتى خرقت منظمة التحرير الفلسطينية وقف اطلاق النار . فجاء الرد الاسرائيلى قاسيا، وفقا لقرار مجلس الوزراء الاسرائيلى الصادر فى الأول من آب (أغسطس) وفى الأيام التى تلت، احتلت القوات الاسرائيلية المطار وتقدم شمالاً. وعندما لم تتخذ منظمة التحرير الفلسطينية قرارا بمغادرة الأماكن ، قرر الجيش الاسرائيلى شن هجوم واسع النطاق فى ٤ آب (أغسطس) ، نستخدم خلاله المدفعية والطيران لضرب الأحياء الواقعة تحت سيطرة منظمة التحرير الفلسطينية .

تركت هذه الهجومات أثرا بالغا فى نفوس الارهابيين . لكنها أثارت عاصفة داخل الحكومة وانتقادا قاسيا وجهه الرئيس ريجن فى رسالة إلى بيجن . أخذ رئيس البيت الأبيض على اسرائيل استخدام قصف جوى ومدفعى « غير متكافىء» والتسبب باسقاط الضحايا بين صفوف المدنيين ، والمجازفة بإخراج مفاوضات حبيب « عن خطها المستقيم ». وكتب الرئيس الأمريكى فى رسالته الآتى : « العلاقات القائمة بين بلدينا فى خطر ».

فى ليل ١٢ آب (أغسطس) قررت منظمة التحرير الفلسطينية الرحيل. فمنذ شهرين وشغل اسرائيل والعالم الشاغل تفاصيل هذه الحرب، والدمار، وسفك الدماء، والمآسى الحتمية. وعصفت باسرائيل عاصفة سياسية فريدة من نوعها تخطت طابعها العسكرى وواكبت الحرب فى لبنان، فأطلق حزب العمل حملة عنيفة استهدفت الحكومة، محركا نفوذه الاعلامى ، ومعبئا مواردة العالمية، وباذلا قصارى جهوده للاطاحة بالحكومة - قام بهذا فى الوقت الذى كانت فيه القوات الاسرائيلية فى ساحة المعركة. فكل من فهم سياسة اسرائيل التاريخية رأى أن الوضع السائد لانظير له ، وضع يصعب على أى امرىء تصديقه (حتى ان الجناح الأيسر من حزب العمل ، المابام ، وصل به الحد إلى توزيع مناشير على الجنود فى الجبهات تدين جهور الحرب). وساهمت المناقشات وما ترتب عليها من غضب وعداوة خلال الأشهر السابقة فى حجب النور عن الأهداف التى كنا نحارب من أجلها ولكن، بعد أن تم القضاء على مقاومة الاستاذ عرفات واصبحت المنظمات الارهابية على أهبة الرحيل، بات من الممكن وضع الحرب فى مفهومها.

كانت حرب لبنان دفاعية كسائر حروب اسرائيل . ولكنها اتخذت على غرار حملة سيناء فى ١٩٥٦ وحرب الأيام الستة فى ١٩٦٧، شكل

هجوم وقائى استهدف عدوا برهن علانية عن مقاصده عبر تصريحات دقيقة وعمليات دموية أضرمت هذه الحرب فى وجه ألد أعدائنا واقدمهم، ألا وهو الحركة الارهابية الفلسطينية التى طالما رفضت كياننا والتى تتمثل علة وجودها بدمارنا فمنذ إنشاء منظمة التحرير الفلسطينية، قتل هؤلاء الارهابيون فى اسرائيل وأوروبا بين عامى ١٩٦٥ و ١٩٨٢ ، ١٣٩٢ شخصا، كما تسببوا بجرح ٦٢٤٦ آخرين أو اعاقتهم.

خلال عملية سلام الجليل ، نجحنا فى اصابة العدو فى عقر داره. فدمرنا فى أثناء هذه الحرب بنيته التحتية ، أما الآن فنحن نعمل على اقصائه عن المنطقة .

فى الفترة عينها، أوجدنا فى لبنان إمكانية ان يعتلى سدة الحكم حكومة قادرة على تأمين الاستقرار والحؤول دون عودة منظمة التحرير الفلسطينية إلى لبنان، حكومة فى وسعها التعايش معنا فى أجواء يسود فيها السلام. ولم يكن هذا هو السبب الكامن وراء ذهابنا إلى الحرب، كما لم يكن نتيجة لها ذات عواقب طويلة المدى على مستقبل اسرائيل والشرق الأوسط . وإنما كانت الفرصة المتاحة لضم لبنان، إلى جانب اسرائيل ومصر، فى شراكة موالية للغرب. ويقدم هذا إلى عرب السامرة واليهودية وغزة ، الذين تحرروا من تأثير منظمة

التحرير الفلسطينية ومجرميها وتهديداتها ، فرصة للتقدم فى اتجاه حل تفاوضى معنا. كانت هذه نتائج حرب لبنان . أو لمزيد من التحديد، النتائة التى سمحت بها هذه الحرب. أما الآن، فالمشكلة تكمن فى قطف ثمارها.

تقوم مهمتنا الفورية على التأكد من رحيل منظمة التحرير الفلسطينية وفق التعهد الذى قامت به امام حبيب. وشكلت هذه المسألة مادة النقاش الحاد الذى دار بينى وبين بيجن وشامير وحبيب والسفير لويس فى ١٥ آب (أغسطس) . كنا نعلم جميعا أن ياسر عرفات يضع خططاً محددة تقوم على ترحيل جزء من قواته لانتهاك هذا الاتفاق. ووردتنا معلومات - من مصادر موثوق بها- ان الفين إلى الفين وخمسمائة عضو من منظمة التحرير الفلسطينية سوف يبقون فى بيروت الغربية تحت هويات مزورة، بعد أن تم تجهيز أوراق مزورة ودفع لهم رواتب عن الأشهر الستة المقبلة .

كانت منظمة التحرير الفلسطينية قد قررت ترحيل قرابة التسعة آلاف شخص . غير أن التسعة آلاف نجد ألفين أو الفين وخمسمائة شخص ليسوابالارهابيين الحقيقيين وإنما هم مدنيون أو رجال قد قدموا من ميليشيات أخرى، أى أنهم « ارهابيون اصطناعيون» على حد تسمية بيجن. ويتعين على الألفين والخمسمائة

ارهابى الباقين فى بيروت الحفاظ على شبكة سرية فى هذه المدينة لتعكير الأجواء السياسية وتمهيد الطريق أمام اعادة انتشار الوجود الارهابى على نطاق واسع.

توفرت سبل عدة لمعارضة خطة الاستاذ عرفات، ولكن لم تكن أى منها مرضية . فقد كان فى وسعنا أن نسأل الأمريكيين المطالبة بلائحة أسماء من منظمة التحرير الفلسطينية نقارنها بسجل عن منظمة التحرير الفلسطينية نستطيع الحصول عليه سراً. كما كنا نستطيع أن نسأل الأمريكيين التحقق من هوية الارهابيين عند رحيلهم استنادا إلى لائحتنا. وفى المقابل ، فى استطاعة جهاز الأمن الاسرائيلى بمساعدة زملائه الأمريكيين ، التحقق من هوية الذين ظلوا فى بيروت بعد عملية ترحيل الفلسطينيين.

إلا أن حبيب رفض على الأقل القيام بهذا العمل وقال: « سيتكفل الرئيس بشير بهذه المهمة فى مابعد» فأجبته : « قال لى الرئيس بشير ان عددهم يصل إلى حد يتعذر معه القيام بأى عمل». وقد بدا لنا جميعا انه يستحيل عمليا ضمان رحيل هؤلاء الناس . وقد أصاب السفير لويس حين قال بضرورة أخذ بصماتهم جميعا لأن اللوائح التى حصلنا عليها قد تكون مغشوشة حتى فى هذه الحالة . ونشأ التباين الوحيد فى وجهات النظر بيننا وبين الأمريكيين عن اصرارنا على بذل

جهد دؤوب فى سبيل معرفة هوية المغادرين ، فى حين فضل الأمريكيون ترك الحكومة اللبنانية تحل هذه المشكلة (كان من المتوقع أن تجرى انتخابات فى الأسبوع التالى) أما لويس وحبيب فلم يكونا راضيين كليا عن الوضع . وقال لنا حبيب أنه درس هذه المشكلة غير مرة وعبر عن استيائه لعجزه عن إيجاد حل فعال.

بعد مضى ستة أيام كانت المشكلة لاتزال من دون حل، فى حين بدأت عملية ترحيل أعضاء منظمة التحرير الفلسطينية على متن بواخر كانت متجهة إلى الدول العربية الثمانى التى وافقت أخيرا على استقبالهم . وفى نهاية العمليات ، تم إقصاء ٨٨٥٦ ارهابيا إضافة إلى ٦٠٦٢ سوريا ومعاونيهم الفلسطينيين . وتحملت كل من سوريا واليمن الجنوبية وتونس واليمن والجزائر والسودان والأردن والعراق عبء توزيع الفلسطينيين ، عبئاً قبلت به بنفور واضح وعلى مضض.

على رغم المشاكل الجسيمة التى طرحها وجود نواة تابعة لمنظمة التحرير الفلسطينية وسط الأنفاق ومستودعات الأسلحة فى بيروت الغربية، شكل هذا الرحيل المكثف ظاهرة يصعب المغالاة فى أهميتها خطوة أولى قمنا بها على الدرب التى ستقودنا الى عقد اتفاقية سلام مع الحكومة اللبنانية الجديدة ولاتقل هزيمة منظمة التحرير

الفلسطينية وتشتتها أهمية عما سبق ذكره . فهذا يعنى أن التطرف والعنف المتواصل اللذين دعت إليهما هذه المنظمة سوف يفقدان الكثير من اعتبارهما فنحن لم نشن هذه الحرب ضد الشعب الفلسطينى، وبعد سحق منظمة التحرير الفلسطينية ازدادت امكانية اقامة حوار عقلانى مع الفلسطينيين غير الراغبين فى إبادتنا .

مثلت هذه النقطة بالذات مادة الحديث الذى جرى فى السامرة بينى وبين قرابة الثلاثين من القادة الفلسطينيين حين كان الارهابيون يرحلون على متن بواخرهم الراسية فى مرفأ بيروت. وخلال اللقاء قلت لهم: اعتقد أننا نستطيع الآن البدء بمرحلة جديدة تسمح لنا بالتحاور والتوصل إلى نتائج من شأنها ارضاء الفريقين . واعربوا من جهتهم عن وجهات نظرهم بصراحة تامة. وبالطبع ، لم يرحبوا بالوجود الاسرائيلى فى السامرة واليهودية وغزة. ولكنهم أدركوا استحالة اقامة مفاوضات أو التوصل إلى حل سلمى مع الفلسطينيين أو مع الشعوب العربية الأخرى مادامت منظمة التحرير الفلسطينية قوية. كان هذا اللقاء مشجعا. وفى الأسبوع الأخير من آب (أغسطس) أصبح فى الإمكان تبين الخطوط العريضة لمجموعة علاقات جديدة بين اسرائيل وجيرانها.

تلك هى الخلاصة التى وصلنا اليها، أنا وزملائى ، بعد أن درسنا الوضع فى مساء ١٤ أيلول (سبتمبر) . فالعالم يمر بلحظات مصيرية تستوجب اتخاذ قرارات فورية، وكنت أدرك أن اللحظة التى نعيشها لهى مصيرية. فموت الرئيس بشير خلف وضعا خطراً. فلو غدت بيروت الغربية مدينة محرمة لواجهنا مستقبلا مختلفا واكثر سوادا مما توقعناه . لذا علينا مع وقوع هذا الاحتمال علينا منعه حالا وبعد أن اطلعنا على التقارير الواردة من بيروت زاد اقتناعى - واقتناع رفول ايتان ورئيس مجلس الوزراء - ان (ساعة الصفر قد حانت) واعتمدنا قرارا يقضى بأن تسيطر القوات الاسرائيلية على بيروت الغربية . اتخذنا هذا القرار بعد منتصف ليل الأربعاء فى ١٥ أيلول ، أى بعد مضى ثمانى ساعات على اغتيال الرئيس بشير . فقوات الدفاع الاسرائيلية ستدخل بيروت الغربية وترابط فى النقاط الرئيسية وفى الضواحى للحؤول دون اقامة أى نظام دفاع متماسك (لن تكون هذه المهمة بالسلهة . فالقوات الموجودة فى بيروت ضئيلة نسبيا، لذا لابد من تنظيم جسر جوى فى اتجاه مطار بيروت لنجمع فيه الوحدات الضرورية) لكن القوات الاسرائيلية لن تدخل الضواحى . وكنت منذ ١٥ حزيران (يونيو) طلبت من المسيحيين ان يلعبوا دورا رئيسيا فى حال اندلعت المعارك فى بيروت فنحن لانريد أن تتكبد قواتنا خسائر فى حرب الشوارع، أما البحث عن الارهابيين فسيكون اكثر فاعلية إذا قام به لبنانيون يتكلمون اللغة العربية ، ويعرفون مختلف اللهجات

المحلية ومنهج العمل الذى تتبعه منظمة التحرير الفلسطينية فى المدن. لذا ، كانت القوات اللبنانية مدعوة إلى دخول بيروت الغربية الى جانب جيش الدفاع الاسرائيلى . وستلقى على عاتقها مهمة الدخول إلى الضواحى وطرد الارهابيين .

فى ١٥ ايلول (سبتمبر) طرت إلى بيروت فى الصباح الباكر لأتحقق من تطبيق خطط هذه العملية ولأقدم احتراماتى الى الشيخ بيار الجميل، والد الرئيس بشير. عندما وصلت الى المطار فى الساعة الثامنة استقبلنى عقيد من أجهزة المخابرات كان سيقلنى (اضافة إلى رئيس أجهزة المخابرات ساغى ، ورئيس أجهزة الأمن ومساعد رئيس الموساد) الى مركز قيادتنا الأمامى الواقع فى شمال المطار، على مقربة من المدرج.

سرعان ما ادركت اننا نسير فى اتجاه مغاير . وعندما سألت العقيد عن وجهة سيرنا اجابنى : « ما من خطب . أنا أعرف طريقا مختصرة » . فأوصلتنا هذه الطريق المختصرة الى بيروت. ومن مركز المراقبة فى غاليرى سمعان، رأينا دخان المعارك يتصاعد فى بيروت الغربية، ثم واصلنا طريقنا. بعد مسافة مئتى متر أوقفنا حاجز تابع للبنانيين المسيحيين ، عقبه آخر تابع للجنود اللبنانيين. فى ما بعد وصلنا الى كورنيش المزرعة ، وهو جادة عريضة تفصل ضواحى الارهابيين جنوبا عن سائر بيروت الغربية . فسألت العقيد مجدداً: « أمتأكد من وجهة سيرك؟» فأجابنى : « أجل ، سنصل عما قليل ».

بعد مضى بضع دقائق ظهر شرطى لبنانى أمام السيارة وراح يلوح بيديه حتى نتوقف . فتوقفنا على جانب الطريق، وسمعناه يقول إننا إن تابعنا سيرنا مائتى متر إضافية نصبح فى قلب مراكز الارهابيين . وتساءل هل نحن اسرائيليون؟ لا، فما من اسرائيلى فى المكان .

لم أعرف هوية هذا الشرطى ولا ما إذا تبين من كان فى السيارة التى أوقفها ذلك اليوم. ولكننى متأكد أنه أنقذ حياتى وحياة كل من رافقنى من كبار العاملين فى أجهزة المخابرات والأمن، إلى العقيد الذى خطرت فى باله فكرة الطريق المختصرة.وفيما كنت لا أزال عاجزا عن تصديق ما حدث، عدنا أدراجنا وسلكنا الطريق المؤدية إلى المطار، ثم توجهنا شمالا حتى مركز القيادة الأمامى التابع لأموس يارون، القائم على سطح مبنى متضرر يقع فى جنوب - غرب مخيم شاتيلا.

هناك وجدت رفول إيتان الذى قال لى أنه تحدث صباحا مع قادة القوات اللبنانية ونسق معهم مشاركتهم فى الدخول إلى ضواحى صيدا وشاتيلا[1]. فقدتلقوا أمرا بإعداد تفاصيل عمليتهم مع الجنرال أمير دروري (قائد الجبهة الشمالية)، المسؤول عن القوات الإسرائيلية فى لبنان.

---

(١) تتألف القوات اللبنانية من ميليشيات مسيحية مختلفة أهمها ميليشيا الكاتب . وجرت محادثات مع الجيش اللبنانى الذي يتحدر جنوده من مختلف الطوائف ، بما فيها المسيحيةوالموضوع تحت إمرة الحكومة . وفى أجواء الصدمة والبلبلة التى أعقبت اغتيال الرئيس المنتخب بدت الحكومة وكأنها لم تعد ترغب فى أن تأمر قواتها بالتقدم . وبعد مضى بضع ساعات ، رفضت القيام بذلك رسميا .

وافقت على التدابير التى اتخذها رئيس الأركان، ثم اتصلت برئيس مجلس الوزراء بيغن لأقدم إليه تقريرا عن الوضع ونستعرض بعض الإحتمالات السياسية وبالأخص من نفضل من المرشحين لرئاسة الجمهورية. (كان بيغن يعلم اننى سألتقى بالشيخ بيار الجميل فى فترة لاحقة من اليوم) فى ما بعد، غادرت مركز القيادة لزيارة مقر الكتائب العام الواقع فى قسم من المرفأ يسمى الكرنتينا. على طريقنا، استرعى انتباهى أنتشار كثيف للقوات المسيحية فى الشوارع. فمن الواضح أن المسيحيين قد قاموا بتعبئة إحتياطهم الذى يستدعى عموما فى حالات الطوارىء. بدت الطرقات بالإجمال هادئة ومضبوطة فى حين علا القوات التى كانت تحرس الشوارع طابع شرس، لكنها لازمت الهدوء.

فى المقر العام فى الكرنتينا ساد جو مخنوق وثقيل. فمعظم الضباط الذين كانوا موجودين رافقوا الرئيس بشير سنين طويلة. وعاشوا معه أوقاتا صعبة مر بها المجتمع المسيحى وشهدوا فى ما بعد انتخابه رئيسا للجمهورية. فإذا به الآن قد مات، فى حين اعيد النظر فى الآمال التى جسدها. ناقشت بايجاز مع ضباط الكتائب الوضع السياسى القائم منذ فقدان الرئيس بشير، الذى كنا جميعا ننتظر منه الكثير. كما شرحت الى أىّ مدى يبدو الوضع التكتيكى حرجا فى نظرى فاقترح أحد قادة الكتائب أن نسيطر على بيروت كها . فقلت له: سوف نسيطر عليها، غير أننا فى حاجة إلى دعمكم. فجيش الدفاع الاسرائيلى سوف يرابط فى النقاط والضواحى الرئيسية. لكن دخول اللبنانيين إلى بيروت لهو حيوىّ أيضاً.

بعد أن درسنا الوضع فى وجه عام، توجّهت إلى بكفيّا لتعزية والد الرئيس بشير الشيخ بيار، وشقيقه الرئيس أمين الذى كنت ألقاه لأوّل مرّة. عندما توقفنا أمام منزل الشيخ بيار الجميل كان يحتشد آلاف الأشخاص الذين تلمس فيهم التوتّر والحزن. التقيت فى الداخل بأمين الذى قال لى إنه على علم بالحديث الذى دار بينى وبين الرئيس بشير فى ١٢ ايلول (سبتمبر). ثمّ دخل الشيخ بيار الجميّل وقد علاه الانفعال، ولكنّه ضبط أعصابه وتبيّن لى أنه أقوى ممّا بدا عليه حين التقيته لأوّل مرّة فى كانون الثانى الماضى (يناير) (أى عام ١٩٨١). فالعجوز قائد لا يزال يمسك بزمام السلطة على رغم المأساة.

قلت للشيخ بيار الجميل: باسم رئيس الوزراء وباسم حكومة اسرائيل جئتكم لأنقل إليكم حزننا العميق لما حدث. كما أكدّت له دعمنا الكلىّ لتحقيق أهدافنا المشتركة. فموت الرئيس بشير خسارة جسيمة، ولكن لابدّ من مواصلة العمل الذى باشرنا به، لا سيّما التحرّك فورا للحؤول دون قيام وقائع جديدة فى الأيّام الأخيرة المتبّقية للحكومة الحالية.

أجابنى الشيخ بيار الجميل بوقار وأسى وهو يعبر عن شكره الجزيل لكل ما فعلته اسرائيل فى سبيل مسيحيى لبنان الذين تخلّى عنهم سائر العالم. فقال : نحن نملك امكانيّة تغيير الأمور فى لبنان والشرق الأوسط. وكان الرئيس أمين والشيخ بيار على علم بالحديث

الأخير الذى دار بينى وبين الرئيس بشير يوم الأحد الفائت، فنقل لى موافقته على كل ما قيل.

دنت ساعة مراسم الدفن، فاستأذنت بعد أن نقلت إلى الشيخ بيار الجميل تعاطفنا وأعرب لى هو عن امتنانه، وعدت إلى المطار لأستقل الطائرة فى اتجاه اسرائيل.

صباح اليوم التالى، الواقع فيه ١٦ ايلول (سبتمبر)، دار حديث فى مكتبى مع رفّول إيتان الذى أطلعنى على التحركات فى بيروت الغربيّة فى غضون ذلك، كان الكتائبيون الذين سيدخلون صبرا وشاتيلا موجودين فى المقّر العام التابع لأمير دروزى لإيضاح التنسيق وانهاء الاستعدادات.

فتلقّوا الأوامر، ومنها أمر بالانتباه الشديد وهم يتحقّقون من هوية إرهابيى منظمة التحرير الفلسطينيّة. لأن مهمتهم تستهدف هؤلاء الارهابيين فحسب. كما يجب تفادى اتيان أى عمل من شأنه أن يضّر المدنيين فى هذه الضواحى.

فى ساعة متقدمة فى المساء دخل الكتائبيون إلى صبرا وشاتيلا، فى بيروت. وقرابة الساعة عينها، اجتمعت الحكومة فى القدس لتدرس الوضع القائم حاليا فى لبنان عقب اغتيال الرئيس بشير. شارك فى هذا الاجتماع عشرون شخصا، من بينهم اعضاء الحكومة

وكبار موظفى المخابرات وضباط أجهزتها والمستشار القانونى اسحق شامير. فشرحت لهم بدقة متناهية الأخطار الفورية المحدقة ببيروت الغربيّة وكيف ستسيطر قوّات الدفاع الاسرائيلية على النقاط الرئيسية. وفيما أنا أعرض الوقائع، وردتنا رسالة أفادت ان الكتائبيين بدأوا المعارك فى الضواحى. وعندما نقلت هذا التطوّر لم يُبد أى من الحضور ردة فعل سلبيّة.

اليوم التالى كان عشية رأس السنة العبرية، ذكرى وفاة غور. وكما جرت العادة فى هذا التاريخ، ذهبت مع ليلى وولدى ووالدتى الى المقبرة حيث انضممنا إلى فريق من الأصدقاء يجتمعون دائماً هنا. كان بعضهم رفيق غور فى طفولته ، أما اليوم فأصبحوا رجالا ونساء. فى مابعد ، تركت اسرتى وتوجهت إلى القدس لحضور اجتماع فى وزارة الشئون الخارجية، مع شامير وموريس درايير.

مضى شهر على ادعاء الأمريكيين أنه يتعين على الحكومة اللبنانية حل مشكلة وجود منظمة التحرير الفلسطينية فى بيروت الغربية ورحت أصر حاليا حتى يستخدم درايير نفوذه ليحمل الحكومة على اصدار أمر إلى الجيش يقضى بدخوله الضواحى الفلسطينية .

عندما عدت ليلا إلى مزرعتى تلقيت فى الساعة التاسعة اتصالا من رفول إيتان. فأبلغنى انه عاد توا من بيروت حيث وقعت مشاكل.

فخلال تنفيذ العمليات تسببت وحدات الكتائب بمقتل مدنيين. قال: «لقد ذهبوا بعيدا» وعلى ضوء ماحدث، طلب قائد الجبهة الشمالية أمير درورى إيقاف مشاركتهم فى العملية. وكان إيتان قد التقى بدرورى وغيره من الضباط، إضافة إلى الضباط اللبنانيين المسيحيين. فتم إيقاف العمليات ودخول قوات الكتائب الإضافية إلى الضواحى؛ أما القوات الموجودة فى الداخل فتلقت أمرا بالتجمع ومغادرة المنطقة. وهى تعمل الآن على استدعاء رجالها وفى الساعة الخامسة تكون قد خرجت.

رحت أفكر فى أمور عدة وأنا اصغى إلى إيتان. كنت ادرك، على غرار كل من خبر المعارك فى الشوارع ، ان لاسبيل الى الحؤول دون وقوع خسائر مدنية وإن اتخذنا كافة الاحتياطات . فنحن أنفسنا بذلنا قصارى جهدنا فى صيدا وصور وفى عدد من مخيمات اللاجئين فى الجنوب - إلى حد التسبب بخسائر أفدح بين صفوف مقاتلينا- ومع ذلك قتل مدنيون فى هذه الأماكن. وبما أننى أعلم كيف تحارب منظمة التحرير الفلسطينية : تحتمى وراء المدنيين وتختبىء فى المنازل وتنشىء مستودعات أسلحة فى المدارس والمستشفيات ، لم أفاجأ لدى سماعى خبر سقوط قتلى. لكن ايتان قال: « لقد ذهبوا بعيدا». حتى كاد ان يتخذ قرار بإيقاف العملية واصدار أمر للكتائبيين بالخروج.

بعد مضى ساعة تلقيت اتصالا آخر من ضابط فى وزارة الشئون الخارجية. قال لى : وردتنا معلومات مفادها أن جنودا من القوات المسيحية التابعة لسعد حداد، فى جنوب لبنان ، قد عثر عليهم فى بيروت الغربية، على مقربة من خط التماس بين شاتيلا وبرج البراجنة. وجرى تبادل بالنيران مما تسبب بمقتل جنديين اسرائيليين.

أكمل هذا التقرير ذاك الذى عرضه رفوف. فكان واضحا ان المنظمة شهدت اضطرابات مفاجئة. ترى ماذا كان يفعل رجال سعد حداد هناك؟ وإذا كانت القوات الاسرائيلية اطلقت النار عليهم، مع أننا نعمل معهم منذ سنين، كان من الجلى أن الجيش اتخذ تدابير صارمة لوضع حد لكل ما قد يحدث.

بينما كنت فى سريرى، فى الساعة الواحدة والنصف، تلقيت اتصالا ثالثا من صحافى فى التليفزيون الاسرائيلى يدعى رون بن يشاعى. نقل لى هذا الصحافى ماسمعه، ومفاده أن الكتائب يقتلون المدنيين فى شاتيلا؛ فقد تحدث إلى ضباط اسرائيليين سمعوا شهود عيان يخبرون جنودهم عن المجزرة التى شاهدوها. وعندما سألته عما إذا كان قد رأى ماحدث بأم العين أجابنى لا، ولكنى سمعت هذا مرتين، مرة قرابة الساعة الرابعة من بعد الظهر، ومرة ثانية فى وقت متأخر من الأمسية. أما الناس الذين نقلوا له ماحدث فلم يروا شيئاً شخصياً، بل سمعوا الخبر.

كان بن يشاعى شديد الانفعال، ولكن لم يكن فى ماقاله لى أى جديد. فالتقارير التى وردتنى من رئيس هيئة الأركان والوزارة نقلت إلى الخبر عينه. كنت أعرف أن قوات مسيحية تورطت فى المجزرة. وكنت أعرف ماجهله بن يشاعى، وهو أ ن رفول وأمير دروري قد قاما باللازم لإيقاف المجزرة.

فى اليوم التالى ، اتضح أن ماحدث فى صبرا وشاتيلا تجاوز المجزرة الطارئة. فبعد محادثاتى مع إيتان والمدير العام لوزارة الشئون الخارجية، الذى وردته معلومات من الأمريكيين ، فهمت ان هجوم الكتائبيين على مدنيين الضواحى تزامن مع هجومهم على الارهابيين. ولكن حتى بعد أن نشرت وسائل الاعلام الخبر، كان من المستحيل أن نعرف مدى ماحدث بالضبط، فى السادسة مساء، طلبت تقريراً مفصلا عن الكارثة التى اطلق عليها اسم « المجزرة».

استمرت وسائل الاعلام تتحدث عن مجازر صبرا وشاتيلا، من الليل حتى اليوم التالى. فبعد الكشف عن الوقائع تعالت صيحة احتجاج فى البلاد، لاسيما بعد المغالاة فى عدد القتلى والاعداء بأن جنودا اسرائيليين قد شاركوا فى المذبحة . كنا منغمسين فى بلبلة مريعة راحت فيها الأخبار الأكثر جنونا والشعور العميق بالإهانة المعنوية، واستغلال حزب العمل لهذه المجزرة استغلالا سياسيا بذيئاً، تتنافس على مركز الصدارة.

فى الوقت الذى انفجرت فيه ردة فعل الشعب راحت قصة علاقة قوات الدفاع الاسرائيية الحقيقية مع الأحداث ترشح من التحليل الذى قمنا به . أولاً : كان من الجلى أن ما من ضابط ولاجندى اسرائيلى قد تورط فى ماجرى . بل على العكس ، تلقت الوحدات الكتائبية التى دخلت إلى المخيمات تعليمات بالعمل الذى ستؤديه وبعدم التعرض للمدنيين. وفى الواقع، لم يتخوف أحد من أنها قد تسىء التصرف: ولا الضباط الاسرائيليون الذين تعاونوا مع الكتائب، ولا انا، ولابيجن أو رفول، ولا هؤ لاء الذين ملأوا قاعة اجتماع مجلس الوزراء حين سمعنا فى ليل ١٦ ان الكتائبيين قاتلت خلال الحرب تحت إدارة الاسرائيليين من دون أن يصدر عنها يوما تصرف سيىء. صحيح ان قائدهم الرئيس بشير قد قتل لكن الجانى لم يكن فلسطينيا، بل لبنانيا مسيحيا ألقى القبض عليه فورا وهو ينتمى الى الحزب القومى السورى الواقع تحت سيطرة دمشق. لذلك لم يتردد أحدنا عندما وردت فكرة ارسال الكتائبيين الى المخيمات؛ ومن الواضح ان الأحداث التى طرأت تلك الليلة لم يتوقعها أى إنسان.

ولكن إذا لم يتورّط أى عنصر من قوّات الدفاع الاسرائيلية فى هذه الأحداث ، لابدّ أن تكون التقارير الواردة من مركز القيادة الأمامى ناقصة. ففى ليل ١٦ ايلول (سبتمبر)، شعر الضباط الاسرائيليون فى هذا المركز كأن الأمور لا تسير على ما يرام ، يدفعهم إلى هذا

ملاحظات ضباط كتائبيين. فأرسل أحد الاسرائيليين برقيّة بما سمعه إلى جهاز المخابرات فى مركز قيادة الشمال ونقل هذا الجهاز المعلومات الى أجهزة المخابرات فى تل أبيب.

عندما وصل هذا التقرير إلى تل أبيب أرفق بملاحظة سرية تفيد أن الوثائق التى يتضمنّها هى فى منتهى الدقة ومن صلاحيات الهيئات العليا. فاتصل الضابط الحارس برئيسه حين لم يعرف ماذا يفعل بالتقرير ، وسأله ما إذا كان من داع ليتصل برئيس أجهزة المخابرات يهوشع ساغى فى منزله. ولمّا رأى الضابط أن الوقت متأخر ولا داعى لإزعاج ساغى، طلب من الحارس أن يحتفظ بالوثيقة حتى أوّل تقرير صباحى. لذا، لم يطّلع ساغى على الوثيقة إلا صبيحة ١٧ ايلول (سبتمبر) . ولم يبدُ التقرير فى نظر ساغى حافلا بالأحداث حتى يستوجب عملا خاصّا أو حتى يعلمنى به.

فى غضون ذلك، سرت شائعات فى مركز القيادة حول الأحداث التى شهدتها الضواحى. ولمّا ثارت حفيظة الضباط الاسرائيليين اتصل الجنرال أموس يارون بضابط الارتباط الكتائبى وطلب منه، بلهجة حاسمة، النّهى عن الأعمال الوحشية. فى اليوم التالى الواقع فيه ١٧ ايلول (سبتمبر)، لم تردنا معلومات دقيقة حول ما جرى فى صبرا وشاتيلا غير حرب الشوارع التى دارت ضدّ منظمة التحرير الفلسطينية، ولكن عندما التقى شارون وأمير دروري فى الساعة

الحادية عشرة، قرّرا الاتصال برفول ايتان وإخراج الكتائبيين من المخيّمات. بعد الظهر ذهب رفول إلى بيروت يرافقه ضباط اسرائيليون وكتائبيّون. نفى ضباط الكتائب بشدّة وقوع أعمال وحشية. وقالوا إنهم شنّوا معركة ضارية، فى حين واجهت قواتهم مقاومة شرسة وتكبّدت خسائر. وقد طلبوا عونا اضافيا وجرّافتين لهدّ بنايتين كانت منظمة التحرير الفلسطينيّة تستخدمهما. قبل إيتان اعطاءَهم جرّافتين وقرّر بعد هذه المحادثات إنهاء العملية فى تلك الليلة. وعندما عاد من لبنان فى ساعة متأخرة من الأمسية، اتصل بى هاتفيا فى المزرعة.

تصرّف الضباط الاسرائيليون بتيقظٍ حتى بعد أن أثارت أعمال الكتائبيين شكوكهم. ولكن، لم يتورّط أىٌّ منهم، وفقا لمعلوماتى وحكمتى، فى أى عمل استهدف المدنيين. وخطر فى بالى القيام بتحقيق عسكرى رسمى، فدرست هذه الإمكانيّة مع إيتان. فهذا من شأنه تبديد الضغوطات الممارسة على الحكومة. وراح صديقى أورى دان يصرّ حتى أعيّن لجنة تحقيق عليا. ولكنى رفضت، على رغم إلحاحه. فأنا لا أرغب فى القيام بأىّ عمل قد يعطى انطباعا بأننى أحاول الاختباء وراء الجيش. لكنَّ قرارى هذا كان خطأ فادحا، كما ستبين لى الأحداث ذلك. فعلى رغم خبرتى السياسية أسأت تقدير قدرة استخدام هذه المأساة «كسبب شهير» سياسى فى وجه الحكومة. كما لم أتوقّع ردّة فعل الحكومة حيال الأزمة وهو خطأ ارتكبته بعد أن

رأيت الحكومة مستعدة لنفى مسئوليتها فى بناء المستعمرات (سنة ١٩٧٨) .

فى غضون ذلك ، تفاقم سخط الشعب بعد أحداث صبرا وشاتيلا. وكأنّ الغضب الكبت اللذين تراكما خلال هذه الحرب الطويلة - وكانا سيتبدّدان مع كل تقدّم سيحرز فى اتجاه السلام - راحا ينفجران. فإذا بك تجدنى وتجد رئيس الوزراء بيغن وسط هذا الانفجار. وأمّت البلاد باصابات قدمت من الكيبوتزيم لتعزيز المظاهرات والمواكب، فى حين راح حزب العمل يلعب دور الموجّه فى كل هذا. وسرعان ما انصبّت الضغوطات على تعيين لجنة تحقيق خاصّة تكون مهمتها تحديد المسئوليات فى ما جرى.

لم أكن خائفا من تعيين لجنة تحقيق. هذا ما قلته لبيغن حيث أثار أمامى هذا الموضوع. فأنا لا أملك ما أخفيه. وإذا كانت فكرة إنشاء لجنة لم تقلقنى شخصيا، إلا أننى كنت أدرك تماماً الخطر الجسيم المترتب على مثل هذا التطوّر على الصعيد القومى. وفى ٢٨ أيلول (سبتمبر) خضع بيغن أخيرا، بصرف النظر عن مشاعره حيال هذا الموضوع، للضغط السياسى وإصرار الرأى العام ووسائل الإعلام، وعمل فى داخل الحكومة على انشاء لجنة. فتّم تعيين رئيس المحكمة العليا، القاضى فى المحكمة العليا، هارون باراك، والقائد المتقاعد يوناح إفرات.

ما إن تمّ إنشاء اللجنة حتى طلبت من وزارة الدفاع تحضير كافّة الوثائق والأوراق والتقارير اللازمة. وقلت لرئيس هيئة الأركان رفول ايتان انني اعتقد بضرورة قول الحقيقة بكاملها والتعاون كليًا مع اللجنة. وشرحت له أن ليس ما نخفيه على اللجنة، تماما كما سبق لى أن أبلغت بيفن. فما من مذنب بيننا.

مع ذلك، عندما بدأت اللجنة تمارس عملها، وقعتُ فريسة هواجس أنذرتنى بوقوع الشر، فالجوّ العام كان ساخنا، ويستحيل علينا تجاهل النداء المتعطّش للدماء الذى تردّد فى الأثير. فقد رأى كثير من الناس فى هذه المذبحة صدمة معنويّة حقيقية - مع أن الجميع علم بالمجازر المريعة التى قام بها فلسطينيّون ومسيحيّون عرب خلال السنوات الأخيرة. فى حين لمس البعض الآخر الامكانيّات السياسيّة لهذه المسألة وعزموا على التمسّك بها. وقد حجبت هذه المأساة عددا من نتائج الإيجابية فى حين أصبحت نتائج أخرى أبعد ادراكا ممّا كانت عليه فى ١٢ أيلول (سبتمبر)، أما الناس فراحوا يفكّرون فى الثمن الذى دفعوه فى هذه المعركة. فكان لابدّ من كبش محرقة على الصعيد السياسى : لابدّ من إنسان يلقون عليه اللّوم.

لو أجرينا حينها استفتاء للرأى العام، لرأينا الكثيرين - لا بل الغالبية العظمى - يرفضون هذه اللجنة التى لمسوا فيها خطرا يهدّد الشعب اليهودى لا اسرائيل فحسب. غير أن جبهة حزب العمل ووسائل

الإعلام وما نظّم من مظاهرات، بشعاراتها المنادية «شارون سفّاح» و«بيغن سفّاح»، أوجدت قوة لا يستهان بها راحت تدعو إلى رفع شكوى لا إلى إنشاء لجنة فحسب.

أدركت خير ادراك معنى هذا ، فأنا قلت منذ البداية لأصدقائى وزملائى المقربين أن هذا العمل نهايته وخيمة. فالحاجة إلى إيجاد مسئول أو أكثر والقضاء عليهم، على رغم عدم ارتباط ذلك بالأحداث نفسها، غدت امرا لايقاوم.

يستحيل على المرء تجاهل الجو السائد؛ وأولى المؤشرات التى تبدت لى بعد أن بدأت اللجنة أعمالها . فقد توفيت أليزا بيجن، زوجة بيجن منذ خمسة وأربعين عاما. وجرت مراسم الدفن فى مقبرة جبل الزيتون القديمة، فى يوم من أيام الشتاء الباردة (كنت أعرف جيدا هذا المكان لأنه احتضن رفات أحد اجدادى الذى عاد فى شيخوخته إلى القدس ليموت ويدفن فيها). اختار بيجن موقع ضريح زوجته إلى جانب ضريح مائير فينشتاين، من الإيرغون وموشى برازانى، من فريق شترن، وهما بطلان شابان فضلا الموت بقنبلة فى سجن القدس على أن يشنقهما الانجليز سنة ١٩٤٧. وفيما كان الموكب يتقدم نحو الضريح المفتوح، أدرت رأسى ورأيت خلفى رجلين يعتمر كل منهما قبعة سوداء ويضع ربطة عنق سوداء ومعطفا أسود، كانا يسيران معا ويرمقاننى بأسوأ النظرات. انهما القاضى كاهان والقاضى باراك.

ذلك اليوم توجهت من المقبرة مباشرة إلى الكنيست حيث من المتوجب أن اقدم تقريرى. وفيما أنا أمام المنبر أقرأ نصى، رفعت عينى ونظرت فى اتجاه رواق الزوار، فرأيت قبالتى مرة جديدة القاضى كاهان والقاضى باراك اللذين راحا يحدجاننى بتلك النظرة الحادة والعدوانية وكأنهما غرابان أسودان . فى تلك الليلة ، ذكرت هذه المصادفات فى محادثاتى التى أجريتها مع عدد من المحامين والمستشارين العاملين معى. فقلت لهم : كانت نظرتاهما إشارة اتقنت التعبير عما سيحدث - وليس عما قد يحدث وإنما عما سيحدث.

على الصعيد الشخصى، هدأ من روعى ذلك الشعور بأن«ماحدث مقدر» ولايسعنى حياله القيام بأى عمل. فعدت أزاول عملى كما فى الماضى، ولكنى شعرت بطمأنينة وتركيز لم أعهدهما من قبل وكأننى فى منطقة عين الاعصار الهادئة. فنجم عن هذا تسريع وتيرة العمل لأننى أدركت منذ تعيين اللجنة أن الوقت يمضى وأن على أن انهى مابين يدى.

خلال لقائى الأخير مع الرئيس بشير، اتخذنا التدابير لزيارة لبنان، بصحبة وزير الشئون الخارجية اسحق شامير، لإطلاق مسيرة مفاوضات السلام. ولكن الرئيس بشير توفى وأعقبت موته أحداث صبرا وشاتيلا. فى ما بعد، انتخب البرلمان اللبنانى رئيسا جديدا هو أمين الجميل، شقيق الرئيس بشير، الذى لم يكن يتمتع بمواصات

القائد التى ميزت أخاه ولابنظرته الواضحة التى كانت تتخير مايجدر القيام به لتخليص لبنان من النزاع الذى دمر حياته الوطنية منذ وصول منظمة التحرير الفلسطينية . وعلى رغم كل شىء، بقيت ثقتى راسخة فى امكانيات عقد اتفاقية سلام بين لبنان واسرائيل اذا ما اقتنعت الولايات المتحدة بمنحها دعمها. وبعد أن أخذت فى عين الاعتبار الموقف الذى اعتمدته الولايات المتحدة حتى الآن، أدركت أن اقناعها ليس بالسهل. فموقف حلفائنا ارتكز دائما إلى ضرورة تفادى عقد اتفاقية سلام سابقة لأوانها مع اسرائيل ، فهذا من شأنه أن يعرض موقع لبنان فى العالم العربى للخطر.

تمثلت الخطوة الأولى التى يتعين علينا القيام بها بلقاء الرئيس أمين الجميل ، فقمت أنا ووزير الشئون الخارجية شامير بزيارته فى آخر أسبوع من أيلول (سبتمبر) وفى الطائرة المروحية التى أقلتنا إلى بيروت بدا وزير الشئون الخارجية شامير فى منتهى الهدوء على رغم العاصفة التى تجتاح لبنان والخفايا التى تنطوى عليها العاصفة. فأمضى معظم الوقت نائما حسب ما أذكر. وعندما حطت الطائرة استقبلنا عناصر من أجهزة الأمن التابعة للقوات اللبنانية - أ ى جماعة الرئيس بشير - وأقلونا إلى مركز قيادة الرئيس أمين الجميل، فى بيت المستقبل. وقلما كان رجال الرئيس بشير يحبون رجال الرئيس أمين. تقدمت جماعة من حرسه الخاص ، فتصاعدت حدة التوتر بين

الفريقين اللذين راحا يتبادلان النظرات وقد صوب كل سلاحه إلى وجه الآخر .

فوجدتنى مع وزير الشئون الخارجية شامير وسط هذه المواجهة. وفيما كنت ألفت هذا النوع من ا لتصرفات بعد زياراتى المتكررة لبيروت، كان وزير الشئون الخارجية شامير لايزال غريبا عنها. فنظرت إلى وزير الشئون الخارجية شامير، يدفعنى الى ذلك اهتمامى البالغ بردات فعل الناس لدى مواجهتهم ضغطا، فلم ألمس فى وجهه أمارات الانفعال أو الخوف.

استمر التوتر بضع دقائق إلى أن وصلت سكرتيرة حسناء قالت للحرس الخاص أن الرئيس امين ينتظرنا وفى امكاننا الدخول (ولكن من دون رجال الرئيس بشير) خلال لقائنا مع الرئيس أمين درسنا تطور الوضع وإمكانيات مواصلة المفاوضات التى بدأناها. لم ألمس عند الرئيس أمين حماسة كبرى، ولكن من الصعب التكهن. ومع انه لم يمض وقت طويل على موت الرئيس بشير، كان الرئيس أمين يرتدى بدلة جميلة بيضاء، متقنة الصنع. وكانت تزين أصابع يديه خواتم من ذهب وينتعل حذاء أسود ملمعا مصنوعا من جلد الأفعى. فأدركت فى قرارة نفسى وأنا أنظر إليه ، أن أياما عصيبة تنتظرنا . وعندما أثرت موضوع صبرا وشاتيلا ، نظر الرئيس أمين ورجاله فى أعيننا ونفوا أى علاقة لهم بالمسألة من دون أن يرف لهم جفن. لم يعترف أحد منهم

بأى شىء لاحينذاك ولا فى ما بعد ولكن، فيما نحن نناقش الموضوع، انحنى أحدهم من خلفى وهمس فى اذنى : « أنتم اليهود مجانين. أنتم شعب مجنون».

على رغم الشكوك التى ساورتنى فى مايتعلق بالرئيس أمين تابعت فى أواخر ايلول (سبتمبر) ومطلع تشرين الأول (أكتوبر) دراسة مشاكل الأمن دراسة دقيقة ووضع برنامج انسحاب القوات الاسرائيلية التدريجى من لبنان فى إطار اتفاق اسرائيلى - لبنانى يتناول الأمن وتطبيع العلاقات السياسية . ينص هذا الاتفاق عموما على بقاء القوات الاسرائيلية المنتشرة فى قلب البلاد حتى يصار الى ترحيل رجال منظمة التحرير الفلسطينية (لايزال قرابة الثمانية آلاف ارهابى فى شمال البلاد، وهى منطبقة واقعة تحت سيطرة السوريين ولم تطلها الحرب)، وينسحب السوريون من منطقة جبل لبنان، ونسترجع اسرى الحرب الاسرائيليين وجثث جنودنا، ويصار الى وضع جدول بالمفقودين. واما أن تستوفى هذه الشروط حتى تنسحب القوات الاسرائيلية مسافة تبعد عن الحدود خمسة واربعين إلى خمسين كيلو مترا . فى غضون ذلك، تتواصل المفاوضات فى سبيل مغادرة كافة القوات الغربية عن لبنان وتوقيع اتفاقية ثنائية بين اسرائيل ولبنان، ترتكز على شروط احلال أمن دائم وتطبيع العلاقات . اعتمدت الحكومة هذه ا لمبادىء فى ١٢ تشرين الأول (اكتوبر) ثم عرشتها على

الرئيس أمين الجميل ووزير الشئون الخارجية جورج شولتز فى واشنطن.

من جهتى ، لم يساورنى أدنى شك فى أن نجاح هذه المفاوضات هو رهن الاتجاه الذى سيختاره الأمريكيون. لقد توفرت أمامنا من خلال المفاوضات فرصة الوصول إلى اتفاقات أمنية وتمهيد الطريق أمام السلام بين لبنان واسرائيل. ولكن، لابد من تحريك الحكومة لتحقيق هذه الغاية. لم يكن الرئيس أمين الجميل الرجل الذى كانه شقيقه. ولم يكون أى فكرة مترابطة تخوله إخراج لبنان من حالة التفتت التى يتخبط فيها، فراح يخضع لضغوطات أتت من كل حدب وصوب، وأصبح مستعدا للتفوه بأى كلام أمام أى كان . فى الواقع، يتمتع الرئيس أمين بخصال ذلك الذهن وذلك الطبع، اللذين من شأنهما إعادة لبنان إلى جهنم التى كان يعيش فيها منذ سنين. وكما سبق لى أن قلت لفيليب حبيب خلال أحد لقاءاتنا فى الخريف ! سوف يؤدى موقف الرئيس أمين إلى قيام إحدى الامكانيتين؛ إما أن ينتهى به المطاف لا كرئيس للجمهورية أو حتى رئيس لبيروت أو بعيدا، بل كرئيس على ا لقصر الجمهورى فحسب، على غرار سلفه. (فى الواقع، كان الرئيس أمين حتى نهاية ولايته، رئيسا على قصر بعبدا). وإما أن يصبح رئيسا لبلد موحد ينعم بالسلام. لكن هذا رهن بالموقف الأمريكى والتعليمات التى ستمليها الولايات المتحدة على الرئيس أمين.

من جهتى ، كان الخيار الأمريكى واضحا. ففى وسعنا تلبية حاجات لبنان الفورية بمساعدة الأمريكيين: كإحلال الأمن فى الداخل، وانسحاب القوات السورية (إضافة إلى انسحابنا) وقيام سلام مع اسرائيل. ولكن فى حال اصروا على حل شامل وربط تحسن الوضع فى لبنان بسائر مصالحهم فى المنطقة، الا وهى التقرب من السوريين وحل المشكلة الفلسطينية ، سينساب كل شىء من بين أصابعهم. على لبنان أن ندفع به قدما ولابد من دفعه سريعا وبقوة. هذا هو السبيل العملى، السبيل الواقعى الوحيد الذى علينا سلوكه فى الوقت الحاضر.

أشرت فى حضرة حبيب وسائر الشخصيات الأمريكية الى **مساهمة اسرائيل الهائلة فى الموقع الاستراتيجى الأمريكى وفى موقع العالم الحر. وقلت لهم : لولا اسرائيل لما غادر السوفيت مصر. فمن دوننا ومن دون عملنا خلال حرب الاستنزاف - على مدى ألف يوم جاءت حصيلتها مئات الجرحى - لبقى السوفيت حتى الآن على ضفاف قناة السويس.**(*) ولم تشكل مرابطة القوات الأمريكية فى سيناء والوجود الأمريكى فى ا لنقاط الحساسة، شروط السلام مع مصر إلا تلبية لمطلب اسرائيل (والحاح بيجن)- لا استجابة لمنظمة الأمم المتحدة فحسب. فقد مثل هذا فى نظرنا ضرورة قصوى لاتقبل

(*) الرئيس السادات هو الذى أخرج السوفييت ، ويحاول شارون أن ينسب الفضل فى ذلك لاسرائيل حتى تتقاضى المقابل من واشنطن المؤلف.

النقاش. ولاتزال القوات الأمريكية مرابطة هناك. ولأنها لاتزال فى سيناء اتخذت الولايات المتحدة ثلاث قواعد جوية من الطراز الأول فى حال دعت الحاجة إليها وهى : أوفير واتزيون وإيتام، وقد بنيناها بسواعدنا. ولن نستخدم هذه القواعد بالطبع إلا فى حالات الطوارىء. وقلت للأمريكيين : إذا كان عليكم ان تتدخلوا فى الخليج الفارسى أو أى مكان آخر من المنطقة، تأكدوا أنكم لن تلقوا مساعدة من أحد، لامن السعوديين ولا من الأردنيين . لكن إمكانية التحرك سريعا ستتوفر أمامكم لأنكم تملكون هذا كله بين أيديكم. وقلت للسفراء والقادة وأعضاء الكونجرس الأمريكى الذين أتوا إلى القدس إن لبنان سيوفر لكم نقطة دعم بفضل مرافئه ومطاره. فى الأمس، كان السوريون يسيطرون على لبنان ، وبمعنى آخر، كان السوفيت يسيطرون على لبنان، أما اليوم، فأنتم فى لبنان وتملكون إمكانية إدخاله إلى العالم الحر ليصبح جزءاً لايتجزأ منه.

لكن مسئولى وزارة الشئون الخارجية عن شئون الشرق الأوسط لم يفهموا يوما هذا التصور، وراحوا يتحركون فى اتجاه مغاير فيما نحن نحارب فى خريف ١٩٨٢ وشتائه من أجل انجاح اتفاقية مع لبنان.

لسوء الحظ تناغم تصرف اللبنانيين المسيحيين مع الموقف الذى صدر عن الأمريكيين . فعلى رغم المفاوضات القائمة، اتخذ أمين

الجميل علنا مواقف مناهضة لاسرائيل بعد أن ألقى تصاريح ووجه اتهامات قد تكسبه، حسب اعتقاده، عطف الدول العربية الأخرى ورعايتها . وخلال حديث أجريته مع والده بيار، قلت إن اسرائيل بدأ ينفذ صبرها . ففى استطاعة الرأى العام الاسرائيلى فرض انسحاب قواتنا قبل إبرام أى اتفاقات مهمة بالنسبة إلينا إلا أن أهميتها أكبر بالنسبة إلى لبنان. فى وسع اللبنانيين أن يجدوا أنفسهم وحدهم. وفى حال تخلى العالم عن لبنان، سيجد أمين نفسه رئيسا على القصر الجمهورى فقط لاغير. وإذا فقدت الشجاعة الآن يضيع كل شىء. « فنحن لم نأت لإنقاذكم بل لإنقاذ أنفسنا. لكن عملنا هذا سيقدم اليكم فرصة تاريخية ، فرصة قد لاتتوفر مجددا قبل انقضاء خمسين عاما».

فى ذلك الخريف راحت لجنة كاهان تجمع المعلومات والشهادات ببطء ولكن بمنهجية ، أما نحن فكنا نتصادم مع اللبنانيين والأمريكيين. وتلقيت كما تلقى كثيرون غيرى « انذارا» من اللجنة تبلغنا بأسلوب رسمى أن اسمنا يندرج بين الأسماء المحتمل إحالتها إلى المحاكمة . وقريبا سوف أستدعى للإدلاء بشهادتى .

حاليا، بلغ التحقيق الذى بوشر به مرحلته الحاسمة. فقد تولى حتى الآن متشرع من وزارة الدفاع، يساعده فى ذلك محام شاب يدعى

دوف وايسغلاس كان يقوم بدورة احتياط فى الوزارة . غير أن مكتب المستشار القانونى التابع للحكومة أفهمنى عبر هذا « الانذار» انه لم يعد فى وسعى اللجوء إلى خدمات متشرع وزارة الدفاع.

لذا رحت أبحث عن محام. ولكن صعب على العثور على شخص مستعد لتولى شئونى فى ظل الأجواء التى كانت سائدة حينذاك، فالمحامون ترددوا في الاشتراك فى قضية غامضة لم تحظ بحب الشعب. فتوجهت فى نهاية المطاف إلى صديق قديم يدعى صموئيل تامير، ترأس فى مامضى حزب الوسط الحر، وكنت تكبدت العناء حتى أعدته الى الليكود فى ١٩٧٣ بعد أن ركضت وراءه الطوابق العشرة التى تألف منها مبنى حيروت.

فى عهد حكومة بيجن الأولى شغل تامير خلال حقبة من الوقت منصب وزير العدل ثم ترك الحياة السياسية الناشطة. شرحت له وضعى وسألته عما إذا كان مستعدا للدفاع عنى، فطلب منى شامير وقتا للتفكير فى الموضوع والاتصال به فى غضون يومين أو ثلاثة أيام.

بعد مضى يومين، زرته فى هرزليا بتواخ، المسكن الجميل جدا قرابة الشاطىء الذى كنت أعرفه جيدا لأننى أمضيت فيه إلى جانب تامير وعائلته مناسبات كثيرة تعاقب عليها الحزن والفرح. كنت جالساً على الكنبة عندما قال لى أنه لا يستطيع الدفاع عنى . فهو ينوى دخول

معترك السياسة من جديد، وفى حال تولى قضيتى عليه إنجاز مهمته بجدية صارمة، وهذا يعنى استجواب الشهود على كافة المستويات الحكومية من أدناها حتى أرقاها. وفى حال اقدم على هذا العمل سوف يسىء إلى فرصة السياسية. لذا، لن يتمكن من تولى قضيتى. لم يلق منى أى إجابة ؛ وإنما شكرته وودعته ورحلت فى منتهى البساطة.

بعد ماحدث لم أرغب فى البحث عن بديل . فتولى دوف ويسغلاس ملف قضيتى على حسابه الخاص (بعد أن أنهى دورة الاحتياط) ، وساعده فى ذلك محام آخر يدعى زفى تيرلو، كلفه موظف فى وزارة الدفاع.

بعد اتخاذ هذا التدبير توجهت الى هوندوراس فى امريكا الوسطى. واستقل فريقنا طائرتين صغيرتين من صنع اسرائيلى ، أقلتهما الى تغوثيغاليا حيث استقبلتنا الجالية اليهودية فى المدينة ورئيس البلاد كوردويا استقبالا حارا. وجرى نقاش مع الرئيس كوردوبا تناول الوضع فى منطقته. وأوليت إمكانات التعاون الزراعى اهتماما خاصًا. فقبل بضع سنوات أنشأت إسرائيل فى نيكاراغوا عددا من القرى التعاونية (موشافيم)، مبادرة لا تزال عالقة فى ذاكرة هذا الجزء من العالم. وتطرّقت فى حضرة رئيس هيئة الأركان إلى

إمكانيّات منح مساعدة عسكرية. ولكنّنا دخلنا شهر كانون الأوّل (ديسمبر) ، ولن تسفر عن هذه اللقاءات أى نتائج، فالمستقبل، القريب على الأقل ، سبق للجنة كاهان أن صادرته.

قرّرت فى حضرة اللجنة عدم استجواب ضباط الموساد أو موظفيه، لا سيّما أن بعضهم زعم أنه لم يعلم بإرسال الكتائبيين إلى الضواحى. وكان سبق لى أن اتخذت قرارا بتقديم استقالتى فى حال أتهم أى عنصر من عناصر الجيش. بعد أن استمعت اللجنة إلى الشهود راحت تصبّ اهتمامها على نقاط مختلفة وتطرح أسئلة وأسئلة : هل تورّطت قوّات الدفاع الاسرائيلية فى ما حدث ؟ هل من سياسى أو عسكرى أو عز بهذه المجزرة أم وصله علم بها ؟ هل تقاعس أحدهم عن منع هذه المجزرة أم عن إيقافها ؟

كان الدفاع عن نفسى سهلا. فقد أكدّ المحاميان اللذان تولا قضيتّى أننى لن أبدِ تقاعسا عندما لم أنجح فى إيقاف المجزرة. فحين أعلمنى إيتان فى ليل ١٧ أيلول (سبتمبر) أن الكتائبيين «ذهبوا بعيدا فى عملهم»، كانت العملية قد انتهت وقوّات الكتائب قد تلقّت أمرا بالانسحاب. أمّا القانون الاسرائيلى فكان دقيقا فى ما يتعلق بالإهمال الصّادر عن سابق تصميم. فما من إنسان تلقى عليه تهمة الإهمال والتسبب بخطر ما إذا عجز «شخص عاقل» عن توقّعه. فى الواقع ، لم يتوقع أحد خطر المذبحة. وتسبّب هذا الوضع لاسرائيل بضربة مريعة

: فلو تمكنّا من التكهُّن به لما أرسلنا الكتائبيين. وأطّلع عدد من كبار الضباط الاسرائيليين على نيّتنا فى اللجوء إلى الكتائبيين، ولكن ما من أحد أبدى أدنى معارضة. ولا حتى بيغن أو ايتان أو ساغى، ولا المسئولون عن الأمن، ولا رؤساء الموساد، ولا الوزراء أو المستشار القانونى الذين حضروا جلسة الحكومة التى عقدت فى ١٦ أيلول (سبتمبر) والتى أعلن خلالها عن دخول الكتائبيين إلى الضواحى. وقد أكد المحاميا أنه استنادا إلى نص القانون الاسرائيلى لا يمكن اتهام شخص بالإهمال ما دام لم يتكهن أحد بوقوع أى إشكال.

اعتقد المحاميان المكلّفان الدفاع عنى أننى سأكسب القضية بفضل هذه الحجج. لا سيّما على الصعيد القانونى. لكنّ أملى فى النجاح كان ضئيلا. ففى اسرائيل تتمتّع لجنة التحقيق بكافّة سلطات المحكمة القضائية ولكنّها تتحرّك بحريةٍ أكبر. ولا تخضع هذه اللجنة لقواعد المحاكمات الاعتياديّة. لذا كنت على يقين أن قضيتى سوف يصار إلى الحكم عليها على أساس سياسى لا قانونى فحسب.

بعد أن انتهت اللجنة من الاستماع إلى الشهود وبدأت مداولاتها، لازمتُ مكانى فى الوزارة، عازما على النهوض بمهامى بصورة طبيعية وإنهاء عدد من المشاريع المهمّة قبل أن تنشر اللجنة النتائج التى توصّلت إليها. فمشروع تحديد بُنى قوّات الدفاع الاسرائيلية لسنة ١٩٩٠ ، الذى سبق لنا أن بدأنا به، مضى قدما من دون توقّف (عقدتُ

آخر اجتماع تناول هذا الموضوع صباح إعلان تقرير اللجنة). أمّا فى لبنان، الذى كنت أزوره فى استمرار، فقد استمرّت المفاوضات الجارية. توجهت إلى زائير فى زيارة رسمية جاءت كنتيجة مباشرة للمبادرة التى قمنا بها السنة الماضية والتى فتحت المجال أمام استئناف العلاقات الدبلوماسيّة مع أوّل بلد افريقى هو زائير.

خلال هذه الزيارة، جبت البلاد فى أواخر كانون الثانى (يناير) فى صحبة موبوتو ودرست معه مختلف المشاكل التى تعانيها العلاقات بين إسرائيل وافريقيا. طلب منى رئيس زائير العودة سريعا لإنهاء هذه المحادثات، فقبلت دعوته وقلت له إننى قد أعود إلى زائير فى ٤ شباط (فبراير) ، فولّد هذا الموعد القريب الدهشة فى نفس موبوتو ولكنّه سرعان ما قبله. كان موبوتو يجهل أن موعد صدور نتائج اللجنة يقع فى ٧ شباط (ولم أتمكن من اطلاعه عليه).

عرفت تاريخ الموعد مصادفة. فاللجنة أحاطت مداولاتها بالسرية ولم يُعلن عن موعد صدور تقريرها. ولكنى علمت أن شخصية أخرى تلقت مثلى «انذارا» ويمثّلها محام لامع ذو معارف كثيرين، وجّهت دعوة إلى عدد من الأصدقاء لحضور حفلة ساهرة فى ٨ شباط (فبراير). وهكذا أدركت أنه على علم بموعد نشر التقرير.

لدى عودتى من زائير تحدثت مع بيغن عن ذلك التقرير الذى سيعلن عنه قريبا وقلت : حسب معلوماتى ، ستنشر النتائج فى ٧

شباط (فبراير). وبما أننى أعرف هذه الحكومة حق المعرفة - اقترحت عليه أن يتخذ موقفا ثابتا لأنّ قبول نتائج اللجنة أو رفضها منوط بالوزراء. وكنت أرى أن معظم الوزراء سيحرصون على التملُّص بلباقة من المأزق، غير عابئين بالعدالة ولا بالضرر الذى قد يلحقه تصرّفهم هذا بإسرائيل. لذا فإن الطريقة الوحيدة لمواجهة ما ستعلن عنه اللجنة هى أن نبرهن عن سلطة كبرى وتعاضد الوزراء حول مسألة جوهرية هى براءة حكومة اسرائيلة وبراءة العسكريين. وقلت لبيغن : سيشكّل الإعلان عن النتائج لحظة حاسمة. وأعربت عن كلامى هذا بلهجة مباشرة وحازمة، فى حين رحت أترقّب ردّة فعله. فجاءت إجابته مشوبة بالحسرة: «سنواجه وضعا فى منتهى الصعوبة، وضعا فى منتهى الصعوبة» .

فى ٤ شباط (فبراير) عدت إلى افريقيا، وقد وضعت نصب عينىّ الالتزام بارتياطاتى وبذل قصارى جهدى لتعزيز مكانة اسرائيل فى هذه الناحية من العالم مادمت أتمتّع بالكفاءة التى تخوّلنى انجاز عمل مماثل. سعيت فى هذا الاتجاه على تعاظم الشعور بالظلم الذى راح ينتابنى كلما فكّرت فى التقرير الذى ستعلنه اللجنة فى غضون ثلاثة أيام.

فى مساء ٧ شباط وصَلَنا علم بإعلان التقرير وبحصول بيغن على نسخة منه. وعندما اتصلت به فى منزله وجدت صعوبة فائقة فى

التحدث إليه هاتفيا لأوّل مرّة فى حياتى. ولما تمكنّت من التحدّث إليه، قلت له : «لقد حصلت على التقرير حسبما فهمت». فأجابنى : «أجل، وأنا استشير الآ ن فى هذا الصدد شخصا أو اثنين». سألت بيغن من جديد : «هل تستطيعون اطلاعى على نتائجه؟ .. أجابنى : «لا». فقد طُلب منه عدم إعلان النتائج قبل صباح اليوم التالى. هل استطيع القدوم لرؤيته؟ أعدت السمّاعة إلى مكانها وقد اعترانى شعورٌ سيئٌ عن نوع الدعم الذى كنت أستطيع انتظاره من رئيس الوزراء.

صباح اليوم التالى كان نص التقرير قد نشر. وفى ساعة مبكرة التقيت دوف ويسفلاس وأوديد شامير ووجدتها يقرآن التقرير مبتسمين ، وكأنه يبّرئنى. ويقول القضاء فيه : «نحن نوافق على أن أحدا من اسرائيل لم ينو إلحاق الضرر بالسكّان المدنيين عندما أُدخل الكتائبيون إلى المخيمّات».

قلت لدوف ويسفلاس وأوديد شامير : «يجدر بكما الانتقال إلى النتائج». فى تلك النتائج ، درست اللجنة دور كل من رئيس الوزراء بيغن، ووزير الشئون الخارجية شامير، ودرورى. كما اتخذت فى عين الاعتبار مشاركة عدد من الضباط وأعضاء أجهزة المخابرات، ولا سيما رئيس هيئة الاركان رفول ايتان ، والجنرالين درورى وياورن، ورئيس أجهزة المخابرات العسكرية يهوشع ساغى.

وبدرجات متفاوتة أقرّت اللجنة بمسئولية كلّ من هؤلاء فى الأحداث التى شهدها مخيّما صبرا وشاتيلا، بدءاً ببيفن الذى كان يجدر به إبداء سرعة ونشاط أكبر فى التدقيق فى الأحداث التى شهدتها الضواحى بعيد دخول الكتائبيين، والحؤول دون مواصلة عملهم، وإنتهاء بساغى الذى توجب عليه تحصيل معرفة كافية بالموضوع حتى يحذر من إحتمال وقوع أعمال عنف، وأخذ المعلومات التى وردته لاحقاً حول هذه الإعتداءات على محملٍ من الجدية.

أما فى ما يتعلق بى، فقد رأت اللجنة أخيراً أننى تصرفت تصرفا ملائما وذلك بعد أن درست دعوى التقاعس الموجهة ضدى والتى تتهمنى بالتلكؤ على رغم أن كثير من الناس كانوا على علم بدخول الكتائبيين إلى الضواحى من دون أن يتكهنوا أن مذبحة ستنجم عن دخولهم، كان على بصفتى وزيرا للدفاع أن أكون أكثر وعيا للأخطار وان اتخذ تدابير احترازية. وخلصت اللجنة إلى القول اننى، تبعا لذلك، أتحمل «مسئولية غير مباشرة» فى ما حدث. وأوصت «أن أستخلص النتائج الشخصية التى تفرض نفسها» أو أن يمارس رئيس الوزراء حقه فى «تجريد وزير من حقيبته».

كنت أنتظر صدور هذا النوع من النتائج، إلا أن أتهامى «بمسؤولية غير مباشرة» أثار حفيظتى. فهذا المفهوم لا أساس له فى القانون الإسرائيلى . إلا أننى كنت مدركا فى قرارة نفسى أن ما جرى

لم أتوقع حلوله يوما، على معرفتى بالشؤون اللبنانية. وارتأى القاضى كاهان وزملاؤه، بعد دراسة الأحداث دراسة هادئة وسديدة، أنه كان يجدر بى التكهن بما جرى، على رغم أقوال الشهود. ولكن لم يستيق أى انسان الأحداث. لا أنا ولا الآخرون. لذا، من المحتمل أن يكون القضاة قد لمسوا ضرورة إلقاء اللوم على أحد، فى غمرة الصدمة التى أعترت البلاد، ومهما يكن من أمر، كان ذلك وصمة ارفضها رفضا قاطعا.

نشر التقرير فى ٨ شباط (فبراير) ١٩٨٣. وبعد مرور يومين تلقى مجلس الوزراء دعوة لعقد إجتماع نناقش فيه التدابير المفترض إتخاذها. بدأت الجلسة قرابة المساء، ولكنى لم أتمكن من الوصول فى الوقت المحدد.

فقد نظمت «حركة السلام الآن» وبعض كيبوتزات المنطقة تظاهرة فى الطريق قبالة مزرعتنا. وبدا المتظاهرون فى غضب جنونى. لذا أضحى من المستحيل توقع ما قد يحدث. ووقف فى وجههم اليهود والعرب العاملون فى المزرعة، بالقرب من البوابة. مشهد يصعب على من يراه تصديقه. وقرر العمال العرب، وقد رأوا ما حدث، عدم مغادرة المزرعة ذلك المساء. فلازموا أمكنتهم وبقوا جنبا إلى جنب مع موتى ليفى وغيره من العمال اليهود العازمين على قمع أى محاولة ترمى إلى اجتياح الأماكن. وفيما راحت جلبة التصادم تتعالى، كنت فى الداخل أعد نص الدفاع عن قضيتى، الذى سأتلوه على الحكومة،

يساعدنى فى ذلك كل من دوق وأورى دان. وقد احتاج رجال الشرطة إلى بعض الوقت قبل أن يسيطروا على زمام الوضع من جديد وأن يسمحوا لى بالذهاب بعد أن خيم السكون وعهدت بالمزرعة إلى موتى.

فيما كنا نجتاز البوابة شاهدنا عمال المزرعة مصطفين، فى حين تهادت إلى مسامعنا عبر نوافذ السيارة صيحات الحشود. بعد مضى ساعة نهبت السيارة خلالها الأرض نهبا، وصلنا إلى القدس حيث تجمهرت تظاهرة أخرى هائلة أمام مكتب رئيس الوزراء.

غير أن هذه الحشود تألفت من متعاطفين جاؤوا إلى القدس من كافة أنحاء البلاد إعرابا عن مشاعرهم تجاه الحكومة، فراحوا يترجمون عواطفهم صخبا وضجة. ولما توقفت برهة لأحييهم وجدتنى وسط دوامة تلقيت فيها الف يد ويد طلبت مصافحتى وسمعت الف عبارة وعبارة كان ملؤها الحماس والتشجيع. لكن هؤلاء المتعاطفين لم يكونوا وحدهم. فقد قامت فى ذلك الوقت تظاهرة عمت الطرقات نظمها أعضاء «حركة السلام الآن» الذين راحوا يصرخون من أعمق أنفاسهم ويرددون «شارون روتزياخ»(أى شارون السفاح)، صيحات تداخلت أنصارى الذين هتفوا «أريك ! أريك ! اريك» ! فى مدخل المبنى أضيئت كشافات كاميرات التلفزيون الباهرة، وتهافت مئات الصحافيين والمصورين فى إتجاهنا، فانضمت جلبة صيحاتهم وأسئلتهم إلى البلبة التى خيمت على الأجواء. فاستحال علينا الهروب من هذه الجلبة التى

تهادت حتى قاعة إجتماع الحكومة. عندما وصلت إلى مجلس الحكومة كان شحوب وقلق يعتريان الوزراء الذين أقفلوا النوافذ فى وجه الضوضاء التى تناهت من الشارع. وبعد مضى لحظات معدودة جالت الحشود فى محيط المبنى وسمعنا صيحات «أريك ! أريك ! اريك!» عبر نوافذ الجهة الأخرى من القاعة. وعندما أقفلنا تلك النوافذ بدورها ساد جو خانق فى الحجرة وراح الوزراء الذين اعتراهم الشحوب قبل ثوان بتصببون عرقا.

كان التوتر الشديد سيخيم على الإجتماع وإن تلاشى الصراخ من الخارج والحرارة من الداخل. كان على الحكومة أن تقرر إما رفض تقرير كاهان رفضا كليا جديدة. ولو فعلت ذلك لأحرزت، فى نظرى، انتصارا عظيما سيسجله تاريخ الليكود. أما قبول التقرير فيعنى إلزامى تقديم أستقالتى . لا بل أكثر من ذلك، فى الواقع. ففى قبولنا التقير سوف نقر بحكم يدين الحكومة بتهمة القتل. وتوجهت إلى الحضور قائلاً: فى حال قبلتم نتائج لجنة كاهان سوف تضعون على جبين الشعب اليهودى وجبين دولة إسرائيل دمغة قايين بأيديكم».

اندرج بيغن وشامير بين الذين تعين عليهم إتخاذ القرار، وكانت اللجنة قد أقرت بمسؤولية كل منهما الجزئية. وفيما راحا يتداولان مع سائر الحضور فى قاعة الإجتماع، كانت صيحات المتظاهرين فى

الطرقات لا تزال مسموعة على رغم النوافذ المغلقة. ولما تفرست فى وجوه الوزراء صعب على القول اية صرخة كان لها الأثر الأبلغ فى نفوسهم: أتلك التى هتفت باسمى أم تلك التى طالبت بدمى. ولكن سرعان ما بدأت أفهم أن ما أقلقهم حقا تمثل بتلك الجماهير الغفيرة والعفوية التى تألفت من أنصار الليكود.

وشاءت سخرية القدر أن يساهم الشجعان المحتشدون من أجل منح مساعدتهم فى التصديق على مصيرى. أما أعضاء الحكومة فقلما أحبوا سماع هذه الصرخات. لا بل كانوا يكرهونها. فسمات الحسد والغضب كان فى استطاعة المرء أن يراها فى وجوههم.

قبل أن يشارف الإجتماع على نهايته، بلغت إلى أمين سر الحكومة ملاحظة تذكره بضرورة الأخذ فى عين الإعتبار، فى أثناء التصويب، غياب وزيرين من الوزراء بداعى السفر. كان الوزير الأول البروفسور يوفال نعمان. المنتمى إلى حزب تخيا (الذى منحنى دعما صلبا فى المسائل القومية)؛ أما الثانى فكان سيمحا ارليخ. وجاءت الإجابة على هذه الملاحظة كالآتى:

«من المستحسن أن يأتى التصويت ستة عشر صوتا مقابل صوت واحد، بدلا من سبعة عشر صوتا مقابل صوتين». جاءت النتيجة ستة عشر صوتا مقابل صوت واحد هو صوتى.

فى اليوم التالى، وذهبت لزيارة مناحيم بيغن حتى ابلغ إليه قرارى بتقديم استقالتى. ولم يكن إتخاذ مثل هذا القرار بالسهل، لذا فكرت أولا فى المضى بهذه المسألة حتى النهاية أما الإجابة التى أعطانى إياها بيغن ذلك اليوم فقلما سهلت الأمور. فقد سألنى: «متى تنوى تقديم إستقالتك؟ أجبته: «الأثنين». فسألنى من جديد بعد برهة: «لم ستستغرق استقالتك هذه الفترة الطويلة؟».

ذلك الأثنين الواقع فيه ١٤ شباط (فبراير) أعلنت أمام ملاك موظفى الوزارة قبولى قرار الحكومة وتقديم استقالتى وشرحت لهم أن ما من اسرائيلى، لا جندى ولا رئيس ولا سياسى، تورط فى هذه الأحداث المريعة. وصحيح أننى وضعت جانبا، إلا أننى أستطيع المواجهة لأنى ادرك حقيقة ما حدث بالضبط ومتأكد من الطريق الذى أتخذته والأهداف التى تطلعت إليها.

كان صباح ذلك اليوم حافلا بالناس الآتين لتوديعى بعضهم بالزهور والبعض الآخر بالدّموع. أمّا ليلى فوقفت إلى جانبى كما وقفت سابقا أيام النصر وأيّام الهزيمة. وفى وقت من الأوقات وصلت منى المُر وقد شقّت طريقا لها بين الحشود التى غص بها الرواق ثمّ قرأت إحدى قصائدها الجميلة. وكانت الشاعرة اللبنانية قد وصلت من بيروت صباحا يرافقها بعض الأصدقاء اللبنانيين. وفى الفناء

السفلى كان فى استطاعتى أن أستمع إلى الناس وهم يستعدّون فى الباحة لحفل الوداع. حفل يحاكى ذاك الذى استقبلنى قبل سنة ونصف سنة. نزلت مع ليلى ثمّ خرجتا إلى الساحة حيث راحت الأعلام والبيارق ترفرف فى الهواء، فى حين احتشدت الجماهير قبالة الوزارة.

عندما مررت بالجنود نظرت فى وجه كلّ منهم. فإذا بى أشعر بحاجة إلى تذكرّ كلّ جندى، إلى إبقاء معالمه محفورة أبدا فى ذاكرتى.

ولكن على رغم نيّتى هذه ، بان أمام ناظرىّ وجه آخر هو وجه والدى قبل سبعة وثلاثين عاما حين كان فى بستان البرتقال، أيّام «موسم» مطاردة مناحيم بيجن، رئيس الإيرغون. فقال لى وهو يعمل فى الأرض بين الأشجار: «اريك، يمكنك أن تفعل ما يحلو لك، ولكن عليك أن تقطع لى وعدا بعدم التخلّى ابدا عن أىّ يهودى أبدا». فقلت فى نفسى : «أنظر ماذا يحدث من حولك الآن، يا أريك. فهؤلاء الذين كانوا سابقا ضحيّة سلّمونى للجموع وتخلّوا عنّى».

فى الأسابيع والأشهر التى تلت، لم يفارق هذا المشهد مخيّلتى. ومع مضى الوقت، استكانت عواطفى ووجدتنى ذات يوم أجلس إلى جانب مناحيم بيجن فى مكتبه وأحسست أننى فى حاجة إلى أن أشرح

له ما انتابنى من شعور ذلك اليوم. فاستهللت كلامى بالآتى: «أريد أن أقول لك شيئا. لا أدرى كيف تقّوم ما حدث، ولكن أريدك أن تعى حقيقة مشاعرى». فأخبرته عن الحفل وعن ذكريات رغبت فى استعادتها وعن أخرى تذكّرتها فعلا. ثم قلت له : «أنت من سلّمنى يا بيجن».

obeikandl.com

obeikandl.com

ملحق الصور

obeikandl.com

obeikandl.com

إريك فى زى «البوريم» فى كفر ملال، القرية التعاونية (موشاف) التى أبصر فيها النور عام ١٩٢٨.

إريك مع كلبه المفضل شيتز أمام منزله فى كفر ملال ، عام ١٩٣٣.

إريك مع والدته فيرا وشقيقته ديتا أمام كومة قش فى كفر ملال.

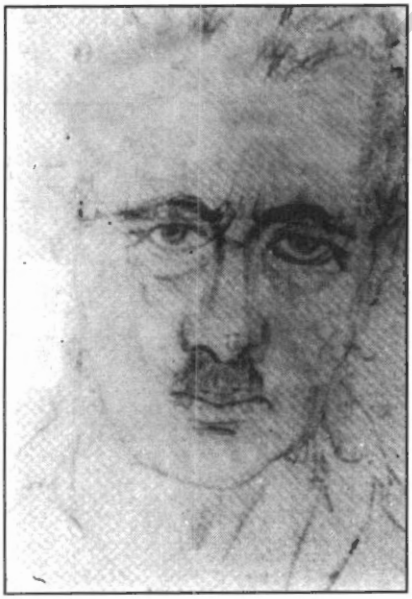

رسم ذاتى لوالد إريك، يعود إلى ١٩٤٩.

opeikandl.com

١٩٤١ فى كفر ملال كان العمل نشاطاً مستمراً والمصدر الوحيد لأفراح الحياة الريفية فى آن.

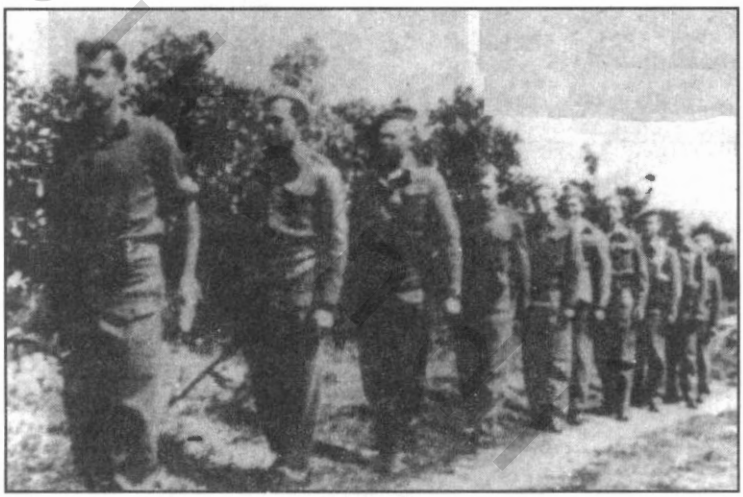

شتاء ١٩٤٨. شارون على رأس فصيلة من المحاربين الذين سقط معظمهم قتلى خلال حرب الاستقلال.

مارغاليت، زوجة شارون الأولى.

فى حـــزيران ١٩٤٥ كـــان إريك فى السابعة عشرة من عمره عندما حاز شهادة البكالوريا. وكان يستعد لمغادرة البيت الوالدى ليتابع دورة تدريبية لقادة الزمر، نظمها الجيش السرى اليهودى آنذاك (الهاغانا) فى كيبوتز روحاما، على حدود صحراء النقب.

١٢ كانون الأول (ديسمبر). دايان يهنىء وحدة إنزال وحدة إنزال لدى عودتها من إغارة بقيادة شارون داخل خطوط الجيش السورى، بعد أن اجتازت بحر الجليل (بحيرة طبريا).

قرر موردخاى ماكليف، رئيس هيئة الأركان لجيش الدفاع الإسرائيلى، انشاء وحدة مغاوير وطلب من شارون قيادتها. تلك كانت «الوحدة ١٠١» الشهيرة ، التى لم تستمر إلا خمسة أشهر ومع ذلك لعبت دوراً طليعياً فى صراع إسرائيل ضد الإرهاب. وهنا رجال الفرقة ١٠١ مع موشيه ديان فى صحراء النقب.

١٩ آب ١٩٥٥. شارون يلقى أمام كتيبة المظليين ٨٩٠ بياناً موجزاً بتفاصيل سير الهجوم المركز على القيادة المصرية بـ خان يونس، فى قطاع غزة.

فى كانون الأول (ديسمبر) ١٩٥٣، عندما عُيِّن دايان رئيسا للأركان، فى كتيبة المظليين. وفى الصورة رجال الـ ١٠١ المتمردون على هذا القرار يصغون إلى شارون يذكرهم بما قاموا به من أعمال باهرة.

٣٠ تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٥٥. قادة وحدات المظليين بعد الإغارة على كونتيلا. من اليسار إلى اليمنين ، الواقفون: مائير هار صهيون، شارون، دايان، دانّى مات، موشيه عفرون، عسّاف سيمخونى، الجالسون: اهارون دافيدى (مساعد شارون)، يعقوب يعقوب، رفول إيتان.

١٩٥٤، مع مائير هار صهيون، الرجل الذى قال عنه موشيه دايان إنه كان «أفضل مظليينا»

حققت كتيبة المظليين، التى انشئت فى ١٩٥٤، معظم الأعمال المنفردة التى كان يقوم بها الجيش الإسرائيلى.

بن غوريون وشارون يستعرضان حرس الشرف فى فرقة كتيبة المظليين، فى العام ١٩٥٥

شباط (فبراير) ١٩٧١. الجنرال إريك شارون، القائد الأعلى لمنطقة الجنوب العسكرية، مع دافيد غوريون، يتفقدان ضفة قناة السويس.

٧ حزيران (يونيو)، الجنرال شارون رئيس فرقة خلال حرب الأيام الستة فى سيناء.

١٩٥٧. كان بن جوريون غالباً ما يدعو إريك للجلوس قربه، مما كان يثير حفيظة الضباط الأعلى رتبة.

شارون بعد بضع ساعات من تلقيه شظية جرحته بعد ظهر ١٧ تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٧٣.

مع باتسى خلال معركة الدبابات فى قطاع قناة السويس.

obeikandl.com

١٥ تموز (يوليو) ١٩٧٣. شارون يودع قواته بعد تخليه عن وظيفته كقائد عام لمنطقة الجنوب العسكرية.

فى اليوم نفسه : ابتسامات دايان وشارون الأولى بعد عودتهما من الضفة الغربية لقناة السويس.

تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٧٣. مع الحاخام مرشد الجيش، المعلم شلومو غورن، خلال حرب الغفران:

الرسالة الأولى إلى ليلى، يكتبها من الأرض المصرية بعد وقف النار فى تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٧٣.

تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٧٣: قائد مستوحد قرب القناة.

obeikan.com

الجسر العائم على مراكب، بعد إنجازه عصر ١٧ تشرين الأول (أكتوبر).

١٥ تشرين الأول (أكتوبر)، الساعة السابعة مساء : شارون يعطى الضباط تعليماته الأخيرة قبل اجتياز القناة.

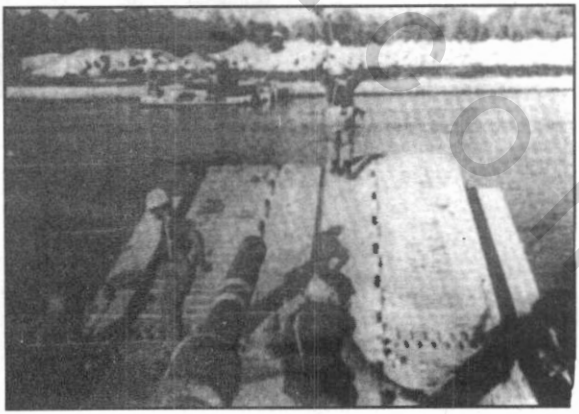

١٦ تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٧٣، الساعة السادسة مساء : فصيلة الدبابات الأولى من فرقة شارون فى أثناء عبورهما قناة السويس.

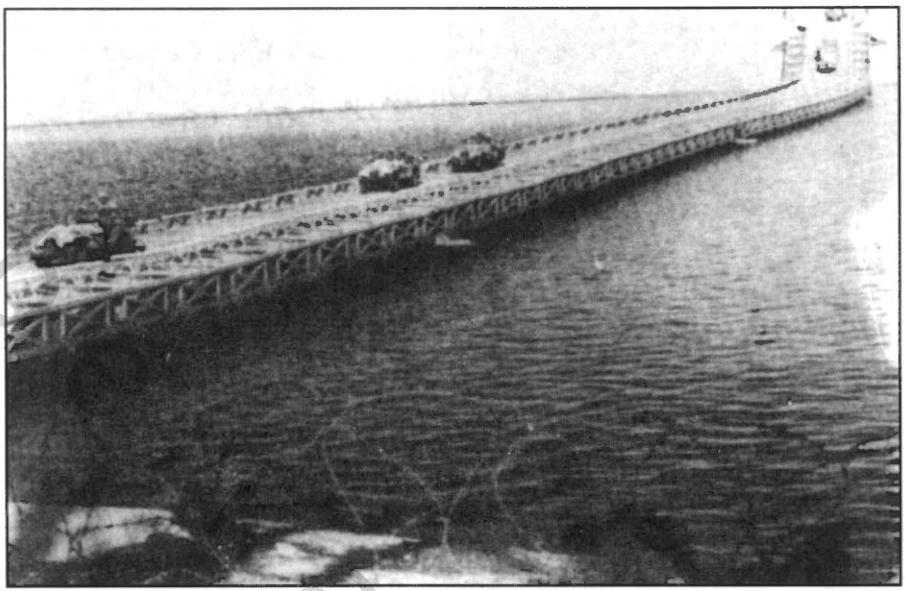

تحقق تجميع الجسر العائم الكبير، الذى أتاح عبور قناة السويس، بعد بذل جهود مضنية ، وكان اللواء السابع الذى دُرب خصيصاً لهذا العمل يحارب حينئذ فى الجبهة السورية.

فصيلة الجمال جاهزة للعمل

شباط (فبراير) ١٩٧٤: بعد حرب الغفران (كيبور) شارون ممتطياً مهرته المفضلة ياردينا قرب مزرعته.

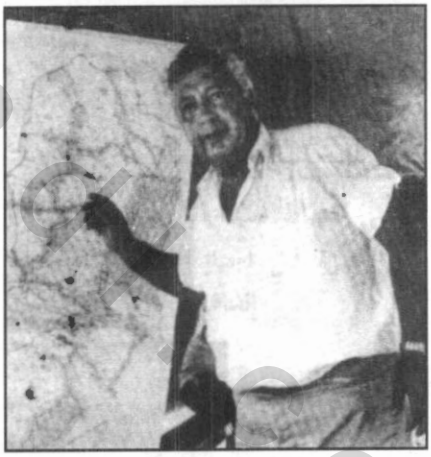

الأمن الوطنى والاستيطان مفهومان متلازمان أبداً فى نظر شارون. فى الصورة شارون يشير على الخارطة الى مشاريع الاستيطان فى اليهودية والسامرة.

ايلول (سبتمبر) ١٩٨٢ : على قمة تلة فى السامرة، شرق قلقيلية، شارون يشرح لغاسبار واينبرغر، وزير الدفاع الأميركى، مشروع استيطان.

١٩٦٧. إريك مع أولاده الثلاثة: جيلاد (الطفل) وعمرى وغور.

تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٢٩. والد إريك يتفحص بستان حمضيات مغروس حديثاً فى أرضه.

obeikandl.com

آب (أغسطس) ١٩٦٧. إريك وابنه غور قرب بحيرة اليرموك، على الحدود الإسرائيلية السورية الأردنية.

كانون الثانى ١٩٧٥. إريك يلقى نظرة على نصوب من الأشجار المثمرة فى مزرعته.

تشرين الثانى (نوفمبر) ١٩٨١: شارون مع موبوتو سيسى سيكو، وقد قرب بينهما عداؤهما المشترك للقذافى.

شارون يدلى بقسمه أمام مناحيم بيجن بعد تعيينه وزيراً للدفاع فى ١٨٨١.

١٧ كانون الثانى (يناير) ١٩٨٢. ليلى وإريك يزوران مدينة السويس قبل توجههما إلى القاهرة فى رفقة حاكم القناة وسفير إسرائيل فى مصر موشيه ساسون.

obeikandl.com

أيار (مـــــايو) ١٩٨١: مع السادات الذى اختار طريق السلام بعد أن فهم أنّ وجدها تسوية متَّفَق عليها من شأنها أن تتيح له استعادة سيناء.

١٣ أيار (مايو) ١٩٨٢: شارون يقدم إلى النميرى، رئيس السودان، هدية من حكومته: رشيشة اوزى.

٣٠ تشرين الثانى (نوفمبر) ١٩٨١: شارون ووانبرغر يتبادلان وثائق المذكرات الدبلوماسية حول التفاهم بين اسرائيل والولايات المتحدة، بعد توقيعها.

أيار (مايو) ١٩٨٢: شارون مع وزير الخارجية الأميركى الكساندر هايغ الذي استمع منه إلى عرض لنشاطات الإرهابيين انطلاقاً من لبنان.

obeikandl.com

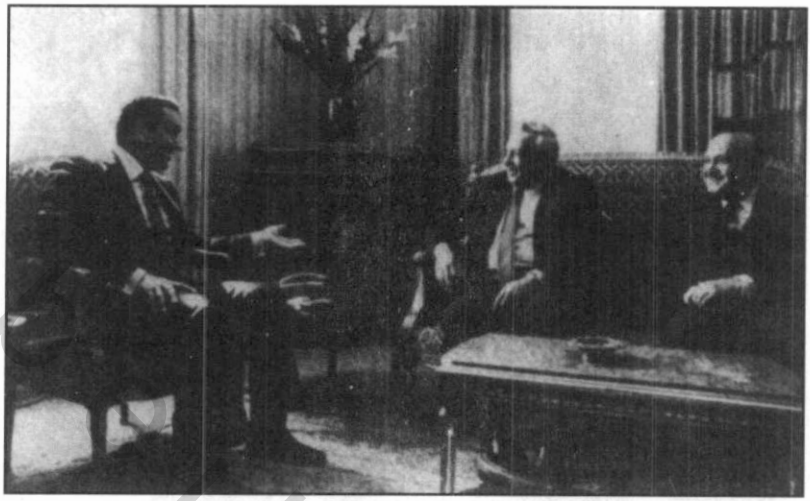

١٩ كانون الثانى (يناير) ١٩٨٢: شارون فى لقاء مع الرئيس حسنى مبارك وكمال حسن على، نائب رئيس مجلس الوزراء ووزير الخارجية آنذاك.

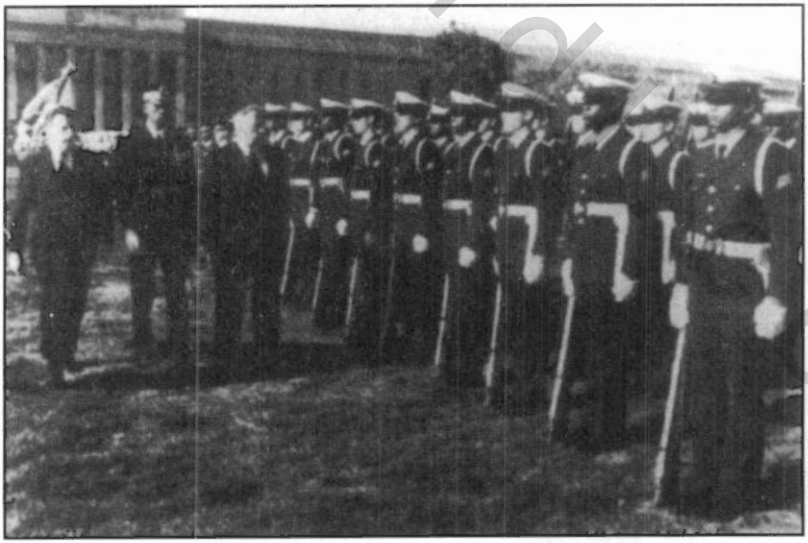

مع غاسبار واينبرغر فى البنتاغون. فى ٣٠ تشرين الثانى (نوفمبر) ١٩٨١.

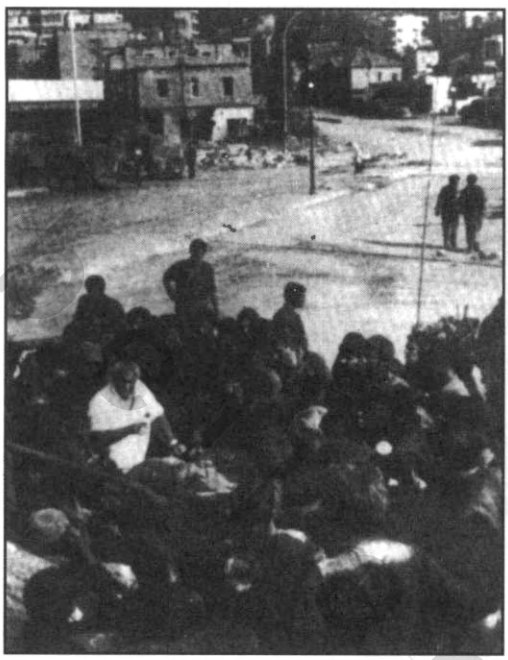

٢٤ أبار (مـــــايو) ١٩٨٢: على طريق بيـروت - دمـشق بعـد أن قطعها الجيش الإسرائيلى.

أيلول (سبتمبر) ١٩٨١: شارون وفيليب حبيب، مع ضابط لبنانى (واقفاً) يحتفلون بالمرحلة الأخيرة من طرد منظمة التحرير الفلسطينية الإرهابية من بيروت.

شباط (فبراير) ١٩٨٢ : كان بشير الجميل يرغب بحرارة فى تعميق وتخصيص علاقات الموازنة التقليدية مع اسرائيل. فى الصورة شارون خلال زيارته السرية بيروت، قبل الحرب الخمسة أشهر.

مع ليلى وبيار الجميل، والد الرئيس المنتخب بشير الجميل (الذى اغتيل بعد أيام قليلة) ورئيس الكتائب اللبنانية.

كانون الثانى (يناير) ١٩٨٥: شارون على درج قصر العدل فى فولى سكوار، مع محاميه الأستاذ غولد.

إريك وليلى وسط حقل قمح

obeikandl.com

المراجـع

- مـذكـرات ارئيل شـارون - ترجـمـة أنطوان عبـيد - مكتبـة بيسـان- الطبعة الأولى - بيروت ١٩٩٢.

- Albert Einstien, Comment Je Vois le monde. Flammarion Paris 1979 (Trduit de L'allemand)

obeikandl.com

obeikandl.com

الفهرس

الموضوع	الصفحة
اهداء :	٣
تقديم :	٥
القسم الأول : بين إينشتاين وشارون	٧
القسم الثانى : قراءة فى مذكرات شارون	١٥
القسم الثالث : موجز المذكرات المحطات الرئيسية	٥٣
أولاً: نشأة شارون ووسطه الاجتماعى :	٥٣
ثانياً: بداية العداء الشارونى للعرب :	٥٩
ثالثاً: قصة تقسيم فلسطين والمواجهة العربية الصهيونية ١٩٤٨ :	٦٦
رابعاً : بداية تورط مصر فى الصراع بعد الثورة (١٩٥٥):	٧٤
خامساً : قصة التواطؤ الفرنسى الاسرائيلى عام ١٩٥٦:	٨١
سادساً : معارك المياه مع سوريا والأردن :	٩٠
سابعاً : مأســـاة ١٩٦٧ :	٩٤
ثامناً : حرب الاستنزاف:	١٠٤
تاسعاً : اسرائيل والمواجهة الفلسطينية الأردنية عام ١٩٧٠:	١٠٨
عاشراً : شكوك العبور المصرى فى اسرائيل:	١١١
أحدى عشر: العبور العظيم ١٩٧٣:	١١٤
ثانى عشر: شارون والقضية الفلسطينية بعد ١٩٧٣:	١٣١
ثالث عشر : ضرب المفاعل العراقى ١٩٨١ :	١٣٦
رابع عشر : لقاء النميرى وقضية الفلاشا :	١٣٩
خامس عشر: عملية سلام الجليل ومذابح صبرا وشاتيلا:	١٤٣
ملحق الصور:	٢٣٧
المراجع:	٢٦٢

obeikandl.com

obeikandl.com